أولادي

تعالوا نعرف ديننا



عصام الدين عبد الحميد الهنامي

بيانات النشرة

عنوان الكتاب:أولادي .. تعالوا نعرف ديننا.

المؤلف: عصام الدين عبد الحميد الهنامي.

تاريخ النشرة: ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.

الإخراج الفني: مركز فائق للخدمات العلمية.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

عقيدتنا

الموضوع	الصفحة

عباداتنا

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

قِيَمنا

أخلاقنا

الموضوع	الصفحة





مقدمة

الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشباب - كما نعرف - عدة الأمة، وركيزة المستقبل، وهم الصفحة البيضاء النقية، القابلة لكل ما يُسطر عليها، فإذا أحسن ما يُكتب فيها نفعت وأفادت، وأنارت ظلام الطريق، وهم النبتة الصغيرة التى إذا تعهدها الزارع تعهداً حسناً زكت ونمت وآتت أبرك الثمرات، وأصبحت شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها فى السماء.

وهم أمل الإسلام فى أن يعود قويّاً نقيّاً كما كان فى عهده المشرق الزاهر، وأن يصبح المسلمون - كما أراد الله لهم أن يكونوا - خير أمة أُخرجت للناس.

والشباب مسؤولية كل مسلم، عليه أن يسهم بقدر جهده فى رعايته، وحسن تنشئته سواء أكان أباً أم أمّاً، أم معلماً أم كاتباً أوغير هؤلاء ممن يملك وسيلة من

وسائل التوجيه.

وأعظم جهد فى هذا المجال هو القدوة الحسنة، ثم التوجيه الرفيق الحازم، وهذه المسؤولية تبدأ منذ الصغر فى سن التكوين تلك السن التى ترسخ فيها المعلومات فى ذهن الناشئ، ويكون المجال المحيط به مكوِّناً هامّاً من مكونات شخصيته. أى منذ أن يصبح الطفل قادراً على إدراك ما يحيط به، وفهم ما يدور حوله من أمور.

وقد أردت أن أسهم بجهد المقلِّ فى هذا المجال، فأقدم للشباب الناشئ تعريفاً موجزاً بديننا، الإسلام، وما يقوم عليه الإيمان الصحيح من أسس وأركان، وما يوجبه الإسلام على المسلم من عبادات، وما يرسمه له من أخلاق فاضلة.

وقد أدرت الكتاب على الحوار الذى يدور بين أفراد أسرة مسلمة ملتزمة حريصة على أن تنشئ بنيها وبناتها تنشئة فاضلة على مبادئ الإسلام. وقدمت من خلال الحوار كل ما يهم المسلم معرفته من شؤون دينه، وجعلته أربعة أقسام:

قسم خاص بعقيدة المسلم، وما ينبغى للمسلم أن يؤمن به، ويعتقده فى قلبه من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقسم خاص بالعبادات لم أتوخَّ فيه تفصيل أفعالها بقدر ما توخيت روح العبادة والحكمة منها، والآثار التى ينبغى أن تترتب على أدائها.

وقسم ثالث يتناول القِيم الفاضلة التى عنى الإسلام بغرسها فى نفوس الناس، وقسم رابع وأخير يبين الأخلاق الحميدة التى دعا إليها الإسلام، ويبين ثمرة الالتزام

بها، والرذائل التى نَفَّر منها ودعا إلى اجتنابها، ويبين مغبة شيوعها فى المجتمع المسلم.

ومرشدى فى كل ما أقول كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

والله أسأل أن ينفع الجيل الناشئ بهذا الكتاب، وأن يجدوا فيه ما يعرِّفهم بدينهم، دين البشرية كلها: الإسلام، وأن يكون لبنة فى صرح تربية جيل مسلم قوي يعيد للإسلام صفاءه ونقاءه.

المؤلف



أسرة مسلمة

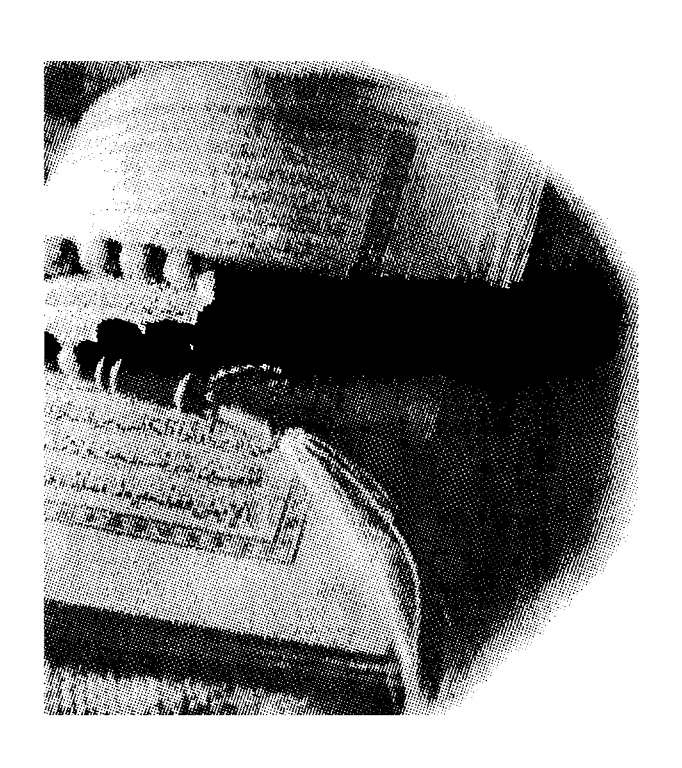
تتكون هذه الأسرة من الأب، والأم وثلاثة أولاد. أما الأب فاسمه محمد، ويعمل أستاذاً بالجامعة، والأم، واسمها فاطمة، قد حصلت على شهادة جامعية، ولكنها آثرت التفرغ لبيتها وزوجها وتربية أبنائها، فنجاحها فى هذا المجال يعود بالنفع العميم على الأسرة وعلى المجتمع كله.

والأولاد الثلاثة: أكبرهم أحمد، وهو فى السادسة عشرة ويدرس بالصف الثانى الثانوى، وعمر: وهو فى الرابعة عشرة من عمره، يدرس بالصف الثالث الإعدادى، والصغرى هى زينب وكانت فى الثانية عشرة من عمرها، وتدرس بالصف الأول الإعدادى.

وقد ربى الوالدان أولادهما تربية إسلامية خالصة، وغرسا فى أنفسهم القيم الفاضلة وحب الخير، وعوداهم حب القراءة، والتأمل فى كل ما يحيط بهم، وأن يسألوا ويناقشوا فى كل ما يخطر ببالهم.

وكان الأب ينتهز كل فرصة من أوقات فراغه ليجلس إلى أسرته، ويدير معهم نقاشاً فى كل ما يعنُّ لهم من أمور، وكان واسع الصدر لا يضيق بأسئلتهم مهما كثرت، عظيم الإلمام بالثقافة الإسلامية، وكان الأولاد يسعدون بالجلوس إليه، ويسألونه عن كل ما يخطر ببالهم من مسائل الدين. وكان أكثرهم أسئلة الصغيرة زينب، فقد كان ذهنها متفتحاً تريد أن تعرف كل ما يقع فى محيطها، وتستفسر عن كل ما تسمع، وخصوصاً أمور الدين، والغيبيات التى أخبر عنها القرآن وكان أبوها يعجبه منها هذا الإلحاح على معرفة كل شيء، ويجيبها عنه إجابات مبسطة تناسب سنها وتنفعها وتنفع أخويها.

وقد أعجبنى ما كان يدور بينهم من مناقشات فسجلتها لكم.





عقيدتنا
• بناء الإسلام.
• الشهادتان.
• الملائكة.
• الرسل.
• الكتب المنزَّلة.
• اليوم الآخر.



بناء الإسلام

عاد الأب إلى منزله، بعدما صلى العشاء، فوجد الأسرة فى انتظاره فحياهم بتحية الإسلام، وهى: السلام عليكم، فردوا تحيته بأحسن منها. ثم انتظم مجلسهم كعادتهم مساء كل خميس حيث يتخفف الأب من مشاغله العلمية، ويتفرغ لمسامرة أسرته، وحيث يأخذ الأبناء إجازة من دروسهم ليسعدوا بنقاشهم مع والديهم.

بادرت الصغيرة زينب أباها سائلة: يا أبى، هل الإسلام بيت؟ فقال أبوها: وكيف ذلك؟ قالت: لقد ذكر لنا مدرس الدين فى المدرسة حديثاً عن الرسول ﷺ يقول: **"بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً"** فهل الإسلام بيت يا أبي؟

ضحك الأب. وقال: نعم يا بنتى، الإسلام بناء محكم وله أركان يقوم عليها، ولكن هذه الأركان ليست من طوب أو حجر ولكن من قيم ومبادئ، وأى تقصير فى الالتزام بمبدأ من هذه المبادئ ينقص من إيمان المسلم، ويضعف من إسلامه، فكما أن أركان البيت وجدرانه هى التى تقيم بناء البيت، وإذا انهار جدار منها تعرض البيت للسقوط كذلك أركان الإسلام إذا ترك المسلم ركناً منها كان إيمانه ناقصاً، وتعرض إسلامه للضياع، وعدم القبول من الله، فالذى يترك الصلاة مثلاً يهدم ركناً من أركان الدين، ولا ينفعه بعد ذلك إقامة بعض الأركان الأخرى، وكذلك الذى

يحج ولا يعطى الزكاة أو يصلى ولا يصوم. كل نوع من هذه الأنواع يهدم ركنًا من أركان الدين ويعرض إسلام المسلم لعدم القبول، ولعقاب الله تعالى.

الإسلام دين البشرية كلها

عمر: ولكن يا أبى لِمَ سُمى ديننا الإسلام بخلاف الأديان الأخرى التى تنتسب إلى اسم نبيها أو شعبها كالمسيحية نسبة إلى المسيح ﷺ أو اليهودية التى تسمى باسم اليهود.

قال الأب: اعلموا يا أولادى أن الإسلام هو دين الله الحق الذى أرسل به جميع أنبيائه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران: ١٩).

أحمد: ولكن ما معنى كلمة "الإسلام"؟

الأب: هذا سؤال وجيه جدًا، الإسلام يا أعزائى معناه الخضوع والطاعة لله فى كل ما يأمر به، والتسليم بكل ما يريده، وهذه هى طبيعة الدين الإسلامى. فالمسلم هو الذى يسلم أمره إلى الله فى كل شأن من شؤونه، ويخضع لكل ما قضى الله به فى كل أمر من أموره، ولا يقبل الله الإيمان من أحد إلا إذا كان بهذه الصفة.

أحمد: لقد قلت حضرتك: (إن الإسلام هو الدين الذى جاء به جميع الأنبياء) فكيف ذلك؟

الأب: لقد حدثنا الله بذلك فى قرآنه الكريم، فقال على لسان نبيه نوح ﷺ ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٧٢) وقد وصى إبراهيم ﷺ وهو أبوكثير من الأنبياء - أبناءه بأن يكونوا مسلمين، وكذلك وصى حفيده يعقوب أبناءه بأن يظلوا متمسكين بإسلامهم حتى الموت، قال تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢).

وسيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذى سمانا "مسلمين" كما أخبر بذلك القرآن: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨) وهناك آيات أخرى كثيرة تصف الأنبياء وأتباعهم بأنهم مسلمون ستعرفونهم بعد ذلك، وسر ذلك كما أخبرتكم أن الإسلام هو إعلان الخضوع والطاعة لله فى كل ما يأمر به وينهى عنه.

وعند ذلك قالت الأم: ما أمتع هذا الحديث، ولكن كما قال رسولنا الكريم ﷺ: "إن لبدنك عليك حقّاً" وقد حان موعد العشاء فلنتعشَّ، ثم لنسمر بعد ذلك.

* * *

الشهادتان

وحان موعد الجلسة التالية، وكان الأولاد متشوقين لها، فلما جاء الأب وحيا أسرته أسرعوا قائلين: فلنكمل الحديث يا أبى عن بناء الإسلام وأركانه.

الأب: إن أول الأركان وأهمها هما شهادتا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ولا يمكن الانتساب إلى الإسلام دون هاتين الشهادتين. وأى ممارسة للأركان الأخرى دون الاعتقاد بهاتين الشهادتين لا قيمة لها ولا يقبلها الله.

زينب: ولكن يا أبى ما معنى الشهادتين؟

قال الأب: الشهادة معناها الإقرار والإعلان والتأكد بحدوث شىء، فأنتم حينما تشهدون على شىء تقررون وتؤكدون أن هذا الشىء قد حدث، فلذلك شهادتا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله معناهما أننا نعلن ونؤكد ونقرر أن الله موجود، وأنه ليس هناك إله غيره، كما نعلن ونؤكد أن محمداً رسول الله أرسله بدين الحق ليهدى الناس إليه.

الله موجود

عمر: نحن نؤمن أن الله موجود، ولكننا لا نراه، فلماذا لا نراه يا أبي؟

الأب: إننا لا يمكن أن نرى الله فى الدنيا لأن الله نور، فقد قال الله تعالى فى قرآنه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥) والنور لا يُرَى وإنما نرى بفضله كل شىء.

أحمد: ولكننا يمكننا أن نرى مصدر النور، ففى النهار يملأ نور الشمس أرجاء

الدنيا، ومع ذلك يمكننا أن نرى الشمس نفسها.

أجاب الأب: يا بنى إن نور الشمس بجانب نور الله ضئيل ضئيل ولا يمكن مقارنة شيء بنور الله. فالله – كما وصف نفسه – ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١) ومع ضآلة نور الشمس بجانب نور الله فإنك لا تستطيع أن تحدق فى الشمس لثوانٍ قليلة وإلا أُصبت بالعمى.

وسأخبركم بموقف نبى عظيم من هذا الأمر، فقد طمع سيدنا موسى عليه السلام فى رؤية الله بعدما سمع كلامه، ولكن الله أفهمه بدليل عملى أنه لا يمكن لمخلوق مهما بلغت ضخامته أن يتحمل رؤية الله. فقد قال موسى لربه ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣).

عمر: أرجو يا أبى أن توضح لنا الآية.

الأب: إن الله أراد أن يُبين لموسى أن رؤية مخلوق له مستحيلة وأنه لو ظهر لأى مخلوق مهما بلغت عظمته فسيتحطم فى الحال، فقال لموسى: انظر إلى الجبل – وهو الجبل الذى كان موسى يقف عنده وربه يناجيه – وسأظهر له فإن استطاع أن يتحمل ظهورى، فستستطيع أنت أيضاً رؤيتى، ونظر موسى إلى الجبل ففوجئ أن الجبل يندك ويُسَوَّى بالأرض، فأغمي على موسى من هول ما رأى، فلما أفاق من إغماءته أدرك أنه أخطأ بطلبه رؤية الله التى لا يمكن لأحد أن يتحملها ولو كان الجبل أضخم مخلوقات الله فى الأرض، وأعلن توبته إلى الله وإيمانه به.

وإليكم مثلاً من حياتنا اليومية نعرفه جميعاً (قومى يا زينب، اذهبى إلى الحجرة

المقابلة واضغطى على زر النور) ففعلت زينب ذلك فأضاءت الحجرة، فقال الأب: من أوجد النور فى الحجرة؟ أجابوا جميعاً: الكهرباء، فقال لهم: أين الكهرباء؟ فقالوا: إنها تسرى فى الأسلاك. فقال الأب: فهل يمكننا أن نراها؟ قالوا جميعًا: لا. قال: ولكننا نرى آثارها فهى تضيء الظلام، وتُشغل الثلاجة والتليفزيون وغيرهما من الأجهزة الكهربائية، والكهرباء ما هى إلا مخلوق ضئيل من خلق الله، فنحن لا نرى الله سبحانه وتعالى ولكننا نرى آثاره الكثيرة والعظيمة، وأريد الآن من أحدكم أن يحدثنا عن بعض هذه الآثار.

آثار وجود الله

أحمد: هذا الكون العجيب المنظَّم الدقيق بأرضه وسمائه وشمسه وقمره ونجومه التى تسير وفق نظام دقيق محدد لا يتغير ولا يتبدل ولا يتخلف. لقد عرفنا فى الجغرافيا أن الأرض كرة تدور حول الشمس وأنها مُعلَّقة فى الفضاد بقدرة الله تعالى، ولم يحدث لآلاف السنين أنها توقفت أو أسرعت أو أبطأت. والشمس التى تظهر لنا فى الصباح من المشرق وتغيب أمام أعيننا فى الغرب، لم يحدث أبداً أنها طلعت مرة من جهة المغرب، وغابت فى جهة الشرق. كما لم يحدث أبداً أنها تخلفت عن موعد طلوعها أو موعد غروبها، فمن الذى ينظم هذا بكل هذه الدقة؟ إنه الله.

عمر: وهذه الزروع والثمار والأزهار أكبر دليل على وجود الله، فنحن نضع البذرة الصغيرة فى الأرض فتخرج بعد أيام نبتة صغيرة خضراء جميلة، ثم تتحول بعد شهور إلى شجرة حافلة بالفاكهة أو الأزهار أو الحبوب والثمار. من فعل هذا؟ هو الله سبحانه وتعالى.

الأب: وشىء آخر نعيش معه، لا نفارقه ليلاً أو نهاراً، هو: أنفسنا، وما بها

من أجهزة دقيقة، فنحن نأكل الطعام، ولا نفعل شيئا لهضمه وإنما يقوم الجهاز الهضمى العجيب بتحويل هذا الطعام إلى طاقة وإلى دماء تسرى فى شرايبننا وتهبنا الصحة والقوة. والقلب – هذه القطعة الصغيرة التى لا تزيد عن حجم قبضة اليد – هو الذى يوزع الدماء على جميع أعضاء الجسم ويطرد الدم الفاسد ويحوله إلى دم نقى، ولا يَكُف عن العمل لحظة حتى عندما نكون فى نوم عميق. من خلق هذه الأجهزة الدقيقة المنضبطة أبدًا؟ إنه الله.

أحمد: والمخ يا أبى، إنه أعظم مثل على وجود الله وعظيم قدرته، لقد قدرأت فى أحد الكتب العلمية أن المخ به ملايين الملايين من الخلايا حتى لو أننا أنشأنا مركزًا به أسلاك بعدد الخلايا التى فى المخ لاحتجنا إلى مساحة من الأرض تقدر باثنى عشر فدانًا لنقيم عليها هذا المركز، وهذه المساحة يمكن أن يُبْنَى عليها خمسون عمارة ضخمة متلاصقة.

الأب: لقد لفت الله أنظار الناس فى القرآن الكريم إلى هذه الحقائق، ودعاهم إلى التأمُّل فى أنفسهم، فقال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١) أى أنكم لو تأملتم فى أنفسكم وعرفتم ما فيها من أجهزة تساعدكم على الحياة، وعلى الاستمتاع بها لأدركتم أن الله موجود وأنه قادر.

الأب: إن التقدم العلمى العظيم مكننا الآن من معرفة قدرات كثيرة فى النفس البشرية، ومكننا من معرفة الكثير مما يمتلئ به الكون من عجائب وأسرار، ولذلك لا عذر لأحد الآن فى عدم الإيمان بالله وقدرته وعظمته. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر: ٢٨). أى أكثر الناس إيماناً بالله وخشوعاً له هم العلماء الذين كشفوا الكثير من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى.

الأم: إن من أعجب العجب أن نجد فى عصرنا هذا عصر العلم والكشوف العلمية الباهرة قِلة من الناس تنكر وجود الله على الرغم من كل ما عرفه الإنسان عن بديع خلق الله، والكون العجيب الذى يحيط بنا.

الأب: إن هؤلاء الناس لا يمكن أن يوصفوا بالتفكير السليم بل لابد أن فى عقولهم خللاً، وفى تفكيرهم انحراف، فهم كما وصف الله أمثالهم من قبل ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

أى أن الله وهبهم عيوناً ليروا بها عجائب مخلوقاته ودلائل قدرته ليؤمنوا به، ويعبدوه حق عبادته، فلم يروْها على حقيقتها، ولم يعرفوا أثر قدرة الله فيها. وكذلك وهبهم آذاناً يسمعون بها ما جاء فى كتبه على لسان رسله، ليفهموا ويتدبروا وليصلوا إلى معرفة الله ويتيقنوا من وجوده، ولكنهم لم يستفيدوا بها سمعوا، فمثلهم مثل البهائم التى لا تعرف من الحياة إلا الطعام والشراب.

أحمد: ولكن يا أبى بعض هؤلاء المنكرين لوجود الله، والذين نسميهم ملحدين - يقال عنهم إنهم مثقفون وفلاسفة ومفكرون. فكيف لم يهتدوا بعقولهم وثقافتهم إلى وجود الله؟

الأب: إن أمثال هؤلاء تعميهم مصالحهم الشخصية عن الاعتراف بالحقيقة الواضحة - حقيقة وجود الله، فهم يظنون أن إنكارهم لوجود الله يكسبهم شهرة على طريقة "خالف تُعرف".

الأم: إني أشبه مثل هذا الملحد بالبهلوان الذى يلعب فى السيرك أو ما نسميه (البلياتشو) فهو يلبس ملابس غريبة، ويدهن وجهه بألوان صارخة ليلفت أنظار

الناس إليه، فيجودوا عليه ببعض النقود.

الأب: عمومًا يا أولادى لا يوجد عالم حق فى القديم أو الحديث فى الشرق أو فى الغرب إلا اعترف بوجود الله. وإن أنصاف العلماء المغرورين ببعض قشور العلم التى حصلوا عليها هم الذين يتبجحون فينكرون الحقيقة العظيمة، حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى.

الله واحد

اجتمع شمل الأسرة فى جلسة أخرى فبادر عمر أباه قائلاً: إننا نقرأ فى سيرة الرسول ﷺ جهاده العظيم ضد المشركين، فمن هم المشركون يا أبي؟ ولماذا سُموا بهذا الاسم؟.

الأب: إن المشركين هم الكفار الذين كانوا يعبدون مع الله آلهة أخرى يشركونها معه فى الألوهية، وهذا كان شأن معظم العرب فى الجاهلية - أى الفترة السابقة لبعثة الرسول ﷺفهم يعترفون بالله ولكنهم يجعلون معه آلهة أخرى يعبدونها معه، وأحياناً يخصونها بالعبادة من دون الله. ولعلكم سمعتم عن آلهة العرب المزعومة مثل: اللات والعزى ومناة التى ذكرها الله فى قرآنه إلى جانب آلهة أخرى كثيرة، ويطلق على هذه الآلهة الأصنام أو الأوثان.

الأم: وعلى فكرة يا أولاد لم يكن العرب وحدهم هم الذين يعبدون مع الله آلهة أخرى، بل كان هناك أمم كثيرة قبل العرب يعبدون آلهة أخرى مع الله مثل المصريين القدماء، فأنتم قرأتم فى التاريخ عن الإلهين المزعومين رع وآمون وغيرهما كما كان اليونان أو الإغريق وكذلك الرومان يعبدون آلهة متعددة ويجعلون لكل إله اختصاصاً مثل أثينا ربة الحكمة ومارس إله الحرب.. وهكذا.

قالت الصغيرة زينب: ولكن ماذا كان شكل الآلهة التى يعبدها المشركون.

الأب: كانوا يصنعونها من حجارة أو من خشب على شكل إنسان أو حيوان ومن الأمور المضحكة أن أحدهم احتاج إلى صنع صنم فلم يجد أمامه شيئاً يصنع منه الصنم إلا بعض العجوة التى كانت معه، فصنع منها صنمه ولكنه عندما جاع أكله.

أحمد: ولماذا يعبد المشركون مع الله آلهة أخرى ماداموا يعترفون بوجود الله؟

الأب: إنهم يزعمون أنهم يعبدون هذه الآلهة لتقربهم من الله، فهم يرون أنهم لا يمكن أن يتوجهوا بالعبادة إلى الله مباشرة، بل لابد من واسطة.

أحمد: إن هؤلاء الناس أغبياء. كيف يتصورون أن الكون يمكن أن تديره آلهة متعددة. إننا لم نسمع أن دولة من الدول لها ملكان أو رئيسان.

عمر: المثَل يقول: (المركب اللى فيها ريسين تغرق).

ضحك الأب وقال: صدقت يا عمر. وهذا ما قاله الله لهم.

دهش عمر وقال: هل قال الله ذلك؟

الأب: ليس بهذه الألفاظ بل بمعناها فقد قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢) أى لو كان فى السموات والأرض آلهةٌ مع الله لفسدت السموات والأرض. وذلك لأن الآلهة سيختلفون ويصدرون أوامر متعارضة. كما أن كل واحد منهم يريد أن تكون له الرياسة والسيطرة على الكون فيتحاربون كما يحدث مع حكام الدنيا فيفسد الكون.

الإسلام دين التوحيد

من أجل ذلك يا أولادى كانت أول حقيقة يقررها الإسلام ويؤكدها هى:

أنه لا إله إلا الله كما فى الشهادتين اللتين يعلنهما المؤذن كل يوم خمس عشر مرة فى الصلوات الخمس، وينطقها المصلى كل يوم فى صلاته أكثر من عشر مرات. ولذلك سمى الإسلام دين التوحيد وكلكم تحفظون سورة الإخلاص.

زينب: أُسَمِّعها يا أبي؟

الأب: سمعيها يا زينب.

زينب: تقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

ثم قالت زينب: إن اسمها سورة الإخلاص، فلماذا سميت بذلك؟

الأب: سميت بسورة "الإخلاص" لأنها تعبر عن إخلاص المؤمن عبادته لله، فلا يعبد معه إلهاً غيره.

عمر: إننا نفهم معنى الآية الأولى ولكن بقية السورة تحتاج إلى توضيح. أرجو توضيحها يا أبى.

الأب: بكل سرور.. إن الله فى هذه السورة يوضح أهم صفاته: فهو واحد لا شريك له، وهو الصمد، أى السيد المقصود من خلقه على الدوام لقضاء حوائجهم، بينما هو مستغنٍ عن كل خلقه لا يحتاج إلى أحد منهم، ثم ينفى الله عن نفسه ما حاول بعض المشركين إلصاقه به كذباً عندما ادعو أن له ولداً، فنفى ذلك وقرر أنه لم يلد أحداً من خلقه فليس له ابنٌ، كما أن أحداً لم يلده فليس له أب.

ثم ختم السورة بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ أى ليس له نظير أو مثيل من خلقه فهو ليس كمثله شيء.

١- أسماء الله الحسنى

قال أحمد: لقد عرفنا أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يراه أحد ولكن له صفات نريد أن نعرفها.

قال الأب: إن لله صفاتٍ كثيرةً وصف بها نفسه وردت فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، وتُعرف هذه الصفات بأسماء الله الحُسنى.

زينب: نعم.. نعم، لقد قرأت فى كتاب صغير هذه الأسماء وحفظت بعضها. أَسَمِّعها؟

قال عمر: نريد أن نعرف أولاً لماذا سميت بأسماء الله الحُسنى؟

الأب: سميت بذلك أولاً لأنها أسماء لله إذا ذكر أحدها يعرف أنه اسم من أسماء الله. فإذا قال أحدنا: يا كريم أو يا غني أو يا حليم يعرف السامع أنه يخاطب الله. وثانياً: إن هذه الصفات إذا وصف الله بها فهى أحسن الصفات ولا توجد صفة أحسن منها فى مخلوق من المخلوقات. وهذا معنى: الحُسنى.

زينب: أَسَمِّع ما حفظته من هذه الأسماء؟

الأب: هل تعرفين عددها؟

زينب: نعم تسعة وتسعون اسماً، ولكنى لا أحفظها كلها.

عمر: إنى أحفظها كلها.

الأب: إذن نترك زينب تذكر ما حفظته ثم تكمل أنت. قولى يا زينب.

زينب: الله. الرحمن. الرحيم. الملك. القدوس. السلام. المؤمن. المهيمن. العزيز. الجبار. المتكبر. الخالق. البارئ. المصور. الغفار. القهار. الوهاب. الرزاق. الفتاح.

العليم. القابض. الباسط. الخافض. الرافع المعز. المذل. السميع. البصير. الحكم. العدل. اللطيف. الخبير. الحليم. العظيم. الغفور. الشكور.

سكتت زينب، وقالت: فقط.

أحمد: ولكن بعض هذه الصفات معناها غير مفهوم لنا.

الأب: اذكر الصفات التى لا تعرف معناها مما ذكرته زينب.

أحمد: معنى القدوس؟

الأب: القدوس هو المبرَّأ من كل عيب ونقص، والذى لا يمكن أن يكون له شبيهٌ من خلقه.

أحمد: وما المراد بالمؤمن؟ وما الذى يمكن أن يؤمن به؟

الأب: إن المؤمن هو الذى يمنح الأمن للآخرين. فالله هو الذى يؤمِّن الناس أى يحقق لهم الأمن. كما قال تعالى فى سورة قريش: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (قريش: ٤).

وكانت الأم فى أثناء ذلك تصغى إلى ما يقال وهى تصب لهم أقداح الشاى، فقالت: لاحظوا يا أولادى هذه الأسماء الثلاثة من أسماء الله "الرحمن. الرحيم. السلام" فهذه الأسماء تعبر عن روح الإسلام دين الحق فى كل زمان. لقد وصف الله نفسه بالرحمة فى صيغتين مختلفتين هما: الرحمن والرحيم. وهذا يعنى أن الله يطلب من عباده – إذا أرادوا التقرب إليه – أن يكونوا رحماء بينهم.

قال **الأب:** هذا حق. وقد قرر الله فى القرآن الكريم أنه ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ (الأنعام: ١٢) كما وصف المؤمنين بأنهم ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (الفتح: ٢٩).

قالت الأم:وأما اسم "السلام" فهو يعبر أيضاً عن روح الإسلام فهو دين السلام. فالإسلام يدعو إلى السلام، ويكره اللجوء إلى العنف.

عقب الأب قائلاً:حقّاً إنه دين السلام. ولذلك جعل تحيته اليومية "السلام عليكم" وأمر المسلمين ألا يعتدوا على أحد إلا إذا اعتدى عليهم فقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

٢- أسماء الله الحسنى

وفى بداية الجلسة التالية كان عمر متحمساً، لأن يذكر بقية أسماء الله الحُسنى التى يحفظها، واستأذن أباه أن يكملها فأذن له.

فقال: لقد ذكرت زينب آخر اسم حفظته وهو الشكور. وهذه بقية الأسماء: العلى. الكبير. الحفيظ. المُقِيت. الحسيب. الجليل. الكريم. الرقيب. المجيب. الواسع. الحكيم. الودود. المجيد. الباعث. الشهيد. الحق. الوكيل. القوى. المتين. الولى. الحميد. المحصى. المُبْدِئ. المعيد. الحي. القيوم. الواجد. الماجد. الأحد. الصمد.

وهنا تدخل أحمد قائلاً: بعد إذنك يا عمر هل يمكن يا أبى أن توضح لى بعض الأسماء قبل أن أنسى؟

الأب:تفضل يا أحمد.

أحمد:ما معنى هذا الاسم "المقيت"؟

الأب:إن لهذا الاسم الجليل معنيين: الأول: هو أنه هو الذى يخلق الأقوات، أى الأرزاق التى يقتات بها الناس، أى يتغذون بها، فهو يُقيتهم أى يعطيهم القوت. والمعنى الثانى: أنه هو المستولى على كل شيء فى الكون، القادر عليه، فالله حين يقول:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (النساء: ٨٥)، يعنى أنه مسيطر على كل شىء فى الكون، وكل شىء خاضع لإرادته.

أحمد: فما معنى "الحسيب"؟

الأب: هو الكافى الذى يكفى عباده كل شىء، ولذلك نصب منه دائماً أن يكفينا حوائجنا قائلين: حسبنا الله.

أحمد: والواسع ما المقصود منه؟

الأب: هو الذى يسع علمه كل شىء فى الكون أى يحيط به ويدركه. كما قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (طه: ٩٨)، وكذلك تسع رحمته كل فرد من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

أحمد: فما معنى "القيوم"؟

الأب: هو الذى يقوم على كل أمور الخلق، ويحتاج إليه كل خلقه، ولا يحتاج هو إلى أحد.

الأم: إن من الصفات التى وصف الله بها نفسه، والتى تملأ نفسى حبّاً لله وتملأ روحى إيماناً به "الودود" الله! ما أعظم هذا! الله يحبنا ويودنا هذا شىء عظيم.

الأب: نعم.. يحب الله أنواعاً كثيرة من خلقه كما ذكر ذلك فى القرآن الكريم، فهو "يحب المتقين" و"يحب التوابين"و"يحب المتطهرين" و"يحب المتوكلين" و"يحب المحسنين" وغيرهم من ذوى النفوس المؤمنة النقية. أكمل يا عمر.

عمر: ما آخر اسم ذكرته؟

أحمد: الصمد.

عمر: القادر. المقتدر. المقدم. المؤخر. الظاهر. الباطن. المتعال. البَر. التواب. المنتقم. العَفُوُّ. الرءوف. مالك الملك. ذو الجلال والإكرام. الوالى. المقسط. الجامع. الغنى. المغنى. المانع. الضار. النافع. النور. الهادى. البديع. الباقى. الوارث. الرشيد. الصبور، وقد تمت الأسماء الحُسنى بحمد الله.

الأب: شكراً يا عمر. شكراً يا زينب، وجزاكما الله خيراً.

أحمد: عفواً يا أبى. اسمح لى أن أستفسر عن معنى بعض الصفات.

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: ما معنى "البر"؟

الأب: البر: الكثير الإحسان إلى خلقه.

أحمد: وما معنى "المقسط"؟

الأب: المقسط هو الذى يقيم العدل بين خلقه، فينصف المظلوم من الظالم.

أحمد: فما معنى "الجامع"؟

الأب: الجامع هو الذى يجمع كل مخلوقاته فى المكان الذى يريده لهم فيجمع البشر كلهم فى الأرض التى خلقها لهم، ويجمع النجوم والكواكب فى السماء إلى غير ذلك.

أحمد: فما معنى أنه ظاهر باطن فى نفس الوقت؟

الأب: هو ظاهر بظهور آثاره فى الكون. فحينما يتأمل العاقل فى مظاهر خلق الله يزداد إيماناً بوجود الله. وهو باطن فى أنه لا أحد يمكنه رؤيته.

عمر: لكن يا أبى بعض الناس يتصفون بهذه الصفات، فنقول عن شخص: إنه غنى وآخر كريم. فكيف هذا؟

الأب: إذا وصفنا أحداً بهذه الصفات، فهذا يعنى أنه تنطبق عليه مواصفات هذه الصفة بمقاييس الدنيا، فإذا قلنا عن شخص إنه غنى عرفنا أنه يملك قدراً كبيراً من المال ولكن ليس معنى هذا أنه قد امتلك كل أموال الدنيا، أو أنه لا يحتاج إلى غيره من الناس لقضاء حوائجه مثل المهندس أو الصانع أو الطبيب، ولكن إذا أطلقنا هذه الصفة على الله سبحانه وتعالى فنحن نعرف أنه يملك خزائن السموات والأرض ولا يحتاج إلى أحد من خلقه، وكذلك القوى والكريم وغيرهما من الصفات.

الأم: أنبهكم يا أولادى إلى صفة خامسة تعبر أيضاً عن روح الإسلام وهى "الرءوف" التى تعنى أن الله شديد الرحمة بخلقه، ويطلب من عباده أن يكونوا كذلك.

الأب: شكراً لكم. وسنتحدث فى الجلسة التالية إن شاء الله عن الشهادة الثانية: أن محمداً رسول الله.

* * *

أشهد أن محمدًا رسول الله

بعدما صلَّتْ الأسرة صلاة العشاء جلسوا منتظرين حضور الأب ليكملوا الحديث عن أركان الإسلام. جاء الأب وحياهم فبادره عمر قائلاً:

عمر: لقد شرحت لنا يا أبى معنى شهادة أن لا إله إلا الله شرحاً وافياً، فنرجو أن تشرح لنا معنى شهادة أن محمداً رسول الله كذلك.

الأب: إن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تعنى الاعتراف بأنه رسولٌ من عند الله. وهذا يدعو كل مسلم إلى الإيمان بكل ما جاء به.

زينب: وما الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ يا أبي؟

الأب: لقد جاءنا بالقرآن الكريم الذى أنزله الله عليه، وفيه كل ما يجب على المسلمين الإيمان به، وكذلك حدَّث أحاديث كثيرة نقلها عنه أصحابه وأخبروا بها المسلمين الذين جاءوا بعدهم، وفى هذه الأحاديث الشريفة تفصيل لما جاء فى القرآن.

أحمد: وما الذى يجب على المسلم الإيمان به ليكون مسلماً حقّاً؟

الأب: يجب على المسلم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما حدثتكم من قبلُ.

عمر: لقد حدثتنا عن الله كثيراً فى الجلسات السابقة ونرغب أن تحدثنا كذلك عن الملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر.

الأب: يسرنى ذلك. ونسأل الله أن يهديَنا جميعاً سواء السبيل.

الملائكة

عمر: إذن حدثنا يا أبى عن الملائكة.

زينب: أحب أن أعرف الملائكة. إنى أرى صوراً للملائكة ولها أجنحة فهل هذا صحيح يا أبي؟ وهل يمكننا أن نراهم؟

الأب: الملائكة مخلوقات نورانية - أى مخلوقة من نور - ولا يمكن رؤيتهم وقد حدثنا الله فى القرآن الكريم بأن الملائكة لهم أجنحة: بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أو أربعة أو أكثر كما يشاء الله، فقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ (فاطر: ١).

أحمد: ولكن لماذا خلق الله الملائكة؟

الأب: خلقهم الله كما خلق كل المخلوقات من إنس وجن وحيوان ونبات لهدف أساسي وهو عبادته والتسبيح بحمده كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤).

عمر: إذن الملائكة لا عملَ لهم إلا العبادة.

الأب: هى عملهم الأول الأساسي فهم لا يكفون عن العبادة، ولا يتعبون أبداً من ذلك، ولكن لهم إلى جانب ذلك وظائف أخرى يكلفهم الله بها.

أحمد: لو سمحت يا أبى خبرنا عن بعض هذه الوظائف.

الأب: لقد أخبرنا القرآن الكريم عن الملائكة حملة العرش، والملائكة خزنة جهنم والملائكة خزنة الجنة كما حدثنا عن ملائكة الموت.

حملة العرش: فحملة العرش ملائكة مخصصون لحمل عرش ربنا سبحانه وتعالى وهم فى أثناء حملهم العرش لا يكفون عن العبادة والتسبيح والدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم.

الأم: انظروا يا أولادى إلى حب الله لعباده المؤمنين، فهو يكلف أقرب ملائكته إليه الذين يحملون العرش أن يستغفروا لعباده المؤمنين.

خَزَنة جهنم:

الأب: وهناك خزنة جهنم فقد وكَّل الله جل جلاله بالنار ملائكة يحرسونها وقد وصفهم الله بأنهم غلاظ شداد لا يعصون الله فى أمر من الأمور، وينفذون كل ما يطلب منهم، كما ذكر أن عددهم تسعة عشر.

زينب: تسعة عشر فقط. يستطيع الكفار أن يتكاثروا عليهم ويغلبوهم.

الأب: (ضاحكا) لا تنسى يا زينب أنهم ملائكة، وأن الملك الواحد يستطيع أن يهلك الدنيا كلها بصيحة واحدة.

خَزَنة الجنة:

وهناك أيضاً خزنة الجنة الذين يرحبون بالمؤمنين ويحيونهم عند دخولهم الجنة.

ملائكة الموت: كما أن هناك ملائكة الموت الذين يقبضون أرواح الناس.

زينب: آه. سيدنا عزرائيل.

الأب: نعم.. سيدنا عزرائيل وملائكة آخرون يساعدونه.

عمر: ما أسماء الملائكة يا أبي؟

الأب: هناك بعض الملائكة عرَّفنا الله ورسوله بأسمائهم وهم جبريل وميكائيل

ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة وإن لم يذكر اسمه صريحاً فى القرآن الكريم وإسرافيل وعزرائيل وهاروت وماروت. وقد تكون هناك أسماء أخرى لم أقرأ عنها.

أحمد: أعرف يا أبى أن سيدنا جبريل هو الذى كان ينزل بالوحي على نبينا ﷺ.

الأب: نعم.. وقد مدحه الله فى القرآن، وسماه الروح الأمين، فقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (الشعراء: ١٩٣)، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (النحل: ١٠٢)، كما وصفه بالقوة والقرب من الله وطاعة الملائكة له فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ (التكوير: ١٩ - ٢١).

أحمد: هو إذن رئيس الملائكة.

الأب: نستطيع أن نقول ذلك فهو أفضلهم ورسول الله إلى أنبيائه.

عمر: وهل فى الملائكة رسل كما فى الناس رسل؟

الأب: نعم، فالله تعالى يقول: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (الحج: ٧٥)، ومعنى الآية: أن الله يختار من بين ملائكته رسلاً كما يختار بين الناس رسلاً.

أحمد: نعرف أن الرسل من الناس أرسلهم الله إلى الناس ليبلغوهم أوامر الله. فما وظيفة الرسل من الملائكة؟

الأب: وظيفتهم أن يبلغوا أوامر الله إلى أنبيائه وأوليائه من المؤمنين، ويوقعوا العقاب على من يريد الله إيقاعه به.

أحمد: أرجو ذكر أمثلة لذلك.

الأب: إلى جانب الوحى الذى كان ينزل به جبريل على رسل الله كانت تنزل ملائكة تبشر وتنذر، فقد جاءت بعض الملائكة إلى سيدنا إبراهيم فى صورة ضيوف

وبشروه بغلام يُولد له هو سيدنا إسحاق وكان إبراهيم شيخاً كبير، وامرأته عجوز عقيم. ثم ذهبوا بعد ذلك إلى سيدنا لوط لينزلوا العقاب على قومه الفاسقين. كما ذهب بعض الملائكة إلى سيدنا زكريا ليبشروه بولادة سيدنا يحيى. وذهبوا إلى السيدة مريم ليبشروها بمولد سيدنا عيسى من غير أب ولعلكم تعرفون أن الله أنزل ملائكة تحارب وتشجع المسلمين على القتال يوم بدر، عندما استغاث الرسول والمؤمنون ربهم طالبين منه النصر.

أحمد: وهل لا تزال الملائكة تنزل حتى يومنا هذا؟

الأب: نعم.. فقد أخبرنا الله أن الملائكة تنزل فى ليلة القدر بقيادة الروح وهو سيدنا جبريل لينفذوا أمر الله فى خلقه، فقد قال: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ (القدر: ٤).

كذلك أخبرنا القرآن الكريم أن هناك ملكين يلازمان الإنسان طوال حياته ويسجلان أقواله وأفعاله، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٧، ١٨).

زينب: ملك الحسنات وملك السيئات - يا رب يرضى عنى ملك الحسنات ويبعد عنى ملك السيئات.

الأب: وملك السيئات لا يمكن أن يبعد أبداً، لأنه موكَّل بنا هو وملك الحسنات، لا يفارقنا واحد منهما، ولكن عليك أن تحسنى أفعالك وأقوالك فلا يجد ملك السيئات ما يكتبه.

كذلك تنزل الملائكة فى مجالس العلم والقرآن كما أخبرنا الرسول ﷺ فى قوله: (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت

عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده) رواه مسلم عن أبى هريرة ﷺ .

عمر: ما معنى "حفتهم الملائكة" و"نزلت عليهم السكينة"؟.

الأب: أحاطت بهم الملائكة تكريماً لهم. ونزول السكينة معناه الشعور باطمئنان القلب وراحة النفس.

عمر: وما معنى: "ذكرهم الله فيمن عنده"؟

الأب: مدحهم الله أمام الملائكة، ونسأل الله أن يجعل مجالسنا هذه من المجالس المباركة.

الجميع: آمين.

الرسل

أقبل الأب على أولاده هاشًا باشًا، ملاطفاً كل واحد منهم، سائلاً عن أحوالهم الصحية والمدرسية ثم قال:

الأب: والآن يا أولادى سأحدثكم عن الأساس الثالث من أسس الإيمان. هل تذكرين يا زينب الأساسين السابقين؟

زينب: نعم يا أبى، الإيمان بالله والإيمان بملائكته.

الأب: بوركت يا زينب.. والآن إلى الأساس الثالث وهو الإيمان بالرسل.

عمر: أنا أعرف كثيراً منهم وأعرف قصصهم.

أحمد: لماذا أرسل الله الرسل يا أبي؟ ولمن أرسلهم؟

الأب: أخبرنا القرآن الكريم فى آيات كثيرة أن الله أرسل إلى كل الأمم رسلاً

منهم ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويبشروا المؤمنين بثواب الله العظيم لهم لإيمانهم، وينذروا الكافرين بالعذاب الأليم إذا استمروا على كفرهم، وذلك حتى تبطل حجتهم، فلا يَدَّعوا عدم علمهم بما يريده الله منهم، فقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء: ١٦٥)، كما ذكر الله أنه لن يعذب أمة من الأمم إلا بعد أن يبعث إليها رسولاً يدعوها إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: ١٥).

عمر: ما عدد الرسل يا أبي؟

أحمد: هل أجيب يا أبي؟

الأب: تفضل.

عددهم خمسة وعشرون رسولاً.

الأب: هذا العدد هو الذى ذكره القرآن الكريم، ولكنه أخبرنا أيضاً أن الله أرسل رسلاً كثيرين لم يخبرنا بأمرهم، فقال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ ﴾ (النساء: ١٦٤).

أحمد: ولماذا اقتصر القرآن الكريم على ذكر هؤلاء الخمسة والعشرين؟

الأب: لأن هؤلاء الرسل هم الذين يهم أمرهم العرب الذين أُنزل إليهم القرآن، فآدم أبوالبشر لابد أن يعرفوا قصته، وكذلك نوح الذى يعتبر الأب الثانى للبشرية بعد هلاك الناس جميعاً ما عداه ومن معه فى السفينة وبقية الرسل، لأنهم عاشوا فى هذه المنطقة، بل كان بعضهم من العرب.

الأم: إرسال الرسل إلى جميع الأمم أمر حتمي يا أولادي. فما دام الله أخبرنا أنه

لن يعذب أمة حتى يرسل إليها رسولاً يبلغها ما أمر الله به وما نهَى عنه، صار من الضروري أن يرسل رسلاً إلى جميع الطوائف فى كل مكان.. فهل تظنون أن الله يترك الصين أو الهند أو غيرهما من الأمم دون أن يرسل إليهم رسلاً؟

عمر: وعلى هذا فرسل الله كثيرون جدّاً.

الأب: نعم، لا يعلم عددهم إلا الله، وواجبنا الإيمان بذلك مع الإيمان بكل نبى ممن ذَكر القرآن الكريم أسماءهم.

زينب: أحب أن أعرف أسماء الخمسة والعشرين رسولاً وقصصهم.

الأب: إن الحديث عنهم يطول.. وعندما تكبرين ستقرئين كتباً كثيرة تتناول سيرتهم بالتفصيل.

عمر: أعطنا يا أبى نبذة موجزة عن كل واحد منهم إذا تفضلت.

الأب: بكل سرور.. ولكنى أحب أولاً أن أوضح لكم أن دعوة هؤلاء الرسل كانت جميعاً واحدة، وهى الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك كل عبادة أخرى، فكان كل رسول يقول لقومه، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥)، وقد حدثتكم من قبل أن دين هؤلاء الرسل جميعاً كان الإسلام، فهو دين الله الحق الذى لا يقبل غيره كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩)، والإسلام - كما أخبرتكم - هو الخضوع التام لله، وفعل كل ما أَمر به، وترك كل ما نهى عنه.

زينب: ما أول الرسل يا أبي؟

الأب: هو سيدنا آدم عليه السلام.

أحمد: ولكن لمن أُرسل وهو أول الخلق؟

الأب: أُرسل إلى أولاده وأحفاده ليعلمهم الدين ويوضح لهم ما يطلبه الله منهم، وتعلمون أن الله خلقه من طين، وأمر الملائكة أن يسجدوا له تكريماً للإنسان، فسجدوا جميعاً إلا إبليس الذى صار عدوّاً لآدم، وأسكن الله آدم الجنة، وحذره من وساوس إبليس، وخلق منه زوجته حواء ليكون منهما النسل، ولكن إبليس نجح فى إغواء آدم وزوجته، ففعلا ما نهاهما الله عنه، وهو الأكل من شجرة معينة فى الجنة نهيا عن الأكل منها، فأنزلهما الله من الجنة إلى الدنيا عقاباً لهما، كما أنزل إبليس معهما ليكون عدوّاً لهما ولأولادهما.. وكل هذا لحكمة أرادها الله.

أحمد: هل يمكن أن نعرف شيئاً عن هذه الحكمة.

الأب: الحكمة أشار الله إليها فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (الملك: ٢)، فقد بين الله لنا أن الحياة التى نحياها والتى يعقبها الموت هى فترة اختبار ليُعْرَف المحسن من المسيء، فيكافَأ المحسن ويعاقَب المسيء، وكل اختبار له أسئلة وأسئلة هذا الاختبار تتمثل فى إبليس هل نطيعه ونعصى الله؟! أو نعصيه ونطيع الله؟ من أجل ذلك أهبط الله آدم وزوجته وإبليس إلى الأرض.

زينب: نعوذ بالله من إبليس اللعين.. حدثنا يا أبى عن الرسول الثانى.

الأب: هو سيدنا نوح عليه السلام.

زينب: سيدنا نوح.. لقد عاش ألف سنة.. عمر طويل جدّاً.

الأب: نعم يا بُنَيتى.. لقد أخبرنا القرآن أنه عاش بين قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً أى تسعمائة وخمسين سنة.

أحمد: معنى ذلك يا أبى أنه قد عاش أكثر من ذلك.

الأب: ربما.. لأن القرآن يحدثنا أن الله أغرق قومه بالطوفان، ونجى نوحاً ومن معه، ولا شك أنه عاش بعد ذلك سنين أخرى فيكون عمره ألف سنة أو أكثر.

زينب: لماذا أغرق الله قومه؟ وما معنى الطوفان؟ وكيف نجا سيدنا نوح؟

الأب: ظل سيدنا نوح يدعو قومه إلى عبادة الله وحده كل هذه المدة الطويلة، فلم يستجيبوا له.. فلما يئس منهم دعا الله أن يهلكهم، وينجيَه ومن معه من المؤمنين، فأمر الله أن يصنع سفينة ليدخلها هو والمؤمنون معه، لأن الله سيرسل على الكافرين ماء غزيراً من السماء والأرض فيغرقهم، وتسير السفينة فى هذا الماء لا يضرها شيء.

زينب: يعنى الطوفان هو الماء الكثير؟

الأب: كثير جدّاً لدرجة أن السفينة كانت تجرى فى أمواج كالجبال كما وصف القرآن الكريم.

عمر: قرأت يا أبى أن سيدنا نوحاً حمل معه من كل صنف من الحيوان زوجين اثنين ذكراً وأنثى.

الأب: نعم لكى تبقى الحياة على الأرض ولا تفنَى.

زينب: كل ذرية سيدنا نوح نجت من الغرق؟

الأب: كلها نجت ما عدا أحد أبنائه، لأنه لم يؤمن بالله، وكذلك زوجة سيدنا نوح التى انضمت إلى الكافرين ضد سيدنا نوح، وقد حاول سيدنا نوح أن يُغرى ابنه بالإيمان وركوب السفينة لينجوَ من الغرق، ولكنه رفض وقال: سألجأ إلى جبل يحميني من الماء، فقال له أبوه: لن ينجوَ أحد من الغرق إلا من ركب السفينة، فلم

يسمع كلامه، ثم فوجئ بالماء يغطى قمة الجبل فغرق.

الأم: ما أعظم العدل الإلهى.. لا محاباة فيه ولا محسوبية.. فهذه امرأة نوح لم يشفع لها عشرتها الطويلة مع سيدنا نوح ﷺ، فتكون من الناجين، وأكثر من ذلك ابنه، فلم ينفعه أنه ابن نوح النبى فينجو من الغرق.

الأب: لقد شكا نوح لربه أن ابنه غرق وهو من أهله، بينما الله وعده بأن ينجيَ أهله معه.. فأخبره الله أنه ليس من أهله، لأن العبرة بقرابة الإيمان، وليست بقرابة الدم.

الأم: أذكر أن رسولنا محمداً ﷺ قال كلاماً مثل هذا، فحينما تشفع أحد صحابته لامرأة من قريش سرقت، قال – بعد أن أفهمهم خطأ هذه المحاولة وخطرهم على المجتمع – والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

أحمد: وأنا قرأت موضوعاً فى كتاب القراءة أن أميراً من العرب أسلم وفى مرة كان يطوف بالكعبة فداس رجل من عامة الناس إزاره فاغتاظ الأمير ولطم الرجل على وجهه، فشكا الرجلُ الأميرَ إلى أمير المؤمنين عمر، فأحضر الأمير وأمره أن يمكن الرجل من القصاص منه، أى يصفعه مثلما صفعه، فأبى الأمير تكبرًا، ولكن عمر أصر على رأيه، فاستمهله الأمير إلى الغد، ثم هرب إلى بلاد الروم.

الأب: نعم.. فالمساواة مبدأ من مبادئ الإسلام فقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال ﷺ: "لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى".

زينب: من النبى الثالث بعد نوح يا أبى.

الأب: إدريس ﷺ.

أحمد: لقد قرأت أنه عاش فى مصر وكان اسمه هرمس.

الأب: ربما، لكن القرآن لم يخبرنا عنه إلا أنه كان من الأنبياء الصديقين أى المشهورين بالصدق وبتصديق كل ما يخبر الله به، وأن الله قد رفع درجته فقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم: ٥٦، ٥٧).. ونكتفى بهذا القدر ونؤجل الحديث إلى جلسة تالية.

* * *

الأنبياء العرب

عندما انعقدت الجلسة بادر أحمد أباه قائلاً:

أحمد: لقد قرأت أن الله أرسل أنبياءً من العرب غير سيدنا محمد ﷺ.

الأب: نعم، أرسل الله ثلاثة أنبياء من العرب غير رسولنا الكريم هم: هود وصالح وشعيب عليهم جميعاً السلام. فأما هود: فكان يقيم فى مكان يُسمَّى الأحقاف، وأما صالح فكان يعيش فى مكان يقال له الحِجْر، وأما شعيب فكان يقيم فى مَدْيَن.. وهذه الأماكن فى بلاد العرب.

زينب: قل لنا يا أبى قصة كل واحد منهم.

الأب: أولهم هو هود عليه السلام، أرسله الله إلى قومه قبيلة عاد، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وظل ينصحهم، ويبذل كل جهد لهدايتهم، ولكنهم رفضوا استكبارًا وعنادًا، فأرسل الله عليهم ريحًا عاصفة شديدة كانت تحمل الرجل فتفصل رأسه عن جسده، ويرتمى جسده على الأرض كأنه جذع نخلة، وذلك لأنهم كانوا طوالًا عمالقة.. وأما صالح

أحمد: أتأذن لى يا أبى فى أن أقص قصته؟ فقد قرأتها في قصص الأنبياء منذ قريب.

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: لقد أرسل الله نبيه صالحاً إلى قبيلته ثمود، وهى قبيلة عربية جاءت بعد قبيلة عاد، فدعاهم أيضاً بدعوة الإسلام، وهى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه، وتحدوه أن يأتيَهم بمعجزة تؤكد صدق قوله، ففوجئوا بناقة تخرج من قلب صخرة

لم يشاهدوا مثلها في ضخامتها وجمالها وقوتها، ولكن الله أراد أن يعاقبهم لتحديهم نبيه صالحًا، فجعل هذه الناقة تقاسمهم الماء من البئر التى تشرب منها القبيلة، للناقة يوم تشرب فيه وحدها وتمتنع القبيلة من الاقتراب من البئر، ولهم يوم يشربون منه وحدهم دون الناقة.. وكان هذا شرطًا أساسيًّا، وحذرهم سيدنا صالح أنهم إذا مَسُّوا الناقة بسوء فسيأتيهم عذاب أليم، فلم يصبروا عليها وقتلوها، فأخذتهم الصيحة وهى صوت بالغ الشدة لا يمكن لكائن حى أن يتحمله، فأصبحوا جثثًا هامدة.

الأب: أحسنتَ يا أحمد.. هذه فعلًا قصة سيدنا صالح ﷺ

زينب: بقى سيدنا شعيب ﷺ فما قصته؟

الأب: أرسل الله سيدنا شعيبًا ﷺ إلى أهل مدين، وكانوا مشهورين بالنقص فى المكاييل والموازين، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وأن يوفوا الكيل والوزن عند البيع، فلم يستجيبوا لدعوته، فأخبرهم أن الله سيعاقبهم بعذاب أليم لو استمروا فى جرائمهم، فلم يتهموا بتهديده فأهلكهم الله جميعًا.

أبو الأنبياء إبراهيم وأولاده عليهم السلام

زينب: لقد ذكرت لنا الآن يا أبى ستة أنبياء، بقى تسعة عشر من هم؟

الأب: مهلًا يا زينبُ، سأذكرهم جميعًا فلا تتعجلى، سأحدثكم الآن عن أبى الأنبياء إبراهيم ﷺ.

عمر: ولماذا سمى بأبى الأنبياء؟

الأب: لأن كل الأنبياء الذين أتوا بعده من ذريته.

زينب: حتى سيدنا محمد ﷺ؟

الأب: نعم.. فهو من نسل ابنه إسماعيل عليه السلام ولعلك تذكرين أن رسولنا سمى أحد أبنائه إبراهيم تيمناً باسم جَده.

أحمد: لقد أكرم الله سيدنا إبراهيم فجعل أبناءه وأحفاده أنبياء.

الأب: نعم، فقد كان لإبراهيم ابنان: إسماعيل وإسحاق وهما نبيان، وولد إسحاق يعقوب، وولد يعقوب يوسف، ويعقوب ويوسف نبيان أيضاً ومن ذريتهم بقية الأنبياء.. ولكن دعونى أحدثكم أولاً عن سيدنا إبراهيم.. لقد نشأ بين قوم يعبدون الأصنام وعلى رأسهم أبوه، فأخذ إبراهيم يدعوهم إلى عبادة الله، وترك عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر، ولما لم يستجيبوا لدعوته، انتهز فرصة غيابهم – ذات مرة – وكسر أصنامهم ليبين لهم أنها لا تستطيع الدفاع عن أنفسها، فقرروا الخلاص منه بإحراقه بالنار، ولكن الله أنجاه منها، فجعلها برداً وسلاماً عليه، فقد أمر النار بذلك فى قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء: ٦٩).

عمر: ماذا صنع سيدنا إبراهيم بعد ذلك؟

الأب: أمره الله أن يتجه إلى الأرض المباركة بالشام، وكان معه ابن أخيه لوط وكان نبيّاً أيضاً.

زينب: سمعت يا أبى أن سيدنا إبراهيم ذبح ابنه.. فمن هذا الابن؟ ولماذا أمره الله بذبحه؟

الأب: هو سيدنا إسماعيل جد سيدنا محمد ﷺ وذلك أن سيدنا إبراهيم كان كبير السن فى مرحلة الشيخوخة، وكانت امرأته كذلك وكانت عاقراً، فلم يرزقا بولد، فطلبت منه زوجته أن يتزوج خادمتها هاجر، وكانت هاجر أميرة مصرية

أهداها ملك مصر إلى سارة، فتزوجها إبراهيم فولدت له إسماعيل.

عمر: الله، المصريون أخوال سيدنا إسماعيل.

الأب: نعم.. وأكثر من هذا هم أخوال إبراهيم ابن سيدنا محمد ﷺ من مارية القبطية التى أهداها المقوقس أمير مصر إليه حينما أرسل إليه سيدنا محمد ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام.

الأم: ولذلك قال ﷺ (استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم نسباً وصِهْراً).

الأب: نعم، والمراد بالقبط جميع المصريين، فقد كان يطلق على الأمة المصرية كلها اسم القبط.

أحمد: إذن، فهذا هو سبب تسمية مصر (إيجيبت).

عمر: الله، قبط – إيجيبت – إن اللفظين متقاربان.

الأب: نعم.. فإيجيبت هى الاسم اليونانى لمصر، ولنرجع إلى حديثنا. بعد فترة من الزمن لم تطق السيدة سارة أن تبقى هاجر وابنها معها، فأمر الله خليله إبراهيم – لحكمة أرادها – أن يذهب بهاجر وابنها إلى مكة التى كانت فى ذلك الوقت بقعة جرداء أو كما قال عنها القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ﴾ (إبراهيم: ٣٧)، تركهما سيدنا إبراهيم فى رعاية الله ورجع إلى الشام، وعندما بلغ ابنه إسماعيل سن الشباب رأى سيدنا إبراهيم فى المنام أنه يذبح ابنه، فعلم أن هذا أمر من الله بذبحه، فأخبر ابنه إسماعيل بذلك، فقال له: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٢)، فلما أخذ يعد العدة لذبحه، وأرقده للذبح، أمر الله نبيه إبراهيم أن يتوقف عن الذبح، لأن الله كان يختبر إيمانه وإيمان إسماعيل، وقد نجحا فى الاختبار، وفدى الله إسماعيل بكبش

عظيم يُذبح بدلاً منه.

أحمد: لقد قرأت يا أبى أن الله كلف سيدنا إبراهيم أن يبنى الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل.

الأب: نعم.. أمر الله نبيه وخليله إبراهيم ﷺ أن يبنيَ البيت أى الكعبة، ويطهر مكانه من الأصنام وغيرها من الأنجاس ليكون مكاناً لعبادة الله وحده يطوف به الطائفون، ويصلى فيه المصلون، ففعل إبراهيم ما أُمر به، وكان يساعده ابنه إسماعيل عليهما السلام.

عمر: متى وُلد إسحاق؟ وهل أمه سارة أو هاجر؟

الأب: وُلد إسحاق بعد مولد إسماعيل بحوالى أربعة عشر عاماً، وأمه سارة وكانت عجوزاً لا تلد - كما حدثتكم - ولكن الله أراد إكرامها فأرسل إليها ملائكة يبشرونها وزوجها بأنها ستلد إسحاق، وأكثر من ذلك بشروهما بيعقوب الذى سيولد لإسحاق، أى أن البشرى تضمنت أمرين: أنهما سيرزقان بولد وأن هذا الولد سيعيش ويكبر ويكون له ولد.

عمر: قلت يا أبى إن إبراهيم حينما هاجر إلى بلاد الشام كان معه ابن أخيه لوط، فماذا حدث لسيدنا لوط؟

الأب: استقر فى مكان قريب من عمه فى بلاد الشام يُقال له: "سدوم" وأرسله الله إلى أهل سدوم يدعوهم إلى عبادة الله، وأن يكفوا عن الفاحشة التى اشتهروا بها، ولكنهم لم يستجيبوا له، وأخذوا يوبخونه على دعوته هذه، وكانت زوجة سيدنا لوط تؤيدهم فى ذلك - مثلما فعلت امرأة سيدنا نوح - فانتقم الله منهم، فأرسل ملائكته لينزلوا بهم العقاب وهم نفس الملائكة الذين أرسلهم لتبشير إبراهيم بإسحاق

ويعقوب، فقد تركوا سيدنا إبراهيم، وذهبوا إلى سيدنا لوط، وطلبوا منه أن يغادر سدوم ليلاً هو وأهله ما عدا زوجته الكافرة التى استحقت العقاب لمشاركتها قومها فى الكفر، ثم قلبت الملائكة المدينة بمن فيها من الكفار، وجعلوا عاليَها سافلَها، ورموهم بحصًى شديد أخذ يتتابع عليهم كالمطر فهلكوا جميعاً.

زينب: بقى من أحفاد سيدنا إبراهيم سيدنا يوسف.

الأب: يكفينا هذا فى هذه الجلسة.. وأظنكم تعرفون جميعاً قصته، ولكنى سأوجزها لكم فى الجلسة التالية إن شاء الله.

يوسف عليه السلام

وأقبل الأب فحيا أسرته واستأنف حديثه.

الأب: كان يعقوب يحب ابنه يوسف حُبّاً جمّاً، فدعا ذلك إخوته إلى الغيرة منه، وحاولوا التخلص منه، فاحتالوا على أبيه حتى تركهم يأخذونه معهم، فألقوه فى بئر بها بعض الماء، فأقبلت قافلة فعثروا عليه فباعوه فى مصر إلى العزيز أى ما يشبه الآن المحافظ أو الوزير، ولكن امرأة العزيز وقعت فى حبه فصدها احتراماً لسيده، فأخذت تكيد له عند زوجها حتى أمر بإلقائه فى السجن، مكث فى السجن فترة عرف عنه فيها أنه بارع فى تفسير الأحلام، فرأى الملك رؤيا أزعجته، فدلوه على يوسف ففسرها له، فأعجب به وولاه خزانة الدولة، فكانت خزائن القمح والحاصلات الزراعية تحت تصرفه، وحدثت مجاعة فى بلاد الشام حيث يقيم أبوه وإخوته، فجاءوا إلى مصر ليشتروا من هذه المحصولات، فعرف يوسف إخوته ولم يعرفوه، وطلب منهم إحضار أخيهم الأصغر، ودبر حيلة لإبقائهِ معه، وأخيراً كشف لهم عن حقيقته، وطلب منهم إحضار والديه وجميع إخوته وجمع الله شملهم وسجدوا له حينما دخلوا

عليه تحية له وتعظيماً، وكان هذا تفسير الرؤيا التى رآها وهو صغير أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له.

أنبياء بني إسرائيل

زينب: الآن يا أبى حدثتنا عن أحد عشر نبيّاً وبقى أربعة عشر.

الأب: ثلاثة عشر منهم من بنى إسرائيل، وأما الرابع عشر فهو خاتمهم وهو سيدنا محمد ﷺ.

زينب: ومن هو إسرائيل هذا؟

الأب: هو سيدنا يعقوب عليه السلام، وكان له اثنا عشر ابناً يُعرف نسلهم بالأسباط أى مثل القبائل، وسمى هؤلاء الأسباط ببنى إسرائيل.

موسى عليه السلام

وأول نبى منهم هو سيدنا موسى عليه السلام الذى ولد فى مصر ونشأ بها، وأرسل إلى قومه فيها.

عمر: وما الذى أتى ببنى إسرائيل إلى مصر، وهم من بلاد الشام؟

الأب: عرفتم أن سيدنا يوسف استدعى والديه وإخوته إلى مصر، فأقاموا بها وتناسلوا وأصبحوا يكوِّنون جالية كبيرة. عرفت ببنى إسرائيل، وولد منهم موسى.

زينب: أعرف قصة ولادته.. هل أقولها؟

الأب: قولي باختصار.

زينب: لما ولدت الأم طفلها وضعته فى صندوق وألقته فى النيل فعثر عليه خدم فرعون.

أحمد: لم تقولى لنا لِمَ فعلت أمه ذلك؟!

زينب: لا أعرف.

أحمد: لأن فرعون كان يأمر بذبح كل طفل ذكر يُولد فى بنى إسرائيل، لأن الكهنة حذروه من مولود سيولد فى بنى إسرائيل سيقضى على ملكه.

زينب: أخذ الخدم موسى فى صندوقه إلى فرعون، فأحبته زوجته وطلبت من فرعون ألا يقتله، فسيكون ابناً لهما فوافق فرعون.

الأب: حسن يا زينب.. وأحضروا له المراضع فلم يقبل على واحدة منهن، فأحضرت لهم أخته - وهم لا يعرفون صلتها بموسى - أمها على أنها مرضعة فأقبل عليها ورضع منها، فأعطونه إياها لترضعه حتى يكبر.

عمر: هل أكمل يا أبي؟

الأب: أكمل يا عمر.

عمر: لما كبر سيدنا موسى، سار فى طرقات المدينة، فوجد رجلين أحدهما مصري والآخر إسرائيلي يتشاجران، فاستغاثه الإسرائيلي، فضرب موسى المصري ضربة قضت عليه، وندم موسى على ذلك، وفى اليوم التالى رأى سيدنا موسى نفس الإسرائيلى وهو يتشاجر مع مصري آخر، فوبخه موسى واتجه لفض المشاجرة، فخاف الإسرائيلي أن يضربه موسى كما ضرب المصري بالأمس، فقال له: أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري بالأمس، فطار المصري إلى الحاكم وأخبره بأن موسى هو الذى قتل المصري أمس، وكانوا يبحثون عن القاتل.

الأب: شكراً يا عمر.. أرى أنكم تعرفون القصة كلها فلا داعى للتكرار، ويكفى

أن أخبركم أن موسى هرب إلى مَدْيَنَ وهى قريبة من سيناء، وأكرمه شيخ مدين، لأن ابنتيه أخبرتاه أنه ساعدهما على سقى الغنم من البئر، فاتفق مع شيخ مدين - ويقال إنه سيدنا شعيب - على أن يخدمه ثمانى سنوات أو عشرا ويزوجه ابنته، وتمت المدة وأراد الرجوع إلى مصر، وفى سيناء عند جبل الطور كلمه ربه، وأرسله نبياً إلى فرعون ليخلص من شره بنى إسرائيل، ولكن موسى خاف أن يقتله فرعون، فطلب الله منه أن يلقى عصاه إلى الأرض فتحولت إلى ثعبان عظيم ففر موسى ولكن الله استدعاه وأخبره أن الثعبان سيعود عصاً كما كانت، وأنها معجزة له ليريها لفرعون كما أمده بمعجزة أخرى، وهو أنه إذا وضع يده تحت إبطه تخرج بيضاء من غير مرض، فطلب موسى أن يمده بهارون أخيه ليكون وزيراً له أى مشيراً وناصحاً، فكلف الله هارون بذلك، وجعله أيضاً نبياً.. فهذان نبيان من بنى إسرائيل يا زينب.

ذهب موسى وهارون إلى فرعون ودعواه بدعوة الأنبياء وهى أن يعبد الله وحده وطلبا منه أن يرسل معهما بني إسرائيل ليخرجوا من مصر، ويكونوا أحرارا، وأراه موسى المعجزتين، فقال فرعون: هذا سحر، وجمع له السحرة فعرفوا أن هذه معجزة وليست سحراً، فآمنوا به، فغضب عليهم فرعون وهددهم بالقتل والصلب، فلم يبالوا، واشتد إيذاء فرعون لموسى وبنى إسرائيل حتى أنجاهم الله، وذلك أنهم هربوا جميعاً من مصر ليلاً، فاتبعهم فرعون وجنوده، وعند البحر الأحمر ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق البحر إلى طرق يابسة يمكن العبور عليها بين الأمواج المتلاطمة، فأسرع فرعون ليعبر وراء موسى، ولكن البحر أطبق عليه وعلى جنوده.

زينب: الله أكبر.. أظن سيدنا موسى عاش فى راحة هو وقومه بعد نجاتهم.

الأب: كلا، لم يسترح سيدنا موسى، لقد عانى من بني إسرائيل وعنادهم معاناة شديدة.

أحمد: لقد عبدوا العجل.

الأب: تصوروا بعد فضل الله العظيم عليهم حنوا لعبادة العجل التى كانوا يمارسونها مع المصريين.

الأم: لقد سرقوا ذهب المصريين ليلة خروجهم هاربين من مصر.

زينب: سرقوا الذهب.. كيف؟

الأم: اتفقوا على أن كل امرأة تطلب من جارتها استعارة جزء من حليها لتتزين به فى فرح، ثم أخذوا ما استطاعوا جمعه وهربوا، وذلك لأن اليهود يستحلون سرقة غيرهم.

الأب: وقد انتقم الله منهم فلم ينتفعوا بهذا الذهب، لأن واحداً منهم اسمه السامري أخذ منهم الذهب وصنعه عجلاً ليعبدوه، فلما علم موسى بذلك غضب وأحرق العجل الذهبى ورماه فى البحر.

عمر: وكيف انتهت قصة موسى مع قومه؟

الأب: ظلوا يعاندونه ويتعنتون معه، وقد أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة وهى فلسطين فجبنوا وقالوا لموسى: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٢ - ٢٤). فحكم الله عليهم أن يتيهوا فى صحراء سيناء أربعين سنة لا يعرفون لهم اتجاهاً ولا هدفاً.. ومات سيدنا موسى فى أثناء ذلك

ونكتفي اليوم بذلك، وإلى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

داود وسليمان عليهما السلام

وبدأ الأب حديثه فى الجلسة التالية عن نبيين آخرين من بني إسرائيل هما أب وابنه: داود وسليمان عليهما السلام.

الأب: أخبرنا الله فى القرآن الكريم أن من أنبيائه المفضلين داود وسليمان، أما داود فهو الأب، وكان شجاعاً، فقد قتل فى الحرب رجلاً طاغية من الكفار وهو جالوت، وكان داود فى أول مراحل الشباب، وكان كثير التسبيح لله، وكان عندما يسبح تتجاوب الجبال مع تسبيحه، وعلمه الله صنعة الحديد فكان يصنع منه الدروع، وأما سليمان فهو ابنه.

زينب: صاحب بساط الريح..

الأب:لقد كان سليمان نبيّاً صالحا كثير العبادة لله، وقد سأل الله أن يعطيَه مُلكاً لا ينبغى لأحد من بعده، فسخر الله له الريح تجري بأمره إلى أي مكان يريد، كما جعل الجن والشياطين فى خدمته تفعل له ما يريد.

عمر:أنا أعرف قصة عن سيدنا سليمان.

الأب:اذكرها يا عمر.

عمر:كان سيدنا سليمان يعرف لغة الحيوانات والطير، وفى مرة كان يمر بوادى النمل فسمع نملة تحذر زميلاتها من سليمان وجنوده كى لا يدوسوها، فضحك سليمان متعجباً.

أحمد:وكذلك قصته مع الهدهد الذى غاب أثناء العرض عن مكانه فهدد سيدنا سليمان بعقابه، فلما حضر أخبر سيدنا سليمان بأنه فى أثناء طيرانه وجد ملكة عظيمة

لها عرش عظيم وهى وقومها يعبدون الشمس، فأرسله إليهم سيدنا سليمان بكتاب يدعوهم فيه إلى الإسلام، فأرسلت إليه هدايا فرفضها، وهددهم بالغزو، ثم طلب من حاشيته أن يحضروا عرشها ليفاجئَها به عند حضورها إليه، فقال عفريت من الجن: أنا أستطيع إحضاره قبل أن تنتهى من مجلسك. وقال رجل صالح أعطاه الله علما من عنده: أنا أستطيع إحضاره فى طرفة عين، وأحضره فعلاً، فلما رأته الملكة تعجبت من ذلك، ولكنها تعجبت أكثر عندما دخلت قصر سليمان ففوجئت بالماء يغمر الطريق الذى ستمر به فكشفت عن ساقيها لتحمى ثيابها من البلل، فأخبرها سيدنا سليمان أنه ليس ماء ولكنه بللور نقى، فعلمت أنه نبي فأسلمت.

عمر: اسمها بلقيس؟ الأب: يُقال ذلك.

عمر: عرفنا الآن أربعة أنبياء من بنى إسرائيل، فمن الباقون؟

الأب: أيوب العابد الصابر الذى ابتلاه الله بالمرض، وبفقد الأولاد فصبر، فكافأه الله على صبره بالصحة والأولاد الكثيرين، وسيدنا يونس.

زينب: الذى أكله الحوت.

الأب: لم يأكله الحوت يا زينب، ولكن حفظه الله فى بطنه، ثم أخرجه منه سالماً.

زينب: ولكن لماذا حدث له هذا؟

الأب: لقد أرسله الله إلى قومه، فظل يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وهم لا يستجيبون، فرحل عنهم غاضباً وركب سفينة تنقله إلى بلد بعيد عنهم، ولكن السفينة كادت تغرق لثقل الحمولة، فقرروا التخلص من واحد من الركاب لتخف الحمولة، فأجروا قرعة فطلعت على سيدنا يونس، فألقوه فى البحر، فابتلعه الحوت وظل فى بطنه ثلاثة أيام، فظل سيدنا يونس يسبح الله ويستغفره حتى عفا عنه، وأمر الحوت

بإلقائه على البر، فعاد إلى قومه فوجدهم قد ندموا على إغضابه، وآمنوا به جميعاً وكانوا مائة ألف أو أكثر، وإنما فعل الله به ذلك تأديباً له على تركه قومه، ويأسه منهم وكان ينبغى له أن يصبر.

وهناك النبى إلياس، وقد أرسله الله إلى قوم يعبدون صنماً اسمه بَعْل، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك هذا الصنم، فلم يؤمنوا به، فحل عليهم عقاب الله.

وهناك نبيان لم يذكر لنا القرآن الكريم شيئاً عنهما سوى أنهما من الرسل، وهما اليسع وذو الكفل عليهما السلام.

ونأتى أخيراً إلى ثلاثة أنبياء تربطهم صلة القرابة وهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، فزكريا هو زوج خالة السيدة مريم وهو الذى كان يشرف على تربيتها وهى صغيرة، وكان كبير السن، وامرأته عاقر، فلم يرزقا بولد، وكان زكريا كلما دخل على مريم المحراب التى كانت تتعبد فيه – لأنها كانت خادمة المعبد كما نذرتها أمها وهى فى بطنها، وقد ظنت أنها ستكون ذكراً، فلما وضعتها أنثى قررت نذرها أيضاً لخدمة المعبد – كان يجد عندها رزقاً أى طعاماً، فيسألها من أين لك هذا؟ فتقول هو من عند الله، عندئذ دعا زكريا ربه القادر على كل شىء أن يرزقه بغلام، فبشرته الملائكة بيحيى الذى سيكون نبيّاً صالحاً، وينقطع لعبادة الله فلا يهتم بشىء من أمور الدنيا، وعاش سيدنا يحيى يدعو قومه اليهود إلى تنفيذ أحكام التوراة وما بها من وصايا، ولكنهم ضاقوا به فقتلوه كما قتلوا أباه من قبل.

وأما سيدنا عيسى وهو آخر أنبياء بنى إسرائيل، فقد وُلد من السيدة مريم دون أب كما تعرفون، وكانت هذه معجزة عظيمة، وأرسله الله نبيًّا إلى بني إسرائيل، وأعطاه معجزات كثيرة منها: شفاء الأعمى والأبرص، وبعث الروح فى صور طينية

في شكل طير، فتتحول إلى طير بإذن الله، وإحياء الموتى بإذن الله، ولكنَّ بنى إسرائيل اتهموه بالسحر، وحرضوا عليه الحاكم الرومانى، فأرسل جنده إليه ولكن الله ألقى شبهه على الخائن الذى وشى به إلى الحاكم، فأُخذ بدلاً منه وصُلب وقتل وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى عليه السلام.

وقد بشر سيدنا عيسى بقومه بمجيء سيدنا محمد ﷺ نبيّاً بعده لينقذ البشرية من ضلالها، وهو حديث جلستنا المقبلة إن شاء الله.

محمد خاتم المرسلين ﷺ

أخذت الأسرة أماكنها انتظاراً لقدوم الأب، وهم مشوَّقون لسماع الحديث العطر عن رسولنا الكريم ﷺ، وجاء الأب وحياهم ثم قال:

الأب: إن الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ يطول ويطول، ولا يمكن استيعابه فى جلسة أو عشر أو حتى مائة، فقد كُتبت عنه مجلدات لا يُحصى عددها منذ وفاته حتى الآن. والكتابة عن رسولنا العظيم ﷺ تشمل نوعين من الموضوعات:

النوع الأول: يتناول الأحاديث التى كان يحدِّث بها أصحابه أو الأفعال التى يرشدهم بها، وهذا النوع يسمى السُّنة أو الحديث، وقد جمع هذه الأحاديث علماء مشهورون على رأسهم البخارى ومسلم اللذان سميا كتابيهما الجامع الصحيح، وأصبح يطلق على الأول صحيح البخارى والثانى صحيح مسلم، وهما فعلاً أصح كتابين فى الحديث، ثم هناك أربعة كتب يطلق عليها السنن كما سماها أصحابها وهى سنن أبى داود، وابن ماجه والترمذى والنّسائى، ويطلق على الجميع: الكتب الستة، وهناك كتب أخرى فى الحديث ولكن الكتب الستة أشهرها.

والنوع الثانى: كتب تشمل تاريخ حياة الرسول ﷺ وتسجل كل الأحداث والمعارك

التي مر بها وتعرف هذه الكتب بكتب السيرة، وأشهرها السيرة النبوية لابن هشام، ومازال الناس حتى يومنا هذا يكتبون سيرته، ويحللون مواقفها باللغة العربية، وبمعظم اللغات الحية، من أجل ذلك يصعب الحديث عن سيدنا رسول الله ﷺ .

أحمد: نرجو يا أبى أن تحدثنا عن أهم المواقف فى حياته.

الأب: سأوجز لكم الحديث عن حياة الرسول ﷺ متوقفاً عند المحطات الهامة فى حياته.

ينتمى الرسول ﷺ إلى أهم قبائل العرب، وأكثرها تحضراً وهى قبيلة قريش التى تعيش بمكة حول الكعبة، وقد ولد يتيماً، فقد مات أبوه قبل مولده، وماتت أمه وهو فى السادسة من عمره، فرباه جده عبدالمطلب الذى مات بعد عامين، فتولى عمه أبوطالب تربيته، وقد عاش أبوطالب طويلاً وشهد دعوته، وكان نعم الحامى له، وإن كان لم يؤمن.. ولما كبر قليلاً رعى الغنم، ثم اشتغل بالتجارة فى مال السيدة خديجة التى أعجبت بأمانته وصدقه فتزوجته وهو فى الخامسة والعشرين، وهى فى الأربعين، وقد سبق لها الزواج قبله مرتين، والآن سأتخير لكم بعض المراحل الهامة فى حياة الرسول ﷺ ، وأتوقف عندها قليلاً.

١ - **اشتهاره بين قومه بالصدق والأمانة حتى لقبوه بالأمين،** ومن الأحداث الهامة فى حياته قبل البعثة أن قومه أرادوا إعادة بناء الكعبة، فلما وصلوا فى البناء إلى مكان الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضعه، لأن واضعه سينال هو وقبيلته شرفا لا يدانيه شرف، وكاد ينشب بينهم قتال بسبب ذلك، وأخيراً أشار حكيم منهم أن يأخذوا رأى أول داخل عليهم، فكان أول داخل هو رسول الله ﷺ ، وفرحوا بذلك لثقتهم بسداد رأيه، فأشار عليهم أن يأتوا بثوب ويضعوا فوقه الحجر الأسود، ويحمل كل

رئيس قبيلة طرفاً من الثوب، ويرفعوه إلى مكانه ففعلوا ثم أخذه الرسول ﷺ بيده فوضعه مكانه.

٢-**بدء الوحى**: قبل أن يبلغ الرسول الأربعين من عمره بمدة، حبب الله إليه العزلة للعبادة والتأمل، فكان يأوي إلى غار فى جبل حول مكة اسمه حراء فيقضى فيه أياماً كثيرة منقطعاً عن الناس، ولا عمل له إلا عبادة الله، والتفكير فى خلقه، يفعل ذلك كل عام، وكانت السيدة خديجة تزوده بما يكفيه من طعام فى عزلته، فلما أتم الأربعين نزل عليه الوحى.

زينب: أنا أعرف القصة هل أقولها يا أبي؟

الأب: قولى يا زينب.

زينب: نزل عليه سيدنا جبريل فضمه إلى صدره بقوة وقال له: اقرأ، قال: لا اعرف القراءة مرتين، وفى الثالثة قال له: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق: ١ – ٥).

الأب: جميل يا زينب.

٣ – **المحطة الثالثة**: وهذا ينقلنا إلى المحطة الثالثة، مرحلة جهاده فى سبيل نشر الدعوة، فقد كذبه قومه، وبخاصة عمه أبولهب، والثاني أبوجهل، وغيرهما ولقى منهم أذى كثيراً.

عمر: هل أذكر حادثة عن إيذاء قومه له؟

الأب: قل يا عمر.

عمر: كان مرة يصلي إلى الكعبة، فأحضر أحد المشركين كرش جمل وأمعاءه ووضعها فوقه وهو ساجد فى صلاته، فظل الرسول ﷺ ساجداً حتى حضرت

ابنته فاطمة رضي الله عنها ورفعتها عنه.

أحمد: أذكر مثلاً آخر يا أبي؟

الأب: تفضل يا أحمد.

أحمد: لقد قاطعه قومه هو وقبيلته بنى هاشم، واضطروهم أن يعيشوا فى مكان منعزل، وقرروا مقاطعتهم، فلا يبيعونهم شيئاً، ولا يشترون منهم شيئاً، ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها على الكعبة، وظلوا على ذلك ثلاث سنين ذاقوا كل ألوان الحرمان، حتى استطاع بعض الشرفاء من قريش أن يتمردوا على قومهم ويمزقوا الصحيفة.

عمر: لقد قرأت يا أبى أنهم عندما أرادوا تمزيقها وجدوا الأرضة قد أكلتها ولم يبق فيها إلا اسم الله.

زينب: ما هى الأرضة يا أبي؟

الأب: هى حشرة تعيش على أكل الخشب والورق وما أشبه، وقد اضطر الرسول ﷺ أن يطلب ممن يستطيع من أصحابه أن يهاجر إلى الحبشة أن يهاجر إليها ليبعدهم عن الاضطهاد والأذى، فهاجر بعضهم هجرتين إلى الحبشة وبقوا هناك عدة سنوات.

٤ -**المحطة الرابعة**: هى الإسراء والمعراج.. لقد ماتت السيدة خديجة التى كانت ترعى رسول الله ﷺ بحبها وحنانها، وفى نفس العام مات عمه أبوطالب الذى كان يحميه من أذى المشركين، وقد سمى الرسول ﷺ هذا العام عام الحزن، ولكن الله أراد أن يكرم رسوله فأرسل له جبريل ومعه البراق.

زينب: وما هو البراق يا أبي؟

الأب: هو دابة أكبر من الحمار في الحجم وأقل من البغل ، ويمشي بسرعة البرق فذهب به إلى بيت المقدس فى لحظة حيث صلى فى المسجد الأقصى ووراءه الأنبياءُ السابقون الذين بعثهم الله تكريماً لرسوله، ثم عرج به البراق إلى السماء - أى صعد - ومعه سيدنا جبريل، وعند سدرة المنتهى وهى شجرة عظيمة بعد السماء السابعة فرض الله عليه الصلوات الخمس التى تعرفونها، ولما أخبر قومه كذبوه كعادتهم، واشتدوا فى إيذائه.

٥-**بيعتا العقبة**: لما اشتد إيذاء المشركين للرسول ﷺ أخذ يلجأ إلى بعض القبائل الكبيرة خارج مكة لتحميه من أذى المشركين حتى يتمكن من الاستمرار فى دعوته، ولكنهم لم يستجيبوا له، وبعضهم حرضوا عليه سفهاءهم ليؤذوه، حتى كان موسم الحج فذهب إلى مكة حجاج من المدينة - وكان اسمها حينئذ يثرب - وهم من قبيلتين كبيرتين بالمدينة هما الأوس والخزرج، فلما عرض الرسول عليهم الإسلام أسلموا وكان عددهم اثنيْ عشر رجلاً، وكان لقاؤهم عند جمرة العقبة بمنًى التى يرميها الحجاج بالحصى.

زينب: وهل كان الناس يحجون قبل الإسلام يا أبي؟

الأب: نعم، فمنذ بنى خليل الله إبراهيم عليه السلام البيت وأمره الله أن يؤذِّن فى الناس بالحج والناس يلبون هذه الدعوة ويحجون، وإن كانوا يخلطون الحج بمظاهر وثنية.

وفى العام التالى اجتمع الرسول ﷺ بعدد كبير من المدينة حضروا ليلتقوا بالرسول وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، وقد أعلنوا إسلامهم، وكان الاجتماع عند العقبة أيضاً، فسميت البيعتان ببيعتي العقبة، والبيعة معناها الاتفاقية أو العهد.

٦-**الهجرة**: وهنا نصل إلى أهم مرحلة فى حياة الرسول ﷺ وفى تاريخ الإسلام،

لأنها فصلت بين عهدين: الضعف والقوة. أمر الرسول أصحابه أن يهاجروا إلى المدينة، فهاجر معظمهم، ثم أمره الله أن يهاجر هو أيضاً فهاجر هو والصديق أبوبكر رضي الله عنه ، ولما علم المشركون بعزمه الهجرة قرروا قتله، فبات حول بيته مجموعة من الشبان ليقتلوه وهو خارج من داره، ولكن الله ألقى عليهم النوم، فخرج الرسول أمامهم ولم يشعروا به، ولما علموا بنجاته من المؤامرة أخذوا يطاردونه، فلجأ إلى غار هو وصاحبه أبوبكر فى جبل حول مكة اسمه ثور، ووقف الكفار أمام الغار، وتملك الخوف أبا بكر فقال للرسول ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال له الرسول ﷺ: لا تحزن إن الله معنا، ولم يحاول الكفار أن يدخلوا الغار لما رأوا حوله من مظاهر تدل على عدم إمكانية دخول أحد فيه، ورصدوا جائزة لمن يستطيع إرجاعه وفشلوا أيضاً، وأخيراً دخل الرسول ﷺ المدينة بين التهليل والترحيب.

زينب: كان الأطفال يرددون نشيد: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع.

الأب: نعم.

٧-فى المدينة: غَيَّرَ الرسول ﷺ اسم يثرب إلى المدينة، وسمى قبيلتيْ الأوس والخزرج الأنصار، وآخَى بينهم وبين المهاجرين، وأنشأ المسجد، ونظم أمور المجتمع.

زينب: ما معنى آخَى بينهم؟

الأب: جعل كل واحد من الأنصار أخاً لواحد من المهاجرين يتعاونان معاً فى كل أمر، ولكن المشركين فى مكة وغيرها من بلاد العرب لم يتركوهم يعيشون فى سلام، وكذلك اليهود الذين كانوا يقيمون حول المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، كانوا يدبرون المؤامرات ضد الرسول ﷺ، ويتحالفون مع المشركين ضده، من أجل ذلك قامت حروب بين المسلمين وبين المشركين وكذلك بين المسلمين

واليهود، وكل حرب من هذه الحروب تسمى غزوة.

عمر: ما عدد هذه الغزوات يا أبي؟ وما نتيجتها؟

الأب: الغزوات التى حضرها الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة أشهرها بدر وهى أول الغزوات، وقد انتصر المسلمون فيها انتصاراً باهراً، وأُحد التى انتهت بهزيمة المسلمين لمخالفة طائفة من المحاربين أوامر رسول الله ﷺ ظناً منهم أن النصر تحقق للمسلمين، وغزوة الأحزاب، التى تجمعت فيها قبيلة قريش مع قبائل عربية أخرى ليحاربوا المسلمين بتحريض من اليهود، ولذلك سميت غزوة الأحزاب، كما تسمى غزوة الخندق أيضاً، لأن المسلمين حفروا فيها خندقاً يحميهم من المشركين وقد أرسل الله فيها الريح العاصفة فزلزل قلوب المشركين ففروا مذعورين، وتلت هذه الغزوة غزوة بنى قريظة التى أنهت وجود اليهود فى المدينة.

٨-**فتح مكة**: أذن الله لرسوله ﷺ أن يذهب إلى مكة ليؤديَ العمرة، وذلك فى رؤيا رآها الرسول ﷺ فى منامه، فلما ذهب هو وأصحابه إلى مكان قريب من مكة اسمه الحديبية منعهم المشركون من دخول مكة. وانتهى الأمر بينهم بعقد صلح عرف بصلح الحديبية من شروطه أن يرجع المسلمون هذا العام دون دخول مكة، ثم يأتوا العام التالى لأداء العمرة، وأن تكون بينهم هدنة لعشر سنوات، وبعد سنتين نقض المشركون الهدنة، فتوجه إليهم رسول الله ﷺ فى عشرة آلاف مقاتل فاستسلموا له وأسلموا ودخل مكة منتصراً وعفا عن سادة قريش، ونسى إساءتهم، وقد طاف الرسول ﷺ حول البيت، وكسر الأصنام التى كانت حوله، وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

٩-**حجة الوداع ووفاة الرسول**: فى السنة العاشرة للهجرة حج الرسول ﷺ

حجة الوداع، وسميت بذلك، لأن الرسول ﷺ مات بعدها بأشهر قليلة، وكان يودع الناس فى خطبته ويكرر قوله: "لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا" وهى الحجة الوحيدة التى حجها فى الإسلام.

وفى ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة مرض الرسول ﷺ، ثم مات بعد عدة أيام من مرضه، ودُفن فى حجرة السيدة عائشة رضى الله عنها بعد أن بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد فى الله حق جهاده.. جزاه الله عنا خير الجزاء وصلى الله وسلم عليه.

❊ ❊ ❊

الكتب المنزَّلة

أخذ الأب مجلسه بين حماسة أولاده، وتشوقهم لهذه الجلسة التى يستفيدون فيها معلوماتٍ تساعدهم على تعرف حقائق دينهم، وبادر عمر أباه قائلاً:

عمر: لو تفضلت يا أبى حدثنا عن الكتب التى أنزلها الله على رسله.

الأب: لقد حدثنا القرآن الكريم عن خمسة كتب أنزلها الله على بعض أنبيائه. من منكم يعرف أسماء هذه الكتب واسم النبى الذى أُنزلت عليه؟

أحمد: التوراة أُنزلت على سيدنا موسى، والإنجيل أنزل على سيدنا عيسى، والقرآن أنزل على سيدنا محمد ﷺ.

عمر: والزبور كتاب سيدنا داود.

الأب: بقى الخامس، أراكم لا تعرفونه، إنه صحف سيدنا إبراهيم عليه السلام هذه هى الكتب الخمسة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم، وقد تكون هناك كتب أخرى لم يذكرها القرآن، فعلينا أن نؤمن بوجه عام بأن الله أنزل على أنبيائه كتباً تتضمن مبادئ دينه، ونؤمن بكل كتاب من هذه الكتب الخمسة على وجه التحديد.. فمن أنكر أن الله أنزل التوراة على سيدنا موسى أو الإنجيل على سيدنا عيسى أو غيرهما فقد كفر، لأنه كذب ما جاء فى القرآن الكريم.

أحمد: ولكن أى كتاب من هذه الكتب نزل أولاً؟

الأب: أولها صحف سيدنا إبراهيم، ثم التوراة، ثم الزبور، ثم الإنجيل وأخيراً القرآن.

عمر: وهل كل هذه الكتب موجودة اليوم؟

الأب: كلها موجودة ما عدا صحف سيدنا إبراهيم.

أحمد: نريد نبذة عن كل كتاب من هذه الكتب لو سمحت يا أبى.

الأب: أما صحف إبراهيم فلا نعرف عنها شيئاً، ولكن القرآن حدثنا عن بعض ما جاء فيها، فقد جاء فى سورة النجم قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾ (النجم: ٣٦ – ٤١).

ومعنى هذه الآيات توبيخ الإنسان الكافر الذى ظن أنه يستطيع بماله أن يجعل غيره يتحمل ذنوبه، فأخبر الله بكذب هذا الادعاء، وبيَّن له أنه قد ورد فى التوراة وفى صحف إبراهيم أنه لا أحد يتحمل ذنوب غيره، ويحاسب عليها، بل كل إنسان يحاسَب على عمله فقط، كما ورد كذلك فى سورة الأعلى بأن الآخرة خير من الدنيا، وأن ثواب الله باق لا يفنى كمتع الدنيا.. اقرئى يا زينب الآيات الأخيرة من سورة الأعلى بعد قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾.

زينب: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ (الأعلى: ١٤ – ١٩).

الأب: شكراً يا زينب، فالله أخبرنا أن الذى يقيم على الطهارة والإيمان هو الفائز، ولكن الكفار يفضلون الحياة الدنيا بينما الآخرة أفضل ونعيمها خالد، وهذا مذكور فى الكتب الأولى وهى صحف إبراهيم والتوراة.

أحمد: ولكن لماذا اقترنت صحف إبراهيم بصحف موسى فى السورتين؟

الأب: لأنهما أقدم كتابين.

التوراة: وأما التوراة فقد أنزلها الله على سيدنا موسى، وقد أمره قبل أن يأتيَ ليتلقاها من ربه أن يتهيأ بالصوم ثلاثين يوماً، ثم زاده عشرة أيام أخرى، فأصبح المجموع أربعين، ثم ذهب للقاء ربه عند جبل الطور بسيناء، فأنزلها الله عليه، وقد كتبت فى مجموعة من الألواح تتضمن كل مبادئ شريعة سيدنا موسى مفصلة، وفيها المواعظ والنصائح، وذهب موسى بها إلى قومه فوجد مفاجأة سيئة فى انتظاره، فقد وجد قومه يعبدون العجل كما حدثتكم، فألقى الألواح من يده لشدة غضبه فتكسر بعضها، وبقى ما شاء الله له أن يبقى، ولما هدأ أخذ الألواح وأعاد ترتيبها وترميم ما تكسر منها.

عمر: وهل بقيت هذه الألواح حتى اليوم؟

الأب: لا.. لقد ضاعت نتيجة الغزوات التى تعرض لها بنو إسرائيل من أعدائهم فى الزمن القديم، وتخريب بلادهم، وأسرهم، وبعد مدة طويلة استطاع أحد أنبيائهم أن يعثر على بعضها ويكتبها، ولكن أحبار اليهود - أى علماؤهم - من بعده أضافوا إليها الكثير مما يحقق لهم منافع الدنيا، وحذفوا منها ما يحرمهم من هذه المنافع، كما أخبرنا القرآن الكريم، وتعرف الآن بأسفار موسى الخمسة وهى موجودة ضمن الكتاب المقدس الذى يتضمن إلى جانبها أسفار كثير من أنبياء بنى إسرائيل مع الأناجيل الأربعة الخاصة بالمسيحيين.

أحمد: وكيف نميز ما جاء فيها من عند الله وما أضافه اليهود من عندهم؟

الأب: لقد أخبرنا رسولنا ﷺ بالمعيار الذى نتأكد به من صحة أو بطلان ما جاء فى التوراة، فالذى جاء فيها مطابقاً لما فى القرآن فهو من عند الله، وما جاء مخالفاً لما فى

القرآن فهو من أكاذيبهم، وأما ما جاء لا يخالف القرآن وليس فى القرآن فربما يكون من عند الله.. فالقرآن هو المصدق لهذه الكتب والمهيمن عليها.

أحمد: هل جاء فى القرآن ذكر لبعض ما جاء فى التوراة؟

الأب: نعم.. ذكر القرآن أنه جاء فى التوراة القصاص من القاتل، وكذلك القصاص من المعتدى على أى عضو من أعضاء الإنسان.

زينب: ما معنى القصاص يا أبي؟

الأب: القصاص هو أن نعاقب المجرم بنفس الجريمة التى ارتكبها، فالقاتل يُقتل، والذى يفقأ عين شخص تفقأ عينه، والذى يقطع أنف غيره أو أذنه يقطع أنفه أو أذنه، ومن كسر من سن شخص تكسر سنه، كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (المائدة: ٤٥)، كذلك ذكر القرآن وصف المسلمين الذى ورد فى التوراة فى قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ (الفتح: ٢٩)، ومعنى الآية أن التوراة وصفت المسلمين بأنهم يرحم بعضُهم بعضاً، ولكنهم أشداء على الكفار، وفى وجوههم علامة مميزة لهم من أثر السجود إلى جانب ما حدثتكم به من قبل عما ورد فى صحف إبراهيم وموسى.. إلى غير ذلك من المعانى المتطابقة مع القرآن.

الزبور: هو الكتاب الثالث الذى أنزله الله على سيدنا داود.

عمر: وما معنى الزبور؟

الأب: الزبور فى اللغة العربية معناه الكتاب.. والزبور يتضمن - كما ذكر مفسرو

القرآن الكريم - مائة وخمسين فصلاً كلها مواعظ وحِكم، والموجود الآن يعرف بالمزامير، وهو ضمن الكتاب المقدس وهى مائة وخمسون مزموراً، وسميت كذلك لأن سيدنا داود كان يتغنى بها، وكان سيدنا داود حسن الصوت، ولا نستطيع أن نؤكد أن المزامير هى نفسها ما ورد فى الزبور، فقد يكون فيه أجزاء من تأليف البشر، فواجبنا أن نؤمن بأن الله قد أنزل على سيدنا داود كتاباً سماه الزبور، ولا يعنينا بعد ذلك أن نتحقق مما جاء فيه.

أحمد: وهل جاء فى القرآن بعض المعانى التى تضمنها الزبور؟

الأب: نعم.. لقد ذكر الله أن مما جاء فى الزبور أن الأرض - والمراد أرض الجنة - ستكون من حق المؤمنين الصالحين يعيشون فيها مخلدين، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

عمر: بقى الإنجيل والقرآن.

الأب: الإنجيل - كما عرفنا - هو الكتاب الذى أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام، ومعنى الإنجيل فى اللغة التى نزل بها هو البشارة، وسماه الله كذلك، لأنه جاءت فيه البشرى برسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ (الصف: ٦) أى أن سيدنا عيسى جاء ليصدق ما فى التوراة من أحكام ربانية، ويبشر قومه بنى إسرائيل بالرسالة القادمة وهى رسالة سيدنا محمد ﷺ.

أحمد: وهل فى القرآن بعض المعانى التى تضمنها الإنجيل إلى جانب هذه البشارة؟

الأب: نعم.. جاء فى القرآن الكريم أن فى الإنجيل حديثاً عن المسلمين، فقد شبههم بالزرع: فى بداية أمره يكون نبتة صغيرة ضعيفة، ثم يأخذ فى النمو حتى يشتد

ويتفرع فروعاً كثيرة تقوى وتشتد وتغلظ، وتستوى الفروع على سيقانها فى منظر بهيج يعجب الزُّراع، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ (الفتح: ٢٩).

زينب: لم أفهم هذه الآية.

عمر: ولا أنا.

الأب: ولا أنت يا أحمد.

أحمد: فهمت مضمونها بمعنى عام.

الأب: لو فهمتم بعض الألفاظ فستفهمون معنى الآية بوضوح. اسمعوا الآن.. الشطء: الفرع الصغير أول ما يظهر من النبتة المزروعة، لقد لاحظتم كثيراً أنكم حينما تزرعون حبة فول أو غيرها فى الطين فترة تظهر نبتة صغيرة ثم تخرج منها فروع صغيرة هذه الفروع الصغيرة هى الشطء، أما معنى آزره فهو قواه، أى أن الزرع قوى هذه الفروع الصغيرة بما يصل إليه من غذاء وري، فاستغلظ الفرع أي اشتد وظهر ثابتاً فوق سيقان النبات.

عمر: ولماذا شبه المسلمين بهذا التشبيه؟

الأب: لأن المسلمين بدءوا أول أمرهم قِلة قليلة ضعيفة، ثم أخذوا يتزايدون حتى أصبحوا يعدون بعشرات الألوف.

زينب: فهمت يا أبى وشكراً.. حدثنا عن القرآن الكريم.

عمر: ألا تعرفين القرآن؟ إنه فى المصحف أمامك.

الأب: مهلاً يا عمر، هناك أمور تحتاج إلى توضيح.

أحمد: هل نزل القرآن مثل التوراة مرة واحدة؟

الأب: القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل كان ينزل على الرسول ﷺ على دفعات على مدى ثلاث وعشرين سنة حتى اكتمل قبل وفاة الرسول ﷺ بفترة قصيرة.

أحمد: ولماذا لم ينزل القرآن دفعة واحدة كالتوراة والإنجيل؟

الأب: لقد اعترض كفار مكة هذا الاعتراض نفسه، فأخبرهم الله أنه نزل مفرَّقاً لثلاثة أسباب:

السبب الأول: ليُثبِّت به قلب الرسول ﷺ فى جهاده الكافرين، فكلما اشتدت أذاهم له تنزل آيات مناسبة تثبت قلبه، وتدفعه إلى الصبر.

الثانى: أنزل كذلك ليكون مرتلاً، أى مفصلاً أجزاء قصيرة ليستطيع النبى ﷺ أن يحفظها.

والثالث: ليرد على الكافرين عندما يعترضون على الرسول أو يسألونه أسئلة متحدية. وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (الفرقان: ٣٢، ٣٣).

عمر: قرأت فى المصحف: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ (الفرقان: ١) فهل الفرقان غير القرآن؟

الأب: لا.. الفرقان هو القرآن.. وسمى كذلك لأن الفرقان هو الذى يفرق بين الحق والباطل، وهذا ما جاء فى القرآن، والحقيقة أن الله ذكر للقرآن عدة أسماء منها: الفرقان كما حدثتكم، ومنها التنزيل، لأنه كان يتنزل على الرسول ﷺ من

السماء بواسطة جبريل، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ (الشعراء: ١٩٢، ١٩٣)، كما سماه الذكر فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) وذلك لأن فيه ذكر الله تعالى.

أحمد: أرجو توضيح معنى الآية السابقة.

الأب: لقد تعهد الله في هذه الآية أنه هو الحافظ للقرآن الكريم بخلاف الكتب السابقة التى ترك حفظها لعلماء الدين، فلم يستطيعوا بل قام بعضهم بتحريفها لتحقيق مصالح دنيوية، أما القرآن فظل كما أنزله الله لم يتغير منه حرف، وذلك لأن الرسول ﷺ كان يحفظ الآيات التى تنزل عليه ثم يمليها على بعض الصحابة الذين كانوا يعرفون الكتابة فيكتبونها، وكان هؤلاء الصحابة يُعرفون بكُتَّاب الوحي، ولما توفى رسول الله ﷺ جمع سيدنا أبوبكر رضي الله عنه كل هذه الكتابات واحتفظ بها عنده، ولما مات أخذ سيدنا عمر هذه الكتابات وأبقاها عنده، وكانت مكتوبة على عظم أو جلد أو جريد النخل.

زينب: كيف يكتبون على هذه الأشياء يا أبي؟

الأب: لم يكن الورق قد انتشر يا ابنتي، وربما كان غير معروف لدَى العرب فى أول الإسلام، فكانوا يأتون بالعظام الرقيقة العريضة مثل عظم الكتف فيكتبون عليها أو الجزء العريض من جريد النخل، أو قطعة من الجلد، ولما تولى سيدنا عثمان الخلافة جمع هذه الكتابات وكتبها فى مصحف كبير، ونسخ منه ست نسخ وأرسلها إلى المدن الإسلامية الكبيرة لتكون مرجعاً للمسلمين حتى لا يختلفوا فى قراءته، فوضعوا النقط على الحروف المنقوطة، وشكلوا الكلمات، وهذه أشياء لم تكن معروفة من قبل، كما جزءوه إلى أجزاء ثلاثين كما تعرفون، وقسموا كل جزء حزبين، وكل حزب أربعة

أرباع إلى غير ذلك من أنواع التنظيم التى لا تمس أى حرف بتغيير، ثم جاء التسجيل كما تعرفون، وسجل القرآن على شرائط بأصوات عشرات القراء.. وهكذا حقق الله وعده بحفظ القرآن الكريم، ويكفينا هذا القدر من الحديث عن القرآن الكريم، فمجال الحديث عنه واسع، وقد أُلفت فيه كتب ضخمة عديدة، وشكراً لإصغائكم ومناقشاتكم المثمِرة.

أحمد: الشكر كله لك يا أبى.. وجزاك الله عنا خيراً.

❊ ❊ ❊

اليوم الآخر

التأم شمل الأسرة فى جلستهم الدينية المستنيرة، وكان الأولاد متطلعين إلى حديث الأب عن اليوم الآخر فهو يوم النعيم أو العذاب، يوم الجنة أو النار، يوم السعادة أو الشقاء، وبدأ الأب حديثه قائلا:

الأب: اليوم الآخر يا أحبائى هو الأساس الخامس من أسس الإيمان التى لا يقبل إيمان مسلم إلا إذا آمن بها كلها، ونحب أن نتذكر الأسس الأربعة السابقة. أتذكرينها يا زينب؟

زينب: نعم يا أبى، فهى الإيمان بالله، والإيمان بملائكته، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب المنزلة عليهم.

الأب: حسن يا ابْنتى، اليوم الآخر يا أولادى هو يوم الحساب، يوم الجزاء أو الدِّين كما عبر عنه القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: ٤)، والدين هنا معناه الجزاء، فهو اليوم الذى يجازى الله فيه المحسنين على إحسانهم بالجنة، والمسيئين على إساءتهم بالنار، ومن العجيب أن كفار العرب وغيرهم كانوا ينكرونه ولا يؤمنون به.

الأم: ربما لأنهم يخافونه، فالإنسان يحاول أن ينكر ما يخاف منه، لأنه سيسبب له الشقاء والتعاسة، وهو لا يحب ذلك.

الأب: هذا صحيح.. وأعمال الكفار فى كل زمان ومكان قائمة على الظلم

والعدوان وأكل الحقوق، والانحراف وراء الشهوات، وقد كانوا يجادلون النبى ﷺ منكرين لهذا اليوم، وكانت حجتهم أنه ليس من المعقول أن يبعثوا أحياء مرة أخرى بعدما أصبحوا هم وآباؤهم عظاماً وتراباً، وكان الرسول ﷺ يرد على هذه الحُجة بأن الله قادر على ذلك، فهو الذى خلقهم أول مرة، والإعادة أسهل من البدء، كما أن الله خلق كائنات أعظم منهم كالسموات والأرض والشمس والقمر.

الأم: هناك دليل آخر لا يمكن لعاقل أن يتجاهله، وهو عدل الله الذى لا يمكن أن يسمح لجريمة أن تمر بلا عقاب، وإننا نقرأ ونسمع ونشاهد بعض الناس الذين تمادوا فى ظلمهم، فقتلوا المئات والآلاف، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وملأوا الأرض فساداً، ثم ماتوا دون أن يلقوا جزاء على جرائمهم، فهل يسمح عدل الله أن ينتهى الأمر عند هذا الحد - حاشا لله - لابد أن يكون هناك حساب وعقاب لمثل هؤلاء الناس فلابد من اليوم الآخر، وكذلك المؤمن الذى عاش حياته كلها يعانى من الظلم والقهر، وعاش حياته كلها يعمل الصالحات، ويصبر على ما يناله من مصائب الزمان حتى مات، لابد لمثل هذا المؤمن من يوم يلقى فيه جزاء صبره وجهده وإيمانه، وذلك هو اليوم الآخر.

أحمد: أريد يا أبى أن تذكر لنا ما سيحدث فى هذا اليوم.

الأب: نستطيع أن نلخص ما يشتمل عليه اليوم الآخر فى هذه النقاط: انهيار الكون - الحساب - الجنة والنار، ولنبدأ بالنقطة الأولى: انهيار الكون: عندما يأتى هذا اليوم، وبتعبير آخر عندما تقوم القيامة فإن كل أنظمة الكون التى تسير الآن على نظام دقيق - ستختل وتنهار، هذا الكون المنظم الدقيق سيتحول إلى خراب ودمار.. السماء تتشقق وتتساقط، والشمس والقمر والنجوم سيمحَى نورها وتتناثر،

والأرض تتزلزل زلزالاً شديداً، والجبال تنسف نسفاً، وقد عبر القرآن الكريم عن هول هذا اليوم فى آيات كثيرة منها قوله تعالى فى سورة الحج: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١، ٢).

زينب: ما معنى الساعة يا أبي؟

الأب: الساعة هى القيامة، وسماها الله ساعة ليعبر عن سرعتها، فهى ستأتى سريعاً كما سماها القيامة، لأن الناس يقومون للحساب.

عمر: اشرح لنا الآية التى ذكرتها الآن لو تفضلت.

الأب: يريد الله أن يخبرنا أن ما يحدث يوم القيامة شيء رهيب لا يمكن لإنسان أن يتخيله، فعندما يتزلزل الكون كله فى هذا اليوم يصيب الناس ذهول شديد، فتنسى الأم رضيعها الذى ترضعه وهو أغلى شيء عندها، وتسقط الحامل حملها، ويسير الناس مترنحين كأنهم سكارى، وهم ليسوا سكارى، ولكنه رهبة هذا اليوم تجعل منظرهم كالسكارى، وكذلك عبر القرآن عن هول هذا اليوم فى سورة المزمل بأنه ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ (المزمل: ١٧) أى يشيب من هوله الصغير، وفى سورة عبس يذكر الله لنا أن كل إنسان سيشغل فى هذا اليوم عن أعز الناس لديه بل يفر منهم يفر من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وأولاده، فكل إنسان مهموم بنفسه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ (عبس: ٣٤ – ٣٦).

زينب: وأين يذهب الناس يا أبي؟

الأب: يذهبون إلى المحشر أى المكان الذى يجمع الله فيه الخلائق ليحاسبهم على

أعمالهم، ولذلك يسمى هذا اليوم أيضاً يوم الحشر، أى الجمع، أى جمع الناس فى مكان واحد.

زينب: ولكن كيف يحاسب الله الناس يوم القيامة فى وقت واحد وهم ملايين.

الأب: ملايين؟! قولى ملايين الملايين، ولا تعجبي يا ابْنتى.. إنك تعرفين الكمبيوتر؟

زينب: طبعاً، عندنا كمبيوتر يا أبى كما تعلم، وفى مدرستنا أيضاً كمبيوتر، وأنا أعرف استعماله.

الأب: حسن يا ابنتى.. إن ما لا تعرفينه وربما لا يعرفه أخواك أن جهاز الكمبيوتر الذى نستخدمه يعتبر جهازاً تافهاً بالنسبة للأجهزة العملاقة اليت اخترعت حديثاً، لقد اخترعوا جهازاً ضخماً يستطيع أن يعمل ملايين الملايين من العمليات فى ثانية واحدة، فإن كان جهاز صنعه عقل بشرى يفعل هذا؟ فكيف يصنع خالق البشر كلهم؟ إن حساب ملايين المليارات من البشر لن يستغرق دقائق معدودة.

أحمد: وكيف يحاسب الله الناس يا أبي؟

الأب: لقد كان الله يحصى على كل إنسان عمله فى الدنيا، فقد وكل به ملكين يسجلان ما يقول وما يفعل كما حدثنا الله تعالى فى سورة (ق) فى قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق: ١٨) أى مع كل إنسان ملكان يراقبان كل أفعاله وأقواله ويسجلانها فى كتاب، ويوم القيامة يأمر الله هذه الكتب أن تطير إلى أصحابها، ويفاجأ المجرم الكافر أن كل ما قاله أو فعله مسجل فى هذا الكتاب، فيملؤه الخوف والعجب، ويدعو على نفسه بالويل والهلاك كما حكى عنه القرآن فى قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٤٩).

عمر: إنه يوم رهيب يا أبي، ولكن كيف يتلقى الناس هذه الكتب؟ وكيف يكون حالهم عندما يتلقونها؟

الأب: لقد أخبرنا الله عن ذلك، فالمؤمن يتلقى كتابه بيمينه، ويملؤه الفرح والسرور، ويتجه إلى أهله سعيداً مسروراً، وأما الكافر فيتلقى كتابه بشماله، أو من وراء ظهره فيأخذ فى الدعاء على نفسه، وكلكم تحفظون سورة الانشقاق إذ يقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ (الانشقاق: ٧ - ١٢).

زينب: وبعد ذلك يا أبي؟

الأب: يقف الناس للحساب أمام الله، ويحاول المجرم أن ينكر جرائمه فيأمر الله أعضاء جسمه التى ارتكبت الجريمة: يده أو رجله أو لسانه، أو عينيه أو جلده أن تشهد عليه، فتشهد وتقول: يوم كذا فعلت كذا، أو قلت كذا، نسأل الله أن يجعلنا من الفئة الناجية التى تتلقى كتابها بيمينها.

العذاب

وبدأ النقاش فى الجلسة التالية بسؤال من عمر.

عمر: حدثتنا يا أبى فى الجلسة السابقة عن شهادة أعضاء الكافر على صاحبها، فماذا يصنع الله بهم بعد ذلك؟

الأب: يساقون إلى جهنم، وهم فى غاية الذل والهوان، فتوضع الأغلال فى أعناقهم والسلاسل، ويسحبون على وجوههم، حتى إذا وصلوا إلى جهنم دُفعوا إليها دفعاً عنيفاً، ويقال لهم: انظروا هذه جهنم التى كنتم تكذبون بها، وتظنون أنكم لن تبعثوا يوم القيامة ولن تحاسبوا كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾

﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (الطور: ١٣، ١٤)، والدَعُّ: معناه الدَّفع بعنف.

أحمد: هل هناك أسباب تدفع بالإنسان إلى جهنم غير الكفر بالله.

الأب: نعم.. ارتكاب الكبائر من غير توبة منها.

عمر: وما هذه الكبائر يا أبي؟

الأب: كل جريمة كبيرة نهى الله عنها مثل القتل العمد، فقد اعتبره الله جريمة كبرى لا عقاب لها إلا الخلود فى النار، وغضب الله ولعنته فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٩٣) ومثل عقوق الوالدين أى عصيانهما وعدم احترامهما، ومثل شهادة الزور، فقد اعتبرهما الرسولﷺ مساويين للشرك بالله، فقد قال لأصحابه: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين.. وكان مضطجعاً فجلس وقال: وقول الزور، فمازال يكررها حتى قلنا يا ليته سكت". فانظروا إلى بشاعة قول الزور التى جعلت رسول اللهﷺ يغير من وضعه اهتماماً بالأمر، ثم يظل يكرر هذه الكبيرة حتى يشفق عليه صحابته من شدة انفعاله فيتمنوا أن يسكت.

وكذلك أكل أموال اليتامى ظلماً، والزنا، والسرقة، وغير ذلك من الكبائر التى نعرفها، وكذلك ترك فرض من فرائض الصلاة أو الصيام، أو الزكاة، أو الحج عمداً دون عذر، كل هذه الكبائر تؤدى إلى جهنم، واجتنابها ينجى المؤمنين.

أحمد: لقد قلت يا أبى: ارتكاب الكبائر من غير توبة.. فهل التوبة تزيل أثر هذه الكبائر؟

الأب: نعم.. بشروط.

أحمد: ما هى يا أبي؟

الأب: أولاً الندم على ارتكابها فيشعر مرتكبها بحزن وأسف لفعل ذلك وهو ما نعبر عنه بقولنا: تأنيب الضمير، ثانياً: عزم مرتكب الكبيرة ألا يعود إلى هذا الفعل أبداً مهما كانت الظروف، ثالثاً: أن يعوض الذى ارتكب فى حقه هذه الكبيرة بما يرضيه، فإذا قتل اعترف بجريمته، وتلقى العقاب الذى يفرض عليه راضياً، وإذا سرق أو اغتصب حق أحد أو ماله رد كل ما أخذه.. وهكذا.

عمر: هل يعذب الإنسان فى القبر بعد موته؟

الأب: نعم، يعذَّب الكافر بالله، والمستهزئ بدينه، والظالم فى القبر كما عرفنا عن رسول الله ﷺ، فقد كان يستعيذ من عذاب القبر، وأما المؤمن الصالح فلا يناله هذا العذاب، بل يرقد مستريحاً إلى أن يبعث الله الخلق، نعوذ بالله من عذاب القبر.

أحمد: نعرف يا أبى أن عذاب النار مرعب، فهل تتفضل بذكر أمثلة لهذا العذاب؟

الأب: وقانا الله يا أولادى عذاب النار، لقد وصفه الله بأنه عذاب مهين، وأنه عذاب الخزى، وأنه عذاب أليم، أى أن هذا العذاب جمع بين الإهانة والخزى والألم الشديد، تصوروا يا أولادى أن الكفار فى نار جهنم يُسحبون فيها على وجوههم، ويقال لهم ذوقوا عذاب النار، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ (القمر: ٤٨) وسقر اسم من أسماء جهنم.

وتصوروا هذا الإنسان الكافر الذى كان عزيزاً فى قومه يتبوأ بينهم أرفع المناصيب، فلا يفيده هذا شيئاً فى الآخرة، بل يعامَل معاملة مذلة مهينة، فيطلب الله من زبانية جهنم أن يأخذوه ويحملوه بطريقة عنيفة إلى وسط الجحيم، وأن يصبوا فوق رأسه ماء شديد الحرارة يشوى رأسه ووجهه ويقولون له ساخرين من تكبره فى

الدنيا: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٩) أى يا من كنت عزيزاً رفيع المقام بين قومك، وتصوروا السلاسل التى يقيد فيها الكفار يبلغ طولها سبعين ذراعاً أى حوالى أربعين متراً، كيف يسير بها أو يتحرك؟ والأسوأ من هذا أنه يحاول أن يخرج من النار فتضربه الملائكة بمقامع من حديد، والمقامع قطع ضخمة من الحديد أعدت لهؤلاء الكفار.

أحمد: أعوذ بالله من النار وعذابها، ولكن يا أبى إذا وضعنا إنساناً فى نار الدنيا احترق جلده فيحس بألم شديد، ثم يهدأ الألم، لأن الجلد الذي يحس بالألم قد احترق، فكيف يظل الكفار يحسون بالألم بعد احتراق جلودهم؟

الأب: لقد حدثنا القرآن الكريم أن هؤلاء الكفار كلما نضجت جلودهم واحترقت بدلهم الله جلوداً غيرها حتى يظل إحساسهم بعذاب النار قوياً، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦).

عمر: وهل يأكل الكفار فى النار ويشربون؟ وما طعامهم وشرابهم؟

الأب: نعم يا بُنَيَّ، أعاذنا الله مما يأكلون ويشربون.. إنهم يأكلون من شجرة خبيثة الطعم مرة المذاق تسمى شجرة الزقوم وثمارها شكلها بشع مخيف شبهها الله برءوس الشياطين، يأكلون منها فيتحول الأكل فى بطونهم إلى مُهْلٍ وهو النحاس المذاب فيظل يغلى فى بطونهم كما يغلى الماء الشديد الحرارة.

زينب: أعوذ بالله.. أعوذ بالله.. إنى خائفة يا أبى.

الأب: لا تخافى يا ابْنَتى، فهذا جزاء الكافرين المعاندين لله ورسله، ونحن بحمد الله مؤمنون متقون، وقد وعد الله أن ينجي المتقين، ويبعدهم عن عذابها فلا يسمعون صوتها وهى تتأجج وتلتهب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ

عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء: ١٠١، ١٠٢) فنكتف بهذا القدر.

عمر: ولكنك لم تحدثنا عن شرابهم وثيابهم.

الأب: رفقاً بأختك يا عمر، وعموماً فقد أخبرنا الله أن شرابهم هو الحميم والغساق، فأما الحميم فهو الماء المتناهى الحرارة الذى يقطع الأمعاء، وأما الغساق فهو الصديد الذى يسيل من جلود أهل جهنم، وأما ثيابهم فقد قطعت لهم قطع من النار يلبسونها كما قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ (الحج: ١٩).

انتهينا يا زينب، انتهينا من الحديث عن النار وعذابها، وفى المرة القادمة إن شاء الله سيكون حديثنا كله ممتعاً، لأنه سيكون عن الجنة ونعيمها.

الجنة

«لا إله إلا الله» مفتاح الجنة

أقبل الأب على أسرته فحياهم فى بدء الجلسة، وكان الأولاد متشوقين إلى سماع حديث الجنة ونعيمها، وسارعت زينب إلى أبيها تسأله.

زينب: هل كل المسلمين سيدخلون الجنة يا أبي؟

الأب: كل من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة كما قال رسولنا الكريم ﷺ.

زينب: هذا أمر سهل فكلنا نقول: لا إله إلا الله عشرات المرات فى اليوم الواحد.

الأب: نعم يا ابنتى، ولكن لا إله إلا الله لها حقوق كثيرة إذا لم نؤدِّها كما طلبها الله فقد نحرم من الجنة.

زينب: ما هذه الحقوق يا أبي؟

الأب: أول هذه الحقوق هو الإخلاص، فلا يكفى أن نتلفظ بها بألسنتنا، بل ينبغى أن نؤمن بها فى قلوبنا إيماناً صادقاً، ثم يتبع ذلك أن نؤمن بكل ما طلب الله منا الإيمان به، فنؤمن بكل ما حدثتكم عنه فى جلساتنا السابقة: نؤمن بالملائكة والكتب والرسل والبعث والحساب والجنة والنار، ولكن الإيمان وحده لا يكفى بل لابد أن يقترن به أداء الفرائض التى فرضها الله علينا من صلاة وصوم وزكاة وحج، وهذا هو الحق الثانى من حقوق لا إله إلا الله، والحق الثالث أن نتجنب كل ما نهى الله عنه من المحرَّمات فلا نرتكب كبيرة من الكبائر فلا نظلم ولا نسرق ولا نكذب، والحق

الرابع هو أن نلتزم بعمل الخير ونلتزم بأخلاق الإسلام التى وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف.

الأم: إن الله حينما يتحدث عن جزاء المؤمنين لا يكتفى بذكر إيمانهم فقط، بل يقرر أنهم يعملون الصالحات، فكثير من آيات القرآن الكريم تقول: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، فالصالحات كل عمل خير فيه إرضاء لله ونفع للناس.

الأب: هذا حق.. ورسولنا الكريم ﷺ ينفى الإيمان عن المسلم الذى لا يؤدى حق جاره فهو يقول: "والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع" أى أن المسلم ينبغى أن يتعرف أحوال جاره حتى يساعده، وانظروا إلى تكرار نفى الإيمان عنه لتأكيد الأمر وحديث آخر يتحدث عن عدم إيمان من يخشى جاره شره فيقول ﷺ: "والله لا يؤمن - ويكررها أيضاً - من لا يأمن جاره بوائقه" والبوائق هى الأمور المسيئة للجار المؤذية له، فالحديث ينفى الإيمان عن المسلم الذى يؤذى جاره، وكذلك يخرج الرسول ﷺ الغشاش من دائرة المسلمين فيقول: "من غشنا فليس منا" كما أن تارك الصلاة عمداً يخرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر، لأن الصلاة هى فرق ما بين المسلم والكافر كما حدثنا رسول الله ﷺ.

زينب: نسأل الله أن يعيننا على أدائها.

عمر: حدثنا يا أبى عن النعيم الذى يتمتع به المؤمنون فى الجنة.

ألوان النعيم في الجنة:

الأب: ألوان النعيم فى الجنة كثيرة، أهمها ما يلقونه من رضا الله عليهم وما ينالهم من ألوان التقدير والتحية من الملائكة، وما ينعمون به من سرور وراحة نفسية.. هذا إلى جانب المتع الكثيرة من طعام وشراب وغيرهما.

عمر: نريد توضيحاً لهذه الألوان المتنوعة إذا سمحت.

الأب: من علامات رضا الله عليهم أنه يسمح لهم برؤيته كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣) ومنذ اللحظة الأولى لدخولهم الجنة بل قبل الدخول تحييهم الملائكة، يحدثنا القرآن الكريم أن الملائكة عندما تتوفى المؤمنين الصالحين يقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢)، وإذا ساقتهم الملائكة إلى الجنة وجدوا أبوابها مفتحة انتظاراً لهم، وقابلهم خزنتها مرحبين قائلين لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣)، وباختصار لا يسمعون فى الجنة إلا كل ما يسرهم، وعبارات الترحيب بهم، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ (الواقعة: ٢٥، ٢٦)، ومن مظاهر سرورهم وراحتهم فى الجنة أنهم يجلسون مع أصحابهم جلسات مريحة وقد اتكئوا على الأرائك – أى الكُنَب الفاخر – وتقابلت وجوههم يشيع بينهم السرور والصفو، وتدور بينهم الأحاديث الممتعة.

أحمد: وعن أى شىء يتحدثون يا أبي؟

الأب: أحاديث متنوعة تتناول ذكريات حياتهم الدنيا، فأحياناً يذكرون أنهم كانوا خائفين من عذاب الله فى الآخرة، ولكن الله وقاهم عذاب الآخرة الشديد بمنه وكرمه، كما حدثنا القرآن الكريم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ (الطور: ٢٥ – ٢٧)، وأحياناً يتذكر أحدُهم صاحباً له فى الدنيا من الكافرين كان يحاول إغراءه بالكفر بالله وبالبعث، ويدعو أصحابه إلى النظر فى النار فيجدون هذا الكافر يتعذب فى وسطها، ثم يملؤهم السرور حينما يتذكرون أنهم لن يموتوا مرة أخرى، ولن يتعرضوا لعذاب

الآخرة كما حدثنا القرآن عن ذلك فى قوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (الصافات: ٥٨: ٦٠).

الأم: إنى كلما قرأت سورة المطففين، ووصلت إلى آخرها يهزنى منظر المؤمنين وهم جالسون على آرائكهم ينظرون إلى النار، فيجدون الكفار الذين كانوا يسخرون من المؤمنين فى الدنيا لإيمانهم، ويتغامزون عليهم إذا مروا بهم استهزاء بشأنهم، فيحمد المؤمنون الله على أن الأحوال تبدلت فأصبحوا هم الذين يضحكوا من الكفار.

عمر: أنا أحفظ هذه الآيات، هل أقولها؟

الأب: قل يا عمر.

عمر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩: ٣٦).

الأب: أحسنت يا عمر.

زينب: لكن ماذا يأكلون فى الجنة وماذا يشربون؟

الأب: اسمعى يا زينب.. فى الجنة كل أنواع النعيم التى لا يمكن للإنسان أن يتخيلها كما قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ (الزخرف: ٧١)، وكما قالﷺ : "فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وقد ذكر الله أمثلة من الطعام والشراب نكتفى ببعضها، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الطور: ٢٢)، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ (الواقعة: ١٧: ٢٠).

عمر: ماذا فى الأكواب والأباريق والكأس؟

الأب: فيها الماء الزلال العذب، والعسل المصفى، واللبن والخمر.

زينب: الخمر؟ الخمر حرام.

الأب: الخمر فى الدنيا حرام، لأنها تؤثر فى الإنسان تأثيراً سيئاً فتصيبه بالصداع وتذهب عقله فيتصرف كالمجانين، ولكن خمر الآخرة خلت من هذين الأمرين كما قال تعالى فى الآية السابقة: ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ ومعنى "ينزفون" تذهب عقولهم، أظن الآن يا أولادى أننا تناولنا جميع أسس الإيمان التى تضمنتها الشهادتان، وأريد من زينب أن تذكرنا بهذه الأسس.

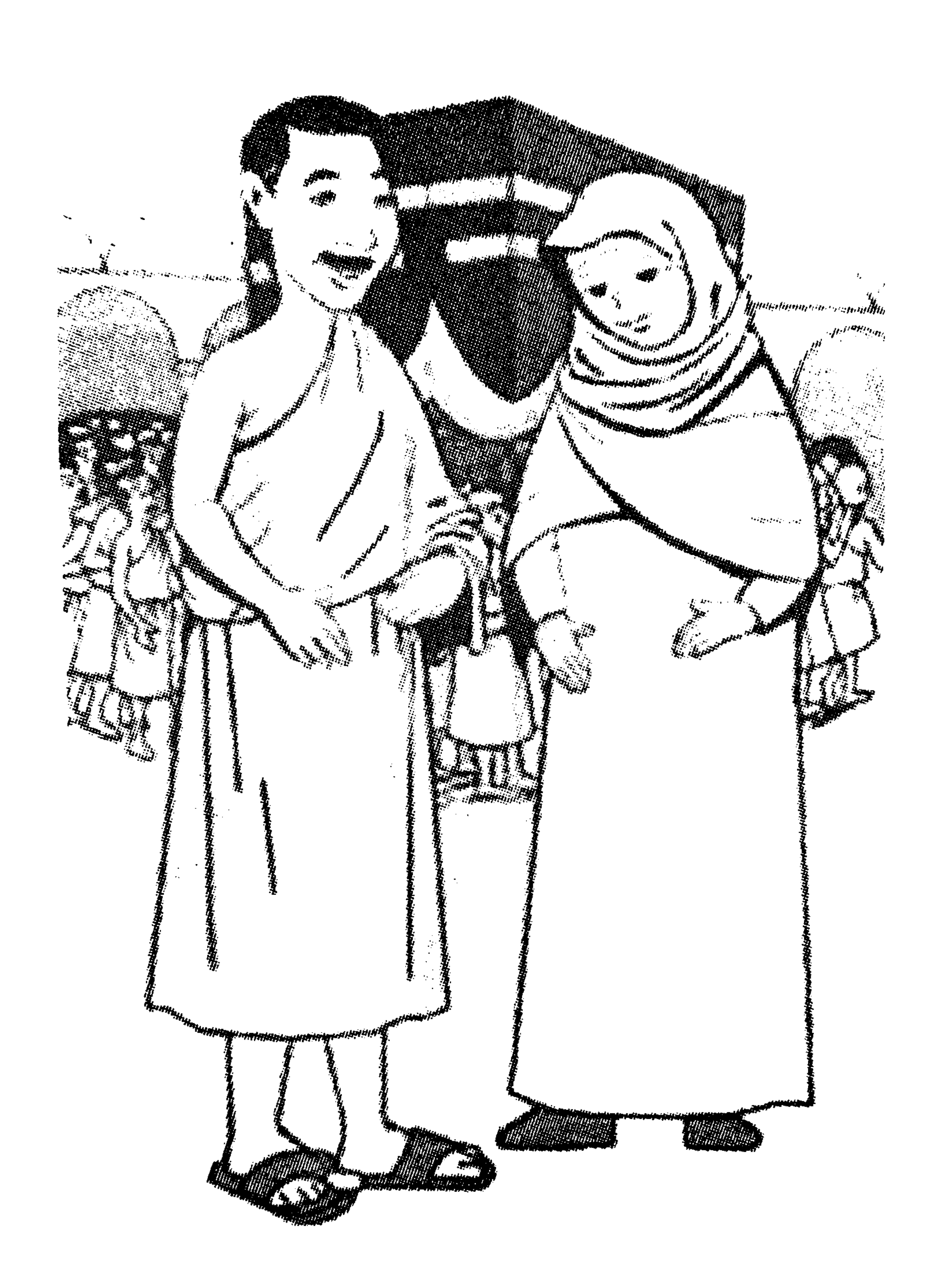
زينب: الإيمان بالله الواحد، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب المنزلة عليهم، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجنة ونار.

الأب: أحسنت يا زينب وفتح الله عليك، ولكن هذه الأسس يا أولادى تمثل ركناً واحداً من أركان الإسلام الخمسة، وإن كان أهم ركن فيها، وهذا الركن نسميه العقيدة، فعقيدة كل مسلم لا تصح إلا بهذا الإيمان، لكن يبقى بعد ذلك أربعة أركان تتضمن الأعمال التى ينبغى للمسلم أن يقوم بها حتى يتم إيمانُه، وهذه الأركان هى: العبادات التى فرضها الله على المسلم، لأن الإسلام عقيدة وعمل، ولا يقبل أحدهما إلا مع الآخر، ذ كِّرنَا يا عمر بهذه الأركان.

عمر: الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

الأب: أحسنت يا عمر.. وأرجو أن تتاح لنا فرصة فى جلسات قادمة لنتناولها بالمناقشة، وشكراً لكم على حُسن إصغائكم ومناقشاتكم، وفقكم الله.

الأولاد: شكراً لكَ يا أبانا، شكراً لكِ يا أمنا.. وجزاكما الله عنا خيراً.





عباداتنا

- الصلاة.
- الزكاة.
- صوم رمضان.
- الحج.



الصلاة

وبدأت جلسة المساء الدينية، وكان الأولاد فرحين مستبشرين أنهم سيبدءون حلقة جديدة من سلسلة ثقافتهم الدينية، لقد انتهت حلقة العقيدة، وقد وعدهم أبوهم أنه سيبدأ معهم حلقة جديدة عن العبادات فهم متشوقون لما سيسمعون، مثلهم فى ذلك مثل التلاميذ المتفوقين الذين أتموا فصلاً دراسيّاً بنجاح وبدأوا فصلاً دراسيّاً جديداً فهم متحفزون للمعرفة والاستيعاب، وأقبل الأب مبتهجاً بحرص أولاده على معرفة دينهم، وبعد أن حياهم سألهم:

الأب: لقد أتممنا دروس العقيدة، فهل استوعبتم ما قلنا فيها.

الأولاد: نعم وقد استفدنا كثيراً.

الأب: إن دروس هذه الحلقات دروس عملية تتطلب منا العمل، وأما دروس الحلقات السابقة فكانت تتصل باعتقاد المسلم أى تصديقه بما عرف فى قرارة نفسه تصديقاً مؤكداً وهو ما نسميه الإيمان، فالإيمان مكانه القلب ولا يطلع عليه ولا يعرف صدقه إلا الله سبحانه وتعالى، وأما العبادات وغيرها مما سنناقشه فهى أمور ظاهرة يطلع عليها الناس، لأنها عمل يقوم به الإنسان، فنحن نصلى ويرانا الناس نصلى، ونصوم فيعرف من حولنا أننا صائمون وهكذا، ولابد للمسلم أن يجمع بين الأمرين معاً: الإيمان والعمل ليكون مسلماً مستحقّاً الثواب من الله، ولذلك كان الله يقرن دائماً الإيمان بالعمل الصالح ليكون مسلماً مستحقّاً الثواب من الله، فكثيراً ما يردد

القرآن تعبير.. الذى آمنوا وعملوا الصالحات.. كما ذكرت لكم فى الدروس السابقة، وقبل أن نبدأ الحديث عن العبادات أطلب من أحدكم أن يذكرنا ببقية أركان الإسلام الخمسة.

زينب: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج.

الأب: فلنبدأ بأولها وأهمها وهو الصلاة، وأظنكم جميعاً تعرفون الصلوات المفروضة وعدد ركعاتها.

عمر: نعم.. الصبح ركعتان، والظهر أربع، والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع.

الأب: قبل أن نسترسل فى تفصيل أفعال الصلاة أحب أن أنبهكم إلى المنزلة العظيمة التى تحتلها الصلاة فى أركان الإسلام، ويكفيها شرفاً أنها أول ما فُرضت من العبادات، وفرضت بالأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله دون واسطة، وقد فرضها الله أول الأمر خمسين صلاة ثم جعلها خمساً رأفة بعباده.

عمر: كيف فرضت الصلاة بالأمر المباشر دون واسطة؟

الأب: تعرفون أن الرسول ﷺ أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السماء، وظل جبريل يرافقه حتى بلغا سدرة المنتهى، وهى شجرة عظيمة لا يمكن لملك من الملائكة أن يتجاوزها، ولذلك تقدم الرسول ﷺ وحده، فأمره الله بالصلاة: خمسين صلاة فى اليوم والليلة، وظل يخفضها حتى بلغت خمساً ولكن الله أبقى ثوابها، ثواب خمسين صلاة تكريماً لعباده المسلمين.

عمر: كيف يكون ثواب الخمس مساوياً لثواب الخمسين؟

الأب: لأن الله وعد عباده أن يضاعف لهم الحسنة عشرة أضعاف كما قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام، الآية: ١٦٠).

أحمد: ولكن لماذا كان للصلاة كل هذه الأهمية؟ ولماذا تتكرر خمس مرات فى اليوم.

الأب: لأن الصلاة هى الصلة بين العبد وربه، فأنت حينما تكون واقفاً تصلى تكون واقفاً بين يدى الله تناجيه وتخاطبه، وأما تكرارها كل يوم فلكى يكون الإنسان دائم الصلة بربه ففى مطلع النهار يصلى الصبح، وبعد ساعات يصلى الظهر، وبعد ساعات أقل يصلى العصر، ثم المغرب كذلك التى تعقبها بعد أكثر من ساعة واحدة العشاء، وهكذا يكون الإنسان مع ربه طوال اليوم، وهذا يدفعه إلى مراقبة ربه فى كل عمله فيبتعد عن كل عمل يسيء، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (العنكبوت: ٤٥).

الأم: ومعنى ذلك يا أولادى أن المسلم إذا واظب على الصلاة من غير أن يجتنب الأمور السيئة من كذب أو سرقة أو خيانة فلا خير فى هذه الصلاة ولا ثواب لها.

الأب: نعم.. ولأهمية الصلاة اعتبْرت عمادَ الدين، وركنه الأساسى حتى قال الرسول ﷺ "فرق ما بين المسلم والكافر إقامة الصلاة" ولهذه الأهمية العظيمة جعل الإسلام لها شروطاً سابقة عليها لا تصح الصلاة إلا إذا تحققت، وهذه الشروط هى: الأول الوضوء، والثانى لبس الثياب التى تستر العورة.. الشرط الثالث دخول الوقت والشرط الرابع طهارة المكان والثوب، والشرط الخامس: استقبال القبلة، أظنكم تعرفون كل هذه الشروط ولكن لا بأس من بعض التفصيل لهذه الشروط.

زينب: أنا أعرف كيف أتوضأ.

الأب: جميل قولى لى ما هى فرائض الوضوء؟

زينب: غسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح جزء من الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين.

عمر: هل أذكر سنن الوضوء؟

الأب: تفضل.

عمر: غسل اليدين إلى الرسغين أول الوضوء، والمضمضة ثلاثاً والاستنشاق ثلاثاً، وغسل الوجه ثلاث مرات، ومسح الرأس كله ومسح الأذنين.

الأب: بوركت يا عمر.

زينب: ما معنى الرسغين يا أبي؟

الأب: الرسغان هما العظمتان اللتان فى نهاية الكف.

زينب: ما الفرق بين الفرض والسُّنة؟

الأب: الفرض ويسمى أيضاً الركن، هو ما لا يتم العمل إلا به، وإذا تركه الإنسان بطل العمل الذى يعمله، ويجب عليه إعادته، وأما السنُّة فهى أشياء مكملة ليأتى العمل على أحسن وجه، فالفرض فى الوضوء غسل الوجه مرة واحدة، والسُّنة غسله ثلاث مرات، فإذا لم يغسل وجهه بطل الوضوء، ولكن إذا غسله مرة واحدة لم يبطل وضوؤه، ويكون قد ترك السُّنة، وينقص ثوابه والسنة هى كل ما فعله الرسول ﷺ ولكنه لم يأمر بفعله على سبيل الفرض.

زينب: وهل نصلى بالوضوء الواحد أكثر من صلاة؟

الأب: نعم ما دام الوضوء لم ينتقض، وأظنك تعرفين نواقض الوضوء.

زينب: طبعاً.

عمر: فإذا لم يستطع الإنسان الوضوء لأنه مريض مثلاً ماذا يفعل؟

الأب: يتَيمم.

زينب: ما معنى يتيمم؟

الأب: التيمم معناه أن يضع الإنسان كفيه على تراب أو رمل أو ما أشبه ذلك بشرط أن يكون طاهراً، ثم ينفض كفيه ويمسح بهما وجهه ويضعهما مرة أخرى على التراب أو غيره مما يكون من جنس الأرض، ثم ينفضهما ويمسح بهما يديه إلى المرفقين، هل تعرفين المرفقين يا زينب.

زينب: نعم العظمتان اللتان فى منتصف الذراع.

أحمد: متى يصح للإنسان أن يتيمم.

الأب: إذا لم يستطع الإنسان الحصول على الماء بأن كان فى مكان منعزل ليس به ماء أو كان الماء الذى معه لا يكفى إلا لشربه ويخشى ألا يجد ماء لبعده عن العمران، أو يكون عنده ماء ولكنه لا يقدر على استعماله بأن كان مريضاً ونصحه الطبيب بعدم استخدام الماء.

عمر: بعض زملائى بالمدرسة عندما يريدون الوضوء لا يخلعون "الشراب" ويغسلون أرجلعهم ولكن يمسحون على "الشراب" فهل هذا صحيح؟

الأب: هذا نوع من التيسير على المتوضئ، ويعرف بالمسح على الخفين، والخف

نعل مثل الحذاء ولكنه أخف منه، فيجوز للإنسان أن يتوضأ أولاً ويغسل رجليه، ثم يلبس الخف، فإذا أراد الوضوء بعد ذلك يتوضأ ويمسح على الخف من غير أن يغسل رجليه، ولكن المسح على الشراب له شرط مهم وهو ألا يكون "الشراب" خفيفاً يوصل الماء إلى الرجل بل يكون سميكاً لا ينفذ منه الماء.

عمر: وكلما أراد الوضوء مسح على الخف أو الشراب؟

الأب: لمدة أربع وعشرين ساعة فقط إذا كان غير مسافر، وإذا كان مسافراً فمدته ثلاثة أيام وبعد انتهاء المدة فى الحالتين يجب نزع الخف والوضوء الكامل، وإذا خلع الإنسان الخف أو الشراب فى أى وقت قبل مضى المدة يجب أن يتوضأ وضوءًا كاملاً.

والشرط الثانى لصحة الصلاة بعد الوضوء: هو أن يكون المصلى مرتدياً ثياباً تستر عَورته.

عمر: ما المقصود بالعورة؟

الأب:العورة هى أجزاء الجسم التى لا يجوز للمسلم أن يكشفها فى أى وقت من الأوقات أمام الناس، وهى فى الرجل تختلف عنها فى المرأة، فالرجل ينبغى أن يستر جسمه من فوق سرته إلى أسفل ركبتيه، وأما المرأة فينبغى أن تستر جسمها كله ما عدا وجهها وكفيها.

والشرط الثالث دخول الوقت، فلا يصح أن يصلى فرضا قبل دخول وقته، والأوقات أصبحت الآن محددة تحديداً دقيقاً نقرؤها فى الصحف ونسمع أذانها من مكبرات الصوت فى كل مسجد، ولكل فرض زمنه المحدد، وللمسلم أن يصلى فى أى فترة من زمن الفرض، ولكن تستحب المبادرة إلى الصلاة فى أول وقتها.

الشرط الرابع: طهارة الثوب وطهارة المكان، فلا تصح الصلاة فى ثوب نجس بأن يكون عليه بول أو دم أو غير ذلك، كما ينبغى أن يكون المكان الذى يصلى فيه طاهراً.

أحمد: وكيف أعرف أن المكان طاهر؟

الأب: إذ لم تشاهد وقوع نجاسة فيه ولم يخبرك أحد بأنه نجس وكان المكان جافّاً ونظيفاً وليس عرضة للتلوث، فلا يصح مثلاً أن نصلى فى مكان تلقى فيه الزبالة.

الشرط الخامس والأخير هو استقبال القبلة، فإذا أراد المسلم الصلاة يتجه نحو القبلة أى اتجاه الكعبة، فهى قبلة السملمين جميعاً فى جميع أنحاء العالم فى صلاتهم.

أحمد: لكن نحن نبعد عن الكعبة آلاف الأميال، فكيف نتحقق أن اتجاهنا نحو الكعبة؟

الأب: المسلم الذى يصلى فى المسجد الحرام عليه أن يتجه نحو الكعبة ذاتها من أى زاوية فهى أمامه يشاهدها، وأما خارج المسجد الحرام مهما كان المصلى بعيداً عن الكعبة فعليه أن يتجه إلى الجهة التى تقع فيها مكة جغرافيّاً، فنحن فى مصر نتجة نحو الجنوب الشرقى الذى تقع فيه المملكة العربية السعودية.

عمر: ولماذا يتجه المصلى نحو الكعبة؟ ولماذا لا يصلى إلى أية جهة لأنه يصلى لله والله فى كل مكان؟

الأب: الحكمة فى استقبال القبلة فى الصلاة هى توحيد قلوب المسلمين وتوجيههم نحو اتجاه واحد فى صلاتهم، وكما أخبرنا فى قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ١١٥) فإنه أمرنا أيضاً أن نتجة نحو المسجد الحرام فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (البقرة: ١٥٠).

هذه هى الشروط التى يجب أن تتحقق قبل الدخول فى الصلاة، وهناك سُنة مؤكدة ينبغى الإتيان بها قبل الصلاة أيضاً - وإن كانت تصح الصلاة بدونها - هذه السُّنة هى الأذان والإقامة، فالأذان هو الإعلام بدخول الوقت، وأنتم تسمعونه فى جميع الأوقات.

الأم: إنه نشيد إلهى جميل، كلما سمعت الأذان ازددت إيماناً بالله وبدين الإسلام، فهو يبدأ بهذه العبارة التى تملأ النفوس اطمئناناً "الله أكبر" فهو أكبر من الظالمين، وأكبر من كل عدو يريد بنا شرّاً مهما بلغت قوته، ثم يأتى العبارة التالية التى يجدد فيها كل مسلم إيمانه بالله وبرسوله: "أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله" ثم الدعوة إلى الصلاة: "حى على الصلاة" أى أقبلوا على الصلاة، ثم عبارة تبين نتيجة الصلاة وهى الفلاح والفوز "حى على الفلاح" ثم يختتم النشيد بما بدأ به "الله أكبر" وبعدها الإقرار بوحدانية الله "لا إله إلا الله" فأى ثقة بالله تملأ قلوب المؤمنين حينما يسمعون هذا النشيد العظيم الذى يتكرر يوميّاً.

الأب: حقّاً إنه الشعار المميز للمسلمين، وأما الإقامة فعلى كل مصلٍّ حتى لو كان يصلي وحده أن يقيم قبل صلاته، والإقامة تتفق مع الأذان فى أنها تشتمل على كل عباراته ولكنها تختلف عنه فى تكرارها هذه العبارات، فالأذان يكرر "الله أكبر" أربع مرات، والإقامة تكررها مرتين، ثم العبارات التالية تكرر مرتين فى الأذان ولا تكرر فى الإقامة وتتفقان فى الختام فتكرر "الله أكبر" مرتين فيهما "ولا إله إلا الله" مرة واحدة فيهما أيضاً، وفى الإقامة يقول بعد "حى على الفلاح" قد قامت الصلاة مرتين، ونكتفى الليلة بهذا القدر وإلى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

فرائض الصلاة

وفى الجلسة التالية بعد أن حيا الأب أسرته قال:

الأب: فرغنا من الحديث عن الشروط أو السنن التى تسبق الصلاة، والليلة نتحدث عن الصلاة نفسها، فما فرائض الصلاة يا أحمد؟

أحمد: فرائض الصلاة هى: تكبيرة الإحرام، القيام، القراءة، الركوع، السجود.

الأب: حسن يا أحمد، لكنك نسيت ثلاثة أركان.

عمر: نسى ركن النية.

الأب: صح.. ركنان آخران هما: الطمأنينة بين الأركان، والقعود الأخير بمقدار التشهد.

زينب: أرجو يا أبى أن توضح لنا هذه الأركان.

الأب: بكل سرور يا زينب.. أول فرض – أو ركن فلا فرق بين الفرض والركن – هو النية: أى أن الإنسان قبل أن يدخل فى الصلاة ينوى فى قلبه أنه سيصلى وقت كذا على حسب الوقت الذى سيصليه، والحقيقة يا أولادى أن النية مطلوبة فى كل عبادة، وهى أساس ثواب الله على هذا العمل، وقد قال ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات"**[(١)]، أى أن قيمة العمل ترتبط بما نواه الإنسان، فلو فرضنا أن شخصاً أخذ يزاول الرياضة فأتى بحركات مثل حركات الصلاة تماماً، ولكنه لم ينو الصلاة، فلا يعتبر ما فعله صلاة، وليس بشرط أن يتلفظ المصلى بالنية فيقول: نويت أن أصلى كذا.. بل يكفيه أن ينوى ذلك فى قلبه أى يكون عارفاً أنه سيصلى فرض كذا.

---

(١) رواه البخارى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

والفرص الثانى: تكبيرة الإحرام: وهى أول تكبيرة يدخل بها المصلى الصلاة.

عمر: ولماذا سميت "تكبيرة الإحرام"؟

الأب: لأنها التكبيرة التى يحرم بعدها على المصلى ممارسة أى فعل خارج عن الصلاة.

والفرض الثالث هو القراءة ويشترط قراءة الفاتحة فى كل ركعة وسورة معها أو بعض آيات فى الركعتين الأولين.

أحمد: عندما أصلى جماعة ألاحظ أن بعض الأئمة يبدأ القراءة بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، وإمام آخر يبدأ بـ"الحمد لله رب العالمين"، فما سر ذلك؟

الأب: هذا اختلاف مذاهب، فالتشريع الإسلامى ويسمى "الفقه" اشتهر من أئمته أربعة هم: أبوحنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وقد تفقهوا فى الدين، واشتهروا بعلمهم الغزير، واجتهادهم فى مسائل فرعية من الدين. وكان لكل إمام من هؤلاء الأئمة تلاميذ تتلمذوا عليه وأعجبوا بآرائه فنشروها بين الناس، وألفوا فيها كتباً فنشأت بذلك المذاهب الأربعة، وهذه المذاهب لا تختلف إلا فى بعض المسائل الفرعية التى لم يأت فيها نص قرآنى صريح، أو حديث مؤكد عن الرسول ﷺ، ومن هذه المسائل الفرعية الجهر بالبسملة عند القراءة، أو قراءتها سرّاً فبعضهم قال بالجهر، وبعضهم قال بعدم الجهر، ولكنهم جميعاً متفقون على أن يقرأ المصلى البسملة وهذا كله فى الصلاة الجهرية أى الفجر والمغرب والعشاء، وأحب أن أنبهكم إلى أن اختلاف هؤلاء الأئمة فى أمور قليلة وثانوية لا تؤثر فى جوهر العبادات، وسبب هذا الاختلاف كما ذكرت أن بعض الأئمة لم يصله حديث نبوى اعتمد عليه إمام آخر، أو فهم النص القرآنى فهماً مختلفاً عن إمام آخر.

والفرض الرابع من فروض الصلاة: القيام.

عمر: ولكنى أرى جدى أحياناً يصلى قاعداً.

الأب: القيام فرض فى صلاة الفريضة لمن يقدر عليه دون ألم، وأما فى صلاة السنن والنوافل فليس فرضاً ويجوز للمصلى أن يصليها قاعداً دون عذر.

والفرض الخامس الركوع: والركوع الصحيح أن يستوى ظهر الراكع ويمسك ركبتيه بيديه.. والسادس السجود، والأعضاء التى يجب أن تمس الأرض فى أثناء السجود: الجبهة والأنف والكفان والركبتان والقدمان ولابد أن يسجد المصلى سجدتين فى كل ركعة.

والفرض السابع الطمأنينة فى أداء أركان الصلاة، ومعنى ذلك أن المصلى إذا ركع اطمأن فى ركوعه بقدر ما يقول: "سبحان ربى العظيم" ولو مرة واحدة، وإذا رفع من ركوعه اطمأن واقفاً لحظة، وإذا سجد اطمأن فى سجوده لحظة بقدر ما يقول: "سبحان ربى الأعلى" ولو مرة واحدة.

عمر: ولكننا نقول "سبحان ربى العظيم" ثلاث مرات فى الركوع، و"سبحان ربى الأعلي" ثلاث مرات فى السجود.

الأب: هذه هى السُّنَّة ويمكن أن نزيد على ذلك، ونضيف إلى التسبيح فى السجود الدعاء، ولكن ما ذكرتُه هو الحد الأدنى لصحة الصلاة، وكذلك إذا أتم سجوده الأول يجلس مطمئناً بين السجدتين لحظة وهكذا فى كل الركعات هذا معنى الطمأنينة.. وأما ما يفعله بعض المصلين من السرعة فى الصلاة ونقرها نقراً فهذا يفسد الصلاة، وقد نهى عن ذلك رسول الله ﷺ ورأى رجلاً يصلى بهذه الطريقة – طريقة

النقر – فقال له: "صلِّ فإنك لم تصلِّ".

الأم: إن الله سبحانه وتعالى حينما يأمرنا بالصلاة يقول: أقيموا الصلاة، أو أقم الصلاة.. ولم يقل أدوا الصلاة، ومعنى ذلك أن المطلوب إقامتها أى أداؤها على الوجه الأكمل.

الأب: هذا صحيح، والفرض الثامن والأخير هو القعود الأخير بمقدار ما يقول التشهد، أتعرفين التشهد يا زينب؟

زينب: طبعاً.. التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الأب: بوركت يا زينب.

عمر: ولكنها لم تذكر بقيته وهو: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

الأب: التشهد هو ما ذكرتْه زينب فقط، وهو فرض فى نهاية الصلاة، والصلاة على النبى ﷺ التى ذكرتها يا عمر هى سُنة إذا لم يذكرها المصلى لا تبطل صلاته ولكن ينقص ثوابه.

وهناك أمور مكمِّلة للصلاة مطلوب عملُها لكى تكون الصلاة كاملة وثوابها كامل وهى التكبير بين الأركان، فإذا نزل المصلى للركوع قال الله أكبر وكذلك إذا نزل للسجود بين السجدتين، وإذا رفع للقيام، لكن إذا رفع من ركوعه يقول: "سمع الله

لمن حمده"، ويتبع ذلك بقوله ربنا لك الحمد.

ومن سُنن الصلاة أيضاً الجلوس بعد الركعتين الأوليين فى الصلاة الرباعية والثلاثية، وقراءة التشهد فقط دون ذكر الصلاة على النبى ﷺ، وهذا التشهد سُنة مؤكدة، وبعض الأئمة يعتبره واجباً، فهو لو نسيه يسجد للسهو فى نهاية الصلاة، كما سأذكر لكم، ومن سُنن الصلاة أيضاً الجهر بالقراءة فى صلاة الليل فى الركعتين الأوليين فقط، وهى صلاة الفجر وصلاة المغرب والعشاء، وفى نهاية الصلاة يسلم عن يمينه وعن يساره ونكتفى بهذا القدر الليلة ونكمل فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

النوافل

وبدأت الجلسة التالية فسأل عمر:

عمر: نسمع كلمة صلاة النفل، فما معنى النفل؟ وما هى صلواته؟

الأب: النفل والنافلة والنوافل معناها فى اللغة الزيادة، إذن هى صلاة زائدة على الفرض، وهى نوعان: سُنة وتطوع، والفرق بينهما أن صلاة السُّنة كان الرسول ﷺ حريصاً على أدائها ويحث المسلمين على فعلها وهى عشر ركعات: ركعتان بعد المغرب، وركعتان قبل صلاة الظهر، وركعتان بعد صلاة الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، ويضاف إلى ذلك ركعة الوتر وتكون فى ختام صلاة الليل، ولا يصلى بعدها، وأما التطوع: فهو ما زاد على ذلك وبعضه كان يفعله الرسول ﷺ أحياناً ولكنه لا يواظب عليه مثل صلاة التراويح فى رمضان وصلاة الضحى ووقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة قبل الظهر، وهى ركعتان إلى ثمانى ركعات، وللمصلى أن يصليَ متطوعاً ما يشاء.

سجود السهو

أحمد: نريد أن نعرف شيئاً عن سجود السهو إذا سمحت يا أبي.

الأب: سجود السهو سجدتان يسجدهما المصلى بعد انتهاء الصلاة قبل أن يسلم أو بعد أن يسلم على حسب الظروف، فمثلاً إذا نسى أن يقعد للتشهد الأول، أو نسى أن يقرأ سورة مع الفاتحة فى الركعتين الأوليين، أو زاد فى صلاته ركعة فإنه يسجد للسهو قبل السلام، وأما إذا سلم وتذكر أنه نسى ركعة أو أكثر فإنه يصلى ما نسيه ثم يسجد للسهو، وأحب أن أذكركم أن سجود السهو يكون فى السهو عن سُنة مؤكدة، أما السهو عن فرض كأن ينسى الركوع أو السجود مثلاً فعليه أن يعيد صلاته ولا ينفع فى ذلك سجود السهو.

صلاة الجماعة

عمر: بعض الناس يحبون الصلاة فى المسجد مثل حضرتك ومثل أحمد أخى.. فهل صلاة الجماعة أفضل من الصلاة الفردية.

الأب: نعم.. هى سُنة مؤكدة، وهى أفضل من صلاة الفرد كثيراً، فقد حدثنا الرسول ﷺ **أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة**[1] أى أن ثوابها يساوى ثواب صلاة المنفرد سبعاً وعشرين صلاة.

عمر: ولماذا كان لها كل هذا الثواب؟

الأب: لأن الإسلام يحب تجمع المسلمين، لأن فى تجمعهم زيادة التعارف

---

(١) رواه البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والتعاون بينهم، وهو يريد أن يكون المسلمون مترابطين متماسكين كما عبر عن ذلك الحديث الشريف: "المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً"، ولذلك حث على صلاة الجماعة فى الصلوات المفروضة ليكون المسلم على اطلاع دائم على أحوال جيرانه ومعارفه، كما وسع دائرة الاجتماع كل أسبوع فى صلاة الجمعة، ومرتين كل سنة فى صلاة العيدين، ثم المؤتمر الأعظم فى موسم الحج السنوى الذى يجمع كثيراً من شعوب العالم الإسلامى فى ساحته.

عمر: هل تجوز صلاة الجماعة فى غير المسجد؟

الأب: نعم، فيصح أن نصلى معاً فى البيت، وتعتبر صلاتنا معاً جماعة، وكذلك صلاة كل اثنين فأكثر معاً فى أى مكان تعتبر صلاة جماعة، ولكن الجماعة فى المسجد أفضل.

زينب: لكن أمى تصلى دائماً فى البيت.

الأب: لقد أعفى الإسلام المرأة من صلاة الجماعة، وجعل صلاتها فى بيتها مساوية لصلاة الجماعة، ولو ذهبت وصلت مع الجماعة فلا بأس.

عمر: أذهب أحياناً إلى المسجد فأجد الإمام قد صلى ركعة أو أكثر فماذا أفعل؟

الأب: ادخل مع الإمام فى الصلاة، وبعد أن يسلم لا تسلم أنت وتقوم لتصلى ما فاتك، وإذا أدركت الإمام قبل أن ينتهى من ركوعه وركعت معه تحتسب لك الركعة، ولكن إذا أدركته بعد قيامه من الركوع لا تحسب لك الركعة وتعمل حسابك أن تقعد للتشهد الأول بعد تمام ركعتين حتى لو أدركت التشهد مع الإمام.

قضاء الفوائت

أحمد: أحياناً تضطرنى ظروف أن أترك صلاة مفروضة حتى يفوت وقتها وأحياناً

أنسى حتى يفوت الوقت فماذا أفعل؟

الأب: يحث الإسلام حثاً قوياً على أداء كل صلاة فى وقتها، فالله يقول لنا فى القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء: ١٠٣) أى أنها فريضة محددة بوقت ينبغى أن تؤدَّى فيه، فلا يصح للمسلم أن يترك أداءها فى وقتها ما دام قادراً على ذلك، فإن اضطرته ظروف خارجة عن إرادته ألا يصليها فى وقتها أو نسى أداءها فى وقتها فعليه أن يصليها بمجرد أن يتذكرها، أو تزول الظروف التى اضطرته إلى تأخيرها، وذلك قبل أداء الفرض التالى لها.

عمر: فإذا فاته أكثر من وقت؟

الأب: عليه أن يصلى الصلاة الفائتة بترتيبها قبل الصلاة الوقت إلا إذا زادت الفوائت عن خمس فليس عليه أداؤها بالترتيب قبل صلاة الوقت، ويستحسن أن يصلى كل فرض منها مع الفرض المشابه له، فيصلى الظهر الفائت قبل الظهر الحالى، والعصر الفائت قبل العصر الحالى وهكذا، وهذه الصلاة تسمى قضاءً وأرجو ألا تلجؤوا إلى القضاء إلا للضرورة القصوى حتى لا يفوتكم ثواب أداء الصلاة فى وقتها فهو عظيم كما أخبرنا الرسول ﷺ حينما سئل - أى الأعمال أفضل؟ فقال: **"الصلاة على وقتها"**[1].

صلاة الجمعة

عمر: عرفنا أنه من الممكن أن نصلى صلاة الجماعة فى البيت ولنا ثواب الجماعة، فهل يصح أن نصلى صلاة الجمعة أيضاً فى البيت؟

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الأب: لا، إن الجمعة أمرها مختلف تماماً، فالشرط الأول فيها اجتماع الناس للصلاة فى المسجد، وقد اهتم الإسلام بشأن صلاتها، فدعا كل المسلمين أن يتركوا أعمالهم ويتوجهوا إلى صلاة الجمعة، وقد صدر الأمر الإلهى بذلك فى سورة سميت سورة الجمعة، وقال الله تعالى فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (الجمعة: ٩)، وقد كان البيع أهم شاغل يشغل الناس فى ذلك الزمان.

عمر: هل لابد من الخطبة قبل الصلاة؟

الأب: الخطبة لابد منها فهى شرط لصحة صلاة الجمعة، وأنتم تعرفون أن صلاة الجمعة ركعتان فقط، وليست أربعاً، وذلك من أجل الخطبة.

عمر: لكن الإمام يخطب خطبتين.

الأب: نعم وهذه سُنة الرسول ﷺ كان يخطب خطبة ثم يجلس قليلاً ثم يقوم ليخطب خطبة ثانية.

أحمد: إذا اضطرتنى ظروفٌ لأن أذهب بعد انتهاء الخطبة هل تصح صلاتي؟

الأب: نعم تصح، ولكن لا ينبغى أن يكون هذا عادة لك، فإن ثوابك ينقص إذا حضرت متأخراً دون عذر، فقد بيَّن الرسول الكريم ﷺ الثواب العظيم لمن يحضر المسجد مبكراً قبل وقت الجمعة، ويظل الثواب يتناقص حتى يقوم الخطيب لإلقاء الخطبة فلا يكون للذاهب بعد ذلك ثواب غير ثواب حضور الصلاة، وهناك أشياء ينبغى مراعاتها لمن يحضر صلاة الجمعة، منها: أن يغتسل - أى يستحم - ويتطيب

ويلبس أحسن ثيابه، أو على الأقل يلبس ثياباً نظيفة، فإذا دخل المسجد والإمام يخطب دخل فى هدوء لا يكلم أحداً، ولا يصافح أحداً، وقد شدد الرسول ﷺ على التزام الهدوء فى أثناء الخطبة حتى لقد قال: **"إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب: أنصت فقد لغوت"** [1]، واللغو أى كلام لا خير فيه وهو يؤدى إلى إبطال ثواب صلاة الجمعة.

أحمد:ومن حضر متأخراً بعدما أقيمت الصلاة ماذا يفعل؟

الأب:يدخل مع الإمام فى صلاته، فإذا حضر قبل ركوع الإمام الركعة الأولى فقد أدرك الجمعة كلها، وإذا حضر بعدما قام من ركوعه الأول تحتسب له ركعة ويصلى الركعة الثانية بعدما يسلم الإمام، لكن إذا حضر بعد انتهاء الإمام من ركوع الركعة الثانية فإنه يستمر مع الإمام حتى يسلم ثم يصلى أربع ركعات صلاة الظهر.

عمر:هل تجب صلاة الجمعة على كل المسلمين؟

الأب:لا، وإنما تجب على الرجال الذين وصلوا سن البلوغ وهو حوالى الثالثة عشرة فما فوقها، غير المسافرين والمرضى.

أحمد:معنى ذلك أن المرأة والصبى والمسافر والمريض لا يحضرون صلاة الجمعة، ولكننا نرى نساء يصلين الجمعة فى المسجد مع الرجال، وكذلك الصبيان ونرى مرضى يجلسون على كرَاسٍ يصلونها أيضاً.

الأب:هى ليست واجبة على هؤلاء جميعاً تخفيفاً من الله ورحمة وينوب عنها صلاة الظهر بالنسبة لهم، ولكن إذا حضروها صحت صلاتهم، ولهم ثوابها.

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة.

عمر: اشرح لنا صلاة العيد يا أبى إذا سمحت.

الأب: بكل سرور ولكن فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

صلاة العيدين

وبدأت الجلسة بحديث الأب عن صلاة العيد.

الأب: للمسلمين عيدان هما: عيد الفطر الذى يبدأ عقب انتهاء صوم رمضان احتفالاً بتوفيق الله المسلمين لإتمام صومهم، وعيد الأضحى الذي يأتى فى العاشر من ذى الحجة عقب وقوف الحُجاج بعرفة وإتمامهم ركناً من أهم أركان الحج، فيشاركهم المسلمون جميعاً فى كل بقاع الأرض فرحتهم بإتمام الحج، فيذبحون الأضاحى يوم العيد ابتهاجاً بذلك، وأريدكم أن تلاحظوا أن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نتقرب إليه بالصلاة فى كل مناسبة، فى الفرح والحزن والخوف والرجاء، فشرع صلاة العيدين بداية لفرحة العيد، وشرع صلاة الجنازة توديعاً للميت كما شرع صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء كما سنعرف.

عمر: نلاحظ أن صلاة العيدين تختلف عن صلاة الجمعة فما الفرق بين الصلاتين؟

الأب: هناك فروق واضحة: فصلاة الجمعة فرض عين لا يجوز تركها إلا لضرورة، وصلاة العيدين سُنة مؤكدة يجوز تركها ولكن يحرم التارك لها ثوابها، وصلاة الجمعة تأتى فى وقت فرض وهو الظهر وتنوب عنه، وصلاة العيد لها وقت مخصوص هو بعد شروق الشمس بثلث ساعة على الأقل، ويؤذن لصلاة الجمعة، ولا يؤذن لصلاة العيد بل يقال: الصلاة جامعة، والخطبة فى صلاة الجمعة قبل الصلاة، ولكنها فى صلاة العيد بعد الصلاة، وكذلك تختلف صلاة العيد فى شكلها عن صلاة

الجمعة بعض الشيء هل تستطيع يا أحمد أن تصف لنا صلاة العيد؟

أحمد: يبدأ الإمام عقب تكبيرة الإحرام بالتكبير سبع مرات بصوت عال ويسكت بين كل تكبيرة وتكبيرة لحظة قصيرة، ثم يقرأ الفاتحة وسورة ويتم الركعة بالطريقة العادية، وفى بداية الركعة الثانية يكبر قبل القراءة خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام بنفس الطريقة ثم يتم الركعة الثانية ويتشهد ويسلم، ومع كل تكبير يرفع يديه ويفعل المصلون مثله.

الأب: حسن.. وهناك فروق أخرى بين صلاة الجمعة وصلاة العيد منها: أن صلاة العيد يستحب أن تصلى فى الخلاء خارج المدن إذا أمكن ذلك، ويمكن صلاة العيد فى المنزل جماعة أو على انفراد ولكن الأفضل حضور الجماعة، ومنها أنه يستحب فى صلاة العيد أن يحضرها النساء والأطفال ولو لم يصلوا، لأن المقصود إظهار البهجة والسرور فى هذا اليوم.

زينب: أنا أسمع المصلين يكبرون كثيراً بصوت عال فى الشوارع وهم ذاهبون إلى الصلاة.

الأب: نعم، التكبير سنة فى العيدين، ولكن يختلف الأمر فى عيد الفطر عنه فى عيد الأضحى، ففى عيد الفطر يُسَن التكبير من وقت الخروج للصلاة حتى بداية الصلاة، ولكن فى عيد الأضحى يُسَن للمصلى أن يبدأ التكبير من فجر يوم عرفة أى اليوم التاسع من ذى الحجة، ويظل يكبر حتى عصر اليوم الثالث عشر من ذى الحجة أى رابع أيام العيد، ويكون التكبير عقب الصلوات الخمس فقط.

عمر: وما صيغة التكبير؟

الأب: صيغة التكبير المأثورة عن الرسول ﷺ هى: الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله.. والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ويمكن أن يزيد المصلون عن ذلك كما تسمعون فى المساجد.

أحمد: كثير من المصلين ينصرفون بعد الصلاة ولا يسمعون الخطبة فهل تصح صلاتهم؟

الأب: نعم تصح، ولكن الأفضل أن يبقوا حتى يسمعوا الخطبة، وهذا لن يؤخرهم كثيراً فما هى إلا دقائق.

أحمد: بعض الخطباء يطيلون الخطبة.

الأب: هذا خطأ، فينبغى أن تكون الخطبة موجزة تتضمن وعظ المسلمين بتقوى الله، وحثهم على عمل ما يصلح أحوالهم فى الدنيا والآخرة بإيجاز وتركيز.

صلاة المسافر

أحمد: حضرتك ذكرت أن المسافر يعفَى من صلاة الجمعة، وكذلك المريض فما السر فى ذلك؟

الأب: السر فى ذلك أن المسافر ظروفه غير مستقرَّة، فهو بعيد عن بلده وله احتياجات قد تؤثر فيها صلاة الجمعة، فمن يسر الإسلام أنه خفف عن المسافر الصلاة، فبالإضافة إلى إعفائه من صلاة الجمعة ويصلى الظهر بدلاً من منها جعل الله الصلاة الرباعية وهى الظهر والعصر والعشاء ركعتين فقط أى على النصف من صلاة غير المسافر.

زينب: والمغرب والفجر.

الأب: تبقيان كما هما، لأن المغرب ثلاث ركعات فهو خفيف، والفجر ركعتان فهو أخف منه فلا يحتاجان إلى تخفيف، وتخفيف الصلاة هكذا يسمى قصراً.

أحمد: هل يجوز لكل مسافر أن يقصر الصلاة، حتى لو كانت مسافة قصيرة قريبة كأن يكون مسافراً إلى قليوب أو بنها مثلاً.

الأب: اشترط معظم الفقهاء ألا يقل السفر عن ٨٥ كم أى مثل المسافة بين القاهرة وطنطا، وهذا شيء طبيعى؛ لأن السفر القريب ليس فيه مشقة تستوجب التخفيف.

عمر: وعندما يصل إلى البلد الذى يقصده هل يصلى الصلاة دون قصر؟

الأب: إذا كان سيقيم خمسة عشر يوماً أو أكثر لا يقصر، وأما إذا كان سيقيم أقل من ذلك، أو لا يعرف متى يسافر يظل يقصر الصالة حتى يعود إلى بلده.

أحمد: إذا صلى المسافر فى جماعة فى صلاة رباعية كالظهر مثلاً، فماذا يفعل؟

الأب: إذا كان المسافر إماماً يخبر المأمومين أنه سيصلى قصراً وأن عليهم أن يتموا الصلاة الرباعية بعد أن يسلم، أما إذا كان مأموماً فعليه أن يصلى أربعاً ويسلم مع الإمام، وهناك تخفيف آخر للمسافر، فيجوز له الجمع بين صلاتى الظهر والعصر تقديماً، فيصلى الظهر مع العصر فى وقت الظهر، أو تأخيراً فيصلى الظهر فى وقت العصر، وكذلك المغرب مع العشاء.

عمر: بقيت صلاة المريض.

الأب: نؤجلها إلى الجلسة المقبلة إن شاء الله، ويكفينا هذا الليلة.

صلاة المريض

أقبل الأب فحيا أسرته، وجلس بينهم فترة يحادثهم ثم قال لعمر:

الأب:ما الذى كنت تريده منى فى الجلسة الماضية يا عمر؟

عمر:أن تحدثنا عن صلاة المريض؟

الأب:حسن يا عمر.. الإسلام - كما عرفنا - دين يسر وقد قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) من أجل هذا يراعى الإسلام حالة الإنسان فلا يكلفه عملاً يرهقه، فإذا كان مريضاً والقيام يرهقه يصلى قاعداً، وإذا أتعبه الجلوس يصلى بالطريقة التى تريحه حتى لو صلى وهو راقد.

زينب:كيف يصلى وهو راقد؟

الأب:يرقد على ظهره أو على الجنب الذى يريحه فى اتجاه القبلة، ويقرأ إذا استطاع الفاتحة والسورة، وعند الركوع يخفض رأسه قليلاً وعند السجود يخفضها بدرجة أكثر، ويسمى هذا إيماء، وهكذا حتى ينتهى من صلاته.

الأم:لاحظتم يا أولادى مدى حرص الإسلام على أداء الصلاة، فهو لا يعفى المسلم من أدائها مادام فيه نفس يتردد، ومادام عاقلاً للصلاة، ولكنه فى الوقت نفسه لا يُطلب منه ما يتعبه.

عمر:إننى أرى عند صلاتى فى المسجد رجالاً يصلون وهم جلوس على الكراسى.

الأب:ذلك لأنهم لا يستطيعون الصلاة بالطريقة العادية، فالإسلام يبيح لهم ذلك، فالإسلام حريص كما قالت أمكم على أن يؤدى المسلم صلاته، ولا يتركها أبداً

مهما كانت الظروف، لأن الصلاة هى أهم صلة بين العبد وربه، فهو حينما يدخل فى صلاته يصبح فى حضرة الله يناجيه ويكلمه، والله لا يحب أن تنقطع صلة العبد به.

صلاة الكسوف والخسوف

أحمد: حضرتك حدثتنا عن أن المسلم يتقرب إلى الله بالصلاة فى كل أوقاته وخصوصاً فى أوقات الخوف أو الرجاء كما فى صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء، فنرجو أن تحدثنا عن هذه الصلوات.

الأب: أنتم تعرفون ظاهرتى كسوف الشمس وخسوف القمر، والإسلام يطلب من المسلمين الصلاة فى هذين الوقتين تضرعاً إلى الله القادر على كل شىء، ومن مظاهر قدرته ما يحدث أمامهم للشمس والقمر.

أحمد: ولكن يا أبى هاتان ظاهرتان طبيعيتان يحدثان فى مواعيد محددة يحددها الفلكيون قبل موعد حدوثهما بشهور وربما بسنين، ولا خوف منهما ولا ضرر.

الأب: نعم يا بنى، ومعرفتنا بذلك حديثة بفضل ما أتاحه الله للبشرية من تقدم علمى، ولكن هاتان الظاهرتان كانتا تحدثان عند القدماء رعباً وفزعاً، فقد كانوا يخشون أن يكون هذا نذيراً بفناء العالم، فجاء الإسلام ليطمئن الناس فأمرهم بالصلاة عند حدوثهما، وهذا يطمئنهم من ناحية، ويزيد صلتهم بالله من ناحية أخرى، فهم يرجعون كل أمر إليه، وإذا كان تالقدماء يصلون فى هذا الوقت تضرعاً إلى الله أن يلطف بهم، ويعيد الأمور إلى نصابها، فنحن نصلى اليوم بعدما عرفنا سرهما أولاً: اقتداء برسولنا العظيم ﷺ، ثانياً: تعبيراً عن إقرارنا وتسليمنا بقدرة الله وهيمنته على كل ظواهر الكون.

الأم: لقد تذكرت أمراً متصلا بالكسوف يبين مدى عظمة رسولنا الكريم ﷺ، وصدْق رسالته، لقد كسفت الشمس يوم موت ابنه الحبيب إبراهيم، فقال الصحابة: لقد كسفت الشمس من أجل موت إبراهيم، فلو أن رسولنا العظيم كان مدعياً وانتهازيّاً لأيدهم فى قولهم هذا، أو على الأقل كان سكت وتركهم يظنون هذا الظن، ولكنه لأنه صادق وعظيم سارع بتكذيب هذا الظن، وقال لهم: "**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا وصلوا وكبروا وتصدقوا**"[1] فما أعظمه ﷺ.

الأب: لقد ذكرنى قولك هذا موقفاً آخر من مواقف الرسول ﷺ ملأ قلبى إعجاباً بعظمته وصدق نبوته، فاسمحوا لى أن أذكره لكم وإن كان خارج موضوعنا.. إنه موقف بسيط ولكنه عظيم الدلالة، لقد كانت ابنته فاطمة زوجة ابن أخيه على رضى الله عنهما تعيش حياة خشنة تقوم فيها بالخدمة الشاقة فى بيتها من غسل وطحن وخبز وغير ذلك من أعمال المنزل، لأنها وزوجها لا يمكنهما شراء جارية تساعد فى أعمال البيت، فسمعت أن المسلمين فى إحدى غزواتهم أحضروا بعض الأسرى، وفى نظام الحروب القديمة كان الأسرى يصبحون عبيداً، فذهبت إلى أبيها ليعطيها عبداً أو جارية فلم تجده، فأوصت السيدة عائشة بذلك، ولما علم النبى العظيم الأب بحاجة ابنته.. فماذاتتصورون ما فعله.

أحمد: لابد أنه أرسل إليها ما تريد بل أكثر مما تريد.

الأب: لو فعل ذلك ما احتجت إلى أن أذكر لكم هذا الموقف، فهو موقف طبيعى

---

(١) رواه البخارى عن ابن عمر.

من ملك أو أمير نحو ابنته الحبيبة، ولكنه رسول عظيم.. لقد ذهب إليها وكان معها زوجها فقال لهما: **"ألا أعلمكما خيراً مما سألتمانى إذا أخذتما مضاجعكم (أى إذا ذهبتما إلى النوم) تكبران أربعاً وثلاثين، وتسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكم من خادم"** [(١)] وتركهما وانصرف، فكروا وقارنوا.

الأم:هذه هى العظمة الحقيقة.

زينب:ولماذا لم يعط ابنته ما طلبت ما دام عنده؟

الأب:لأنه وجد غيرها من المسلمين أحوج إلى هذا العبد.

نعود إلى موضوعنا وهو صلاة الكسوف أو الخسوف، هى سُنة عن الرسول ﷺ فقد كان يدعو المسلمين عندما تحدث إحدى هاتين الظاهرتين إلى الصلاة فى جماعة، فيصلى بهما ركعتين يساويان أربع ركعات.

أحمد:ما معنى أنهما يساويان أربع ركعات؟

الأب: لأن كل ركعة تشتمل على ركوعين، يقرأ قبل الركوع الأول الفاتحة وسورة، وعندما يرفع من الركوع لا يسجد بل يقرأ الفاتحة وسورة ثم يركع ركوعاً ثانياً ثم يسجد، ويفعل فى الركعة الثانية مثل ذلك.

صلاة الاستسقاء

عمر:ذكرت حضرتك صلاة تسمى صلاة الاستسقاء، فمتى تكون، وكيف تكون؟

الأب: الاستسقاء معناه طلب نزول المطر، وأنتم تعرفون أن فى المطر حياة

---

(١) متفق عليه (أى رواه البخارى ومسلم).

الإنسان والحيوان والزرع، وأن كل بلاد العالم فى حاجة إلى المطر حتى البلاد التى بها أنهار تحتاج أيضاً إلى المطر، لأن المطر هو الذى يملأ الأنهار، وإذا تأخر نزول المطر فترة طويلة حدث الجدب والقحط فأرشد الرسولﷺ المسلمين أن يلجؤوا إلى الله داعين أن ينزل عليهم المطر وبعد الصلاة يخطب الإمام خطبة يستغفر الله فيها ويدعوه أن ينزل المطر، وأكرر لكم يا أولادى كى لا تنسوا أن الله يريد منا أن نكون على صلة دائمة به، نذكره فى جميع الأوقات، وخصوصاً أوقات الشدة.

عمر: أظن أننا قد عرفنا الآن جميع أنواع الصلاة.

صلاة الجنازة

الأب: بقيت صلاة الجنازة التى يودع بها المسلمون موتاهم.

أحمد: صلاة الجنازة تختلف عن الصلاة العادية.

الأب: نعم، فليس فيها ركوع أو سجود، وإنما يقف المصلون خلف الإمام الذى يضع النعش أمامه ثم يكبر رافعاً يديه ناوياً فى قلبه الصلاة على الميت، ويكبر المصلمون خلفه رافعى أيديهم، ثم يقرءون جميعاً فى السر الفاتحة، ثم يكبر الإمام ويكبر خلفه المصلون سرّاً دون رفع أيديهم، ويصلون على النبىﷺ وصيغة الصلاة هى الصلاة التى تلى التشهد، ثم يكبرون الثالثة ويدعون للميت، ثم يكبرون الرابعة ويدعون لأنفسهم وللمسلمين، ثم يسلم الإمام وبعده المصلون وهكذا نكون أيها الأولاد الأعزة قد انتهينا من الركن الثانى من أركان الإسلام الخمسة، وفى الجلسة المقبلة إن شاء الله نتناول الركن الثالث.

***

الزكاة

وبدأ الأب الجلسة المعهودة فى أسرته، وبادلهم بعض الحديث الخفيف ثم قال:

الأب: لقد أتممنا الحديث عن الركن الثانى وهو الصلاة، وسنتحدث اليوم عن الركن الثالث.. ما هو يا زينب؟

زينب: إيتاء الزكاة.

الأب: ما معنى إيتاء الزكاة يا عمر؟

عمر: إعطاؤها لمستحقيها من الفقراء.

الأب: أحسنتما وأحب أن تعرفوا أن إعطاء الزكاة لمستحقيها ركن هام من أركان الإسلام لا يقل أهمية عن إقامة الصلاة، ولذلك قرنها الله فى آيات كثيرة جداً بالصلاة فيقول تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (من أمثلة ذلك سورة البقرة: ٤٣، ٨٣) عدة مرات، وكذلك يقول: ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (التوبة: ٥، ١٢) عدة مرات، وكذلك يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (المائدة: ٥٥ والنمل: ٣) إلى غير ذلك من التعبيرات القرآنية التى تقرن الصلاة بالزكاة.

الأم: ولا تنسوا الموقف التاريخى الذى وقفه سيدنا أبوبكر رضي الله عنه من مانعى الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ، فقد أصرَّ على قتالهم حتى يؤتوا الزكاة، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، لأن الذين امتنعوا عن الزكاة ظلوا على إسلامهم فكانوا يصلون ولكنهم رفضوا إخراج الزكاة، لأنهم اعتبروها - خطأ - جزية، وقد نجح

سيدنا أبوبكر فى ردهم إلى الصواب.

الأب: وأحب أن أنبهكم إلى أن معنى الزكاة فى اللغة هو التطهير والنماء وهذا يطمئن الغنى، لأنه يعرف أن ماله الذى دفعه زكاة سيطهر بقية المال ويزيد منه بما يجعله الله فيه من بركة نتيجة إخراج الزكاة، وقد صرح الله بهذين المعنيين فى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣).

أحمد: ما الفرق بين الزكاة والصدقة؟

الأب: هما بمعنى واحد فى الاستعمال القرآنى، ولكن فى اصطلاح الفقهاء الزكاة هى الفريضة والصدقة هى التطوع.

عمر: هل الزكاة فرض على كل مسلم كالصلاة؟

الأب: الإسلام دين عملى واقعى لا يمكن أن يفرض الزكاة على كل مسلم، بل على الغنى فقط، والحد الأدنى للغنى الذى يطالبه الإسلام بالزكاة هو أن يمتلك مبلغاً من المال يساوى خمسة وثمانية جراماً ذهباً، أى ما يساوى فى أيامنا هذه حوالى ألفين وخمسمائة جنيه - وهذا المبلغ يسمى نِصاباً - ويشترط أن يكون هذا المبلغ فائضاً عن حاجاته الأساسية، وأن يمر عليه حول أى سنة كاملة من يوم امتلاكه، فإذا امتلك هذا المبلغ فى شهر رجب مثلاً، وبقى عنده حتى حل شهر رجب التالى وجبت عليه زكاته، وخذوا بالكم الحول يحسب بالشهور الهجرية، وليس بالشهور الميلادية.

عمر: ما المقدار الذى يجب أن يدفعه من عنده هذا المبلغ أو أكثر منه؟

الأب: مبلغ بسيط جداً وهو $\frac{١}{٤٠}$ من ماله أو كما نقول الآن ٢,٥٪ فإذا كان عنده مبلغ ثلاثة آلاف جنيه فزكاته خمسة وسبعون جنيهاً، أى أن كل ألف يدفع عنها خمسة وعشرين جنيهاً.. كثير هذا؟

أحمد: لا، ولكنه قد يصل إلى ملايين عند كبار الأغنياء.

الأب: ولكنه يظل بسيطاً بالنسبة لمن يملكون مئات الملايين، فإذا قلت لك إن أحد الأغنياء دفع زكاة ماله خمسة وعشرين مليون جنيه، فكم تبلغ ثروته؟

أحمد: تبلغ ألف مليون جنيه أى ملياراً.

الأب: فهل الخمسة والعشرون مليون جنيه كثيرة لمن عنده ألف مليون، إنه لا يحس بخروجها، ولا تؤثر فى ماله، ولكنها ستنفع آلاف الأسر الفقيرة.

زينب: ماما عندها مصوغات ذهبية، هل تدفع عليها زكاة؟

الأم: نعم، أنا أدفع عنها زكاة لأنها أكثر من النصاب.

الأب: هناك خلاف بين علماء الفقه فى دفع زكاة حلي المرأة - أى مصاغها كما نقول - فبعضهم يرى أنه من لوازمها فلا زكاة عليه، وبعضهم يرى أن عليها أن تزكى عنه، وفى رأيى أنه لا زكاة فى حلى المرأة إلا إذا كثر كثرة غير عادية بالنسبة لزينتها، وكان الهدف منه الادخار.

الأم: ليس عندى ذهب يزيد على النصاب كثيراً ولكنى أزكى عنه احتياطاً.

الأب: وهذا أسلم.

أحمد: وهل على الفلاح زكاة عن محصول أرضه وهل على التاجر زكاة فى تجارته؟

الأب: نعم، وسنتكلم عن هذا فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

زكاة التجارة

وفى الجلسة التالية كرر أحمد سؤاله عن زكاة التجارة، فقال:

أحمد: هل يجب على التاجر زكاة على ماله كله الذى يتاجر فيه؟ أو يحسب الزكاة

على الربح فقط؟

الأب: تحسب زكاة التجارة على المال كله الذى يتاجر فيه، إذا كان مملوكاً له، فالتاجر عندما يبدأ تجارته يحسب رأس المال، فإذا كان يبلغ رأس ماله نصاباً أى مبلغاً من المال يساوى قيمة خمسة وثمانين جراماً من الذهب أو أكثر فإذا حال على تجارته حول هجرى يحصى رأسماله، فإذا ظل نصاباً أو أكثر زكى عنه كله.

مثلاً إذا بدأ تجارته بعشرين ألف جنيه فى شهر شوال، وفى شهر شوال من العام التالى وجد تجارته بلغت خمسة وعشرين ألفاً يزكى عن الخمسة والعشرين كلها، فيدفع عنها ستمائة وخمسة وعشرين جنيهاً.. وهكذا فى كل عام.

زكاة الزروع والثمار

أحمد: وهل على الفلاح زكاة فى محصول أرضه؟ وكيف يخرج الزكاة؟

الأب: زكاة الزروع والثمار تختلف عن زكاة النقود، وعن زكاة التجارة، وذلك أنها تجب على صاحب الأرض عند حصاد زرعه أو ثمره، ولا ينتظر حتى يحول الحول، فإذا بلغ محصوله نصاباً، والنصاب فى الزرع حوالى نصف طن أو أكثر قليلاً، وكانت الأرض تنبت الزرع أو الثمر دون أى جهد من الزارع فهى تسقى بماء المطر ولا يستخدم آلات لريها فعليه أن يخرج من محصوله عُشْرَ ما أخرجته الأرض من زرع أو ثمر، أما إذا كانت تروى بالآلات أو يستخدم فى زراعتها آلات، فزكاتها نصف العشر فقط أى خمسة فى المائة.

زكاة الحيوان

أحمد: نعرف أن معظم أموال المسلمين الأولين كانت الماشية من إبل وبقر وغنم، فكيف كانوا يدفعون زكاتها.

الأب: كانوا يخرجون زكاتها ماشية أيضاً، فإذا كان عند رجل أربعون رأساً من الغنم يدفع عنها خروفاً أو نعجة، كل سنة وأقل من ذلك لا يدفع عنها شيئاً ولكل نوع من الماشية نصاب معين، وزكاته محددة، وتفصيل هذا تجدونه فى كتب الفقه، ولا حاجة لنا بذكره، لأنه من النادر أن تجد غنيّاً الآن فى بلادنا ثروته من الماشية.

زينب: ما معنى الفقه يا أبي؟

الأب: المراد بالفقه هو العلم الذى يتناول أحكام الشريعة الإسلامية فى العبادات والمعاملات وغير ذلك، وهناك كتب كثيرة تتناول هذه التشريعات وتتنوع طبقاً للمذاهب الفقهية التى حدثتكم عنها فهناك كتب الفقه الحنفى وكتب الفقه المالكي، والفقه الشافعي، والفقه الحنبلي، والاختلافات بينها ليست كثيرة، وهى فى المسائل الفرعية وليست المسائل الأساسية، وبعض هذه الكتب ضخم يقع فى ألف صفحة أو أكثر.

زينب: ياه - ومن يقرأ كل هذا؟

الأب: يقرؤه المتخصصون، ويرجع إليه من يريد من علماء الدين فى الموضوع الذى يهمهم.

مصارف الزكاة

عمر: ومن الذى يستحق أن تُدفع إليه الزكاة؟

الأب: لقد حدد الله ثمانية أصناف تدفع إليهم الزكاة، وسأقرأ لكم الآية التى تحدد هذه الأصناف، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦٠).

أما الصنفان الأولان وهما الفقراء والمساكين فيجمعهما معنى واحد هو الاحتياج، وقد يكون بعضهما أحوج من بعض، وأما الصنف الثالث وهو العاملون عليها فالمقصود به العاملون الذين كانوا يقومون بجمع الزكاة، وذلك لأن معظم الأموال فى بلاد العرب كانت الإبل والبقر والغنم، فكان يعين عامل مهمته أن يحصى هذه الأموال، ويذهب لأخذها عندما يحول الحول، ولكن الآن لم يعد هناك عاملون لهذا الغرض لسببين: السبب الأول: أن الحكومات فى البلاد الإسلامية أصبحت لا تتدخل فى مسألة الزكاة، وتركتها لضمير المسلم، والسبب الآخر: أن الأموال لم تعد حيوانات ظاهرة للعيان، وإنما أصبحت نقوداً.

أحمد: إذن يلغى هذا البند من مصارف الزكاة.

الأب: يلغى مؤقتاً إلى أن توجد حكومات إسلامية تحرص على جمع الزكاة كما تحرص على جمع الضرائب، وأما المصرف الثالث فهو المؤلفة قلوبهم.

عمر: ما معنى المؤلفة قلوبهم؟

الأب: هم قوم من الشخصيات الهامة فى قبائلهم فى زمن الرسول ﷺ ولم يكن الإيمان دخل قلوبهم، فكان الرسول ﷺ يعطيهم نصيباً من الزكاة ليحبب إليهم الإيمان فينشروه فى قبائلهم، وقد ألغى سيدنا عمر هذا البند وقال لهؤلاء الأشخاص عندما جاءوا يطلبون الزكاة كما كانوا يفعلون فى عهد الرسول ﷺ وعهد سيدنا أبى بكر رضي الله عنه: لقد أغنى الله الإسلام عن أمثالكم، ولم يعد فى حاجة إليكم.

عمر: وهل هم كانوا فقراء؟

الأب: لا، ولو كانوا فقراء لأعطاهم سيدنا عمر رضي الله عنه من بند الفقراء، ولكنهم كانوا أغنياء ومن عهد سيدنا عمر توقف هذا المصرف.

الأم: لقد قرأت رأياً أعجبنى لبعض المعاصرين يرى أن يعود مصرف المؤلفة قلوبهم وينفق من حصيلته على نشر الدعوة الإسلامية وجذب أتباع للإسلام ولا سيما من ذوى الديانات غير السماوية كما يفعل المبشرون المسيحيون فهم ينفقون أموالاً طائلة لإدخال هؤلاء فى الديانة المسيحية.

الأب: هذا رأى وجيه ولا مانع من توجيه جزء من الزكاة فى هذا السبيل.

والمصرف الخامس وهو "فى الرقاب" فالمقصود به مساعدة الرقيق أى العبيد والجوارى الذين كانوا يريدون التحرر من الرق فى نظير دفع مال لأسيادهم الذين يملكونهم فجعل الله لهم نصيباً فى الزكاة، وقد ألغى هذا المصرف أيضاً لإلغاء الرق.

أحمد: ولماذا لم يلغِ الإسلام الرق كما حرم شرب الخمر؟

الأب: لم يكن ممكناً إلغاء الرق فى بداية الإسلام، لأن العبيد فى شتى أنحاء العالم كانوا عماد الاقتصاد، فقد كانوا يشتغلون فى المزارع، وكانوا اليد العاملة فى كل مجالات الحياة المعروفة فى العصور القديمة، وإلغاء الرق عند بدء الإسلام كان سيؤدى إلى ثورة عارمة، ويمنع معظم الناس من دخول الإسلام، فأبقاه الإسلام ولكنه حث المسلمين على تحرير العبيد، وجعل تحريرهم كفارة عن كثير من المعاصى.

وأما المصرف السادس وهو "الغارمون" فالمراد بهم الذين ركبتهم الديون، وأصبحوا عاجزين عن سدادها، وكانت هذه الديون نتيجة لأعمال مشروعة كأن يبدأ أحد الناس مشروعاً من المشروعات فلا يوفق فيه، ويقترض كثيراً من المال، ثم لا يقدر على سداده، فمثل هذا يُعطى جزءاً من مال الزكاة.

والمصرف السابع "فى سبيل الله" ويشمل هذا المصرف كل إنفاق يؤدى إلى إعلاء شأن الإسلام وعلى رأس هذا الإنفاق مساعدة المجاهدين ضد الاحتلال الأجنبى

مثل المجاهدين الفلسطينيين ضد الاحتلال الإسرائيلي والمجاهدين المسلمين فى كشمير والفلبين وغيرها من بقاع العالم التى يُضطهد فيها المسلمون، ومثل نشر التعليم بين أبناء المسلمين وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

والمصرف الأخير هو "ابن السبيل" وهو المسافر الذى انقطع عن أهله وليس معه نقود تكفى احتياجاته.

عمر: أنا أقابل بعض هؤلاء أحياناً، وأسمعهم يقولون: حضرت من الصعيد وضاعت محفظتى ولا أجد ثمن تذكرة القطار.

الأب: هذا يعتبر ابن سبيل إذا كان صادقاً، ولكن - للأسف - بعضهم يدعى ذلك للاستيلاء على المال، ويتخذ ذلك حرفة، ولذلك ينبغى أن تقوم جمعيات خيرية لجمع الزكاة، وصرفها فى مصارفها الصحيحة بعد التأكد من حقيقة المحتاجين.

الأم: يا سلام، لو أدى الأغنياء الزكاة كما أمرهم الله، ولم يبخل أحد بما أعطاه الله ما كان بين المسلمين الآن فقير.

الأب: لقد حدث فى عهد عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموى أن بعض الولايات الإسلامية كان الحاكم لا يجد بها مصارف للزكاة، لأن الناس لم يعودوا محتاجين، فكان يردها إلى بيت المال لتنفق عند الحاجة، وذلك بسبب عدل الحاكم وزهده وحزمه فى تطبيق القوانين الإسلامية.

أحمد: لقد قرأت أن الدول النفطية عليها أن تخرج من عائدات النفط عشرين فى المائة، لأن النفط ركاز، فما معنى ركاز.

الأب: الركاز هو المال أو المعادن التى يُعْثَر عليها مدفونة فى باطن الأرض ويدخل فيها النفط والمعادن المختلفة من ذهب أو فضة أو حديد ولذلك تفصيلات لا محل لها

هنا.. المهم أن الإسلام يعتبر أن للفقراء حقاً فى أموال المسلمين لابد أن يُدفع إليهم، يقول تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩) فالله قد اعتبر ما يعطيه الغنى للفقير حقّاً له واجباً، وليس منة من أحد، وذلك لصون كرامة الفقير من ناحية، ولحث الغنى على المبادرة إلى إخراج زكاته من ناحية أخرى.

عمر: هل هناك صدقة أخرى واجبة غير الزكاة؟

الأب: نعم، زكاة الفطر أو صدقة الفطر.

عمر: متى تخرج هذه الزكاة؟ وما مقدارها؟

الأب: يجب إخراجها قبل صلاة عيد الفطر بيوم أو أكثر، لأنها صدقة متصلة بصوم رمضان، ولا يُثاب الصائم على صيامه ثواباً كاملاً إلا إذا أخرج هذه الصدقة، ويخرجها رب الأسرة عن جميع أفراد الأسرة الذين يعولهم صغاراً أو كباراً.

عمر: وما مقدار هذه الصدقة؟

الأب: كان المجتمع فى الماضى بسيطاً، وكان الفقير يحتاج إلى طعام يأكله، فكان الإسلام ييسر له هذا الأمر، فيأمر المزكين أن يعطوا المحتاجين من الطعام الشائع في البلد قمحاً أو ذرة أو أرزاً أو تمراً أو زبيباً أو غير ذلك، وكانت هذه الحبوب كلها تكال بمكيال عندهم يسمى صاعاً، فكان الواجب إخراجه صاعاً أو نصف صاع على حسب نوع الطعام، ولكن الآن ألغيت هذه المكاييل فيمكن تقدير هذه الأنواع بالوزن، ولكن الشائع الآن إخراج القيمة نقداً، فهو أنفع للفقير وهذه القمية تختلف من وقت إلى آخر بحسب الغلاء أو الرخص وتقدر فى وقتنا بحوالى خمسة جنيهات.

أحمد: سمعت خطيب المسجد فى رمضان الماضي يقول: إن هذه الزكاة واجبة على كل الناس حتى الفقراء منهم إذا كان لديهم ما يفيض عن قوت يومهم.

الأب: هذا رأى بعض الفقهاء، ويرى آخرون أنها تجب على من تجب عليه زكاة المال: أى أن يكون مالكاً للنصاب، والرأى المعقول أنها تجب على كل من لديه مال زاد عن حاجته الأساسية حتى لو حصل عليها عن طريق ما أخذه من الزكاة فهناك فقراء تتاح لهم فرص أكثر فى الحصول على الصدقة، وهناك من لم يتيسر له ذلك.

عمر: هل هناك صدقات أخرى غير زكاة المال وزكاة الفطر؟

الأب: نعم.. فالإسلام يحرص على توفير احتياجات الفقير فجعل التكفير عن بعض المعاصى فى صورة مال يُعطى للفقراء مثل كفارة اليمين، فالذى يقسم على أن يفعل شيئاً ثم لا يفعله فقد عصى الله، وكفارة ذلك أن يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم، وهناك كفارات أخرى فيها إطعام للفقراء ليس مجال ذكرها الآن ثم هناك صدقة التطوع.

زينب: ما هى صدقة التطوع؟

الأب: هى كل صدقة يتصدق بها الإنسان غير الزكاة أو صدقة الفطر أو الكفارات، وقد حث القرآن المسلمين كثيراً على التصدق، ووعدهم بأنه سيضاعف لهم ثواب هذه الصدقة أضعافاً كثيرة، وتأملوا معى هذا المثل القرآن الرائع.. يقول تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١) فانظروا إلى مدى الثواب الذى يحصل عليه المتصدق.. إنه يصل إلى سبعمائة ضعف وربما أكثر، وقد سمى الله الصدقة فى آيات كثيرة قرضاً حسناً، وأن الذى يقترضه هو الله.. وأنتم تعرفون أن القرض واجب السداد فما بالكم والمقترض هو الله.. يقول الله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (البقرة: ٢٤٥)

والرسول ﷺ يدعو بإلحاح إلى التصدق مهما كانت الصدقة قليلة، إنها تنجيه من النار، فيقول: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"، تصوروا نصف تمرة تنجى صاحبها من النار، ولكن ينبغى أن تفهموا أن المراد بهذا المثل هو الحث على الصدقة مهما كانت قليلة، فالغنى إذا تصدق بنصف تمرة لن ينفعه ذلك، ولكن الذى لا يجد إلا تمرة لو تصدق بنصفها فأجره كبير، وهناك أحاديث كثيرة تحث على الصدقة.

وهكذا نكون قد أتممنا الكلام عن الركن الثالث، وإلى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

❊ ❊ ❊

صوم رمضان

وبدأت الجلسة الدينية الأسرية المحببة إلى قلوب هذه الأسرة الفاضلة، قال الأب بعد أن حيا أسرته:

الأب: سنتحدث اليوم عن الركن الرابع من أركان الإسلام.. ترى ما هو يا عمر؟

عمر: صوم رمضان.

الأب: أحسنت يا عمر، وما هى الأركان الثلاثة السابقة يا زينب؟

زينب: شهادتا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

الأب: أحسنتِ يا زينب.. فصوم رمضان إذن ركن أساسى من أركان الإسلام لا يتم إسلام المسلم إلا بأدائه.

عمر: ولماذا اختار الله شهر رمضان ليصوم المسلمون فيه؟

الأب: لقد حدثنا الله فى قرآنه الكريم عن سر اختيار شهر رمضان للصوم فى قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥) فقد اختاره الله تكريماً له، لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن الذى جعله الله هداية للناس، ومبيناً لتعاليم دينهم، من أجل ذلك فضله الله على سائر الشهور، واختصه بأشياء لا توجد فى غيره، فقد قال رسول الله ﷺ - عندما دخل شهر رمضان: **"قد حضركم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه، فيه تُفتح أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين فيه ليلة خير من**

ألف شهر"[١].

عمر: ولماذا تفتح أبواب الجنة؟ هل سيدخلها الناس فى رمضان؟

الأب: ليس الأمر كذلك، وإنما هو تكريم لهذا الشهر، وحث للناس على الصيام وعمل الخير، فالجنة قد استعدت وفتحت أبوابها إعلاماً للناس بأن الطريق إليها هو صوم هذا الشهر المبارك، وأما الجحيم فقد أغلقت أبوابها، لأنها مصدر العذاب، وشهر رمضان هو مصدر الرحمة.

أحمد: وما معنى تغل الشياطين؟

الأب: تقيد بالأغلال، والأغلال جمع غُلٍّ وهو السلسلة التى تُربط فى العنق.

أحمد: معنى ذلك أن الشياطين تحجب عن الناس وبالتالى يتوقف الشر فى رمضان مع أن الواقع غير ذلك.

الأب: هو معنى رمزى أيضاً يبين أن الشياطين فى رمضان لن يكون الأمر سهلاً بالنسبة إليهم فى إغواء المسلمين، لأنهم سيقاومون إغواءهم بشدة بسبب صيامهم، فكأن الشياطين فى هذا الشهر تصبح عاجزة كأنها مقيدة بالأغلال، وأظنكم تلاحظون أن بعض المسلمين الذين يكثر شرهم فى سائر شهور السنة يبتعدون بعض الشىء عن ممارسة شرهم احتراماً لشهر الصوم.

أحمد: وليلة القدر هل هى خاصة بشهر رمضان ولا تكون فى غيره؟

الأب: نعم.. وهذا واضح من الحديث الشريف السابق، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقد قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ (البقرة: ١٨٥) ثم

---

(١) رواه أحمد عن أبى هريرة.

قال فى سورة أخرى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ (القدر: ١).

عمر: فى أى ليلة من رمضان تكون ليلة القدر؟

الأب: يقول رسولنا الكريم: **"التمسوها فى وتر العشر الأواخر من رمضان"**[(١)]، والوتر هو العدد الفردى وهذا ينطبق على ليالى ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩ من رمضان.

أحمد: ولكن الدولة تحتفل كل عام ليلة السابع والعشرين.

الأب: لأن هذا رأى معظم العلماء والمفسرين لأدلة ذكروها.

عمر: ولماذا لم يحددها رسول الله ﷺ؟

الأب: ربما ليجتهد المسلمون فى العبادة فى أكثر من ليلة، وقد كان الرسول ﷺ يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان فيعتكف فى المسجد ليلاً ونهاراً لا يخرج منه إلا لضرورة.

أحمد: هناك بعض المسلمين يعتكفون الآن فى المساجد.

الأب: نعم.. وهذا شيء طيب بشرط ألا يعطل المعتكف عمله الذى يرتزق منه أو يضر بمصالح الناس. نعود إلى صوم رمضان تلك الفريضة العظيمة التى وعد الله تعالى بأن يتولى هو بنفسه تقديم الجزاء عليها للصائم، فقد قال تعالى فى حديثه القدسى: **"كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به"**[(٢)].

أحمد: أستأذنك يا أبى فى أن نخرج عن الموضوع قليلاً قبل شرح هذا الحديث، فأسأل عن معنى الحديث القدسى، وما الفرق بينه وبين الحديث النبوي؟

الأب: هناك أحاديث يرويها الرسول ﷺ وينسبها إلى الله تعالى فيحدث أصحابه

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري.

قائلاً: يقول الله تعالى أو قال الله تعالى أو إن الله يقول.. وما أشبه ذلك من العبارات التى يفهم منها السامع أن هذه الأقوال من الله وأن الله أوحى معناها إلى رسوله الكريم، فعبر عنها الرسول بألفاظه، وأما الحديث النبوى فمعناه ولفظه من الرسول ﷺ.

أحمد: وما الفرق بينه وبين القرآن الكريم؟

الأب: الفرق أن ألفاظ القرآن الكريم من الله تعالى نزل بها الوحى، وأما الحديث القدسى فيلهم الله نبيه المعنى ويصوغه الرسول ﷺ بلفظه هو، ولذلك لا تصح الصلاة به كما تصح بالقرآن.

أحمد: شكراً يا أبى، تفضل بشرح الحديث لنا.

الأب: نفهم من الحديث أن كل العبادات التى يعملها ابن آدم فيها جانب مظهرى يطلع عليه الناس، فالمصلى يذهب إلى المسجد فيصلى ويعرف الناس عنه ذلك، ولكن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه أحد من الخلق، فالإنسان قد يتظاهر أمام الناس بالصيام، ويأكل وحده ما شاء دون أن يراه أحد، ولذلك كان الصيام بعيداً عن الرياء، وكان لله وحده، فكان الجزاء عليه عظيماً عند الله.

عمر: لكن يا أبى هناك مشكلة بالنسبة لشهر رمضان فهو شهر قمرى يبدأ بظهور الهلال، وهذا يجعل المسلمين غير واثقين من بداية الشهر، ويظلون فى حيرة حتى تعلن الحكومة ثبوت رؤية الهلال، وربما كان ذلك فى أول النهار، فلماذا لم يجعله الله فى شهر من شهور السنة الشمسية؟

الأب: ضاحكاً: إن سر اختيار الشهر القمرى أنه الشهر الذى كان يعرفه العرب وكثير من الشعوب حولهم فى هذا الوقت، وأما رؤية الهلال فلم تكن مشكلة بالنسبة للمسلمين الأولين، لأن الله يسرها لهم، فإذا كان الجو صافياً خرج بعض المسلمين

ليلة الثلاثين من شعبان أى بعد مغرب اليوم التاسع والعشرين لرؤية الهلال يتقدمهم الحاكم أو القاضى فينظرون فى السماء، فإذا رأوا الهلال وجب الصوم، وإذا لم يروه أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً، ولكن إذا كان الجو غيماً يكملون عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكانت كل منطقة تصوم على حسب رؤيتها للهلال، وأما فى عصرنا - عصر التقدم العلمى فالحساب الفلكى تكفل بتحديد أول الشهر تحديداً دقيقاً. ومع ذلك لابد من محاولة الرؤية بالعين - وإن كانت تساعدها وتقويها المناظير المكبرة والمقربة - وهى لا تختلف مع الحساب الفلكى إلا نادراً ويكون ذلك بسبب خطأ بشرى فى الحساب الفلكى أو فى رؤية العين - كما أن سرعة الاتصال تكفلت بإعلام جميع المسلمين بثبوت الرؤية بعد تحققها بدقائق.

أحمد: إذن لابد من ثبوت رؤية الهلال لبدء الصوم.

الأب: رؤية الهلال شرط لوجوب الصوم، وقد أكد رسولنا الكريم صلوات الله عليه ذلك فى قوله: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً"[١] ومعنى الحديث أن يوم الصيام يتحدد برؤية هلال رمضان، وكذلك نهايته تتحدد برؤية هلال شوال.

الأم: إن فى اختيار شهر قمرى للصيام حكمة عظيمة، فنصوم فى كل عدة أعوام فى جو مختلف وزمن مختلف: نصوم مرات فى الصيف حيث اليوم الطويل، والجو الحار، ومرات فى الشتاء حيث اليوم القصير والجو البارد، وأحياناً فى الربيع أو الخريف حيث اليوم المعتدل الطول والجو المعتدل، وتصوروا لو أن الله فرض الصيام فى شهر أغسطس لظل الزمن ثابتاً، ولما تحمل الصيام كثير من الناس، وكذلك لو

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة.

فرضه فى يناير حيث الجو البارد، والاستيقاظ للسحور شديد الصعوبة فى برد يناير.

أحمد: هل لصوم رمضان أركان كأركان الصلاة؟

الأب: نعم.. له ركنان: الركن الأول: الإمساك عن كل شىء مفطر من طعام وشراب وغيره من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، والركن الثانى النية: أى ينوى المسلم أن يصوم اليوم التالى وتكون النية قبل الفجر، لأن الله لا يقبل عبادة من العبادات إلا بالنية، فلو فرضنا أن أحداً قرر أن يفطر يوماً من رمضان لعذر من الأعذار، ونام على هذه النية، وأصبح فلم يتمكن من تناول الطعام والشراب حتى غربت الشمس لا يعتبر صائماً مع أنه فعل فعل الصائمين تماماً، فالمعتبر النية، والنية محلها القلب، فلا حاجة للصائم التلفظ بها بل يكفى أن ينوى فى نفسه أنه سيصوم غداً، وقيامه للسحور يكفيه، لأنه استعداد للصوم.

عمر: بعض الناس يقولون: إن وضع الروائح والعطور تفطر، فهل هذا صحيح؟

الأب: ليس هذا صحيحاً، فهذه أشياء لا علاقة لها بالطعام والشراب، وما يمتنع بالصيام.

أحمد: والحقن والقطرة هل تفطر؟

الأب: الحقن بجميع أنواعها والقطرة لا تفطر.

عمر: أنا أكلت مرة فى رمضان وأنا ناسٍ فماما قالت لى: لم تفطر.

الأب: نعم، فرسولنا ﷺ قال: إن هذا رزق ساقه الله للصائم.

الأم: لكن تأكدوا أن الصيام لا يجوز إلا إذا كان الإنسان ناسياً حقّاً أى لا يدعى ذلك.

أحمد: فإذا أكل مخطئاً بمعنى أنه وضع طعاماً على طرف لسانه فأخطأ وابتلعه فهل يفطر؟

الأب: نعم يفطر، وعليه قضاء هذا اليوم، ولكن أحب أن أنبهكم أنه إذا أخطأ الصائم وأكل يظل ممتنعاً عن الأكل بعد ذلك مع أن صومه بطل احتراماً للشهر.

أحمد: وإذا أكل متعمداً، ما حكمه؟

الأب: عليه قضاء يوم بدله سوى الكفارة ويعاقبه الله عقاباً شديداً بسبب إفطاره إلا إذا تاب وندم على ما فعله، ولم يكرره بعد ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ: **"من أفطر من غير عذر ولا مرض لم يكفه صوم الدهر وإن صامه"**[1] يعنى لو صام طوال عمره بعد ذلك لا يكفيه عن فطر هذا اليوم، ولكن الله وعد التائبين بالمغفرة.

أحمد: أظن أن المسافر والمريض لهما حق الفطر فى رمضان.

الأب: طبعاً، فقد ذكر الله تعالى ذلك فقال: ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥) أى أن الذى يُضطر إلى السفر فى رمضان مسافة قصر الصلاة التى ذكرناها وهى حوالى خمسة وثمانين كيلو متراً له أن يفطر ويقضى ما أفطره بعد رمضان، وكذلك المريض له أن يفطر ويقضى، وكذلك المرأة الحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو على الجنين.. وهؤلاء جميعاً يقضون الأيام التى أفطروا فيها بعذر أو سبب، كما خفف الله عن الذين لا يتحملون الصيام إلا بمشقة شديدة مثل كبار السن الضعفاء، والذين يعملون أعمالاً شاقة لا يستطيعون أداءها مع صيامهم: رخص الله لهؤلاء وأمثالهم الفطر فى رمضان مع أداء فدية عن كل يوم من رمضان وهى إطعام مسكين، ويسقط عنهم الصوم.

وقبل أن أختم حديثى عن صوم رمضان أحب أن أنبه إلى شىء هام، هو أن الله

---

(١) رواه أبوداود وابن ماجه والترمذى بأسانيدهم عن أبى هريرة رضي الله عنه.

عندما فرض علينا العبادات من صلاة وصوم وغيرهما لم يكن الهدف منها مجرد العبادة فقط، بل لتصلح من سلوك الإنسان فى تعامله مع الآخرين، يبين ذلك قول الله تعالى عن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) وكذلك الصيام فقد بيَّن الله الهدف منه فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)، فالهدف من الصيام هو التقوى، والتقوى تعنى طاعة الله فى كل ما يأمر به، واجتناب كل ما ينهى عنه، فلكى يتقبل الله صوم الصائمين لابد أن يلتزموا إلى جانب الصوم السلوكَ الحسن والخلق الحميد، وقد بيَّن الرسول ﷺ أن الصائم إذا لم يجتنب المنكرات، فلا قيمة لصيامه فقال: **"من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه"**[١] وقول الزور هو الكذب، فالكذاب لا صوم له، وكذلك السارق وكل من يعصى الله بقول أو عمل. ولذلك اعتبر الرسول ﷺ أن "الصوم جُنَّة" أى وقاية تقى الصائم من فعل السوء كى لا يفسد صومه فعلى الصائم أن يحتمى بصيامه من كل شر كما أرشدنا الرسول ﷺ **"الصيام جُنَّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفُثْ ولا يَصْخَبْ ولا يَجْهَلْ وإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إنى صائم، إنى صائم"**[٢].

عمر: نريد شرح الحديث من فضلك.

الأب: الرسول ﷺ يرشدنا فى هذا الحديث إلى السلوك الطيب الذى يليق بالصائم فنهاه عن ثلاثة أمور تسىء إلى الآخرين، أولها: الرَّفَث وهو التلفظ بالألفاظ

---

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه.

الفاحشة المنافية للآداب، وثانيها: الصخب أى العراك ورفع الصوت بطريقة تؤذى السامعين وتستفزهم، وثالثها: الجهل أى السفاهة والطيش مثل المسارعة إلى الشتم أو الضرب لمن نتعامل معهم، ثم ذكر الأسلوب اللائق بالصائم حينما يتعرض لسب أحد من السفهاء أو محاولة الاعتداء عليه، وذلك أن يذكِّر نفسه ويذكر الذى يسيء إليه بأنه صائم، فلن يرد إساءته، وبذلك يسيطر على غضبه، وينبه خصمه إلى السيطرة على غضبه أيضاً.

صوم التطوع

عمر: هناك ناس يصومون فى غير أيام شهر رمضان.. ما هذه الأيام؟

الأب: الله يحب من عباده المؤمنين أن يتقربوا له بعبادة مشابهة لما فرضه عليهم من عبادات ويحثهم على ذلك، فنرى من يصلى أكثر من الصلوات الخمس المفروضة ومن يصوم فى غير رمضان، ومن يتصدق بأموال أكثر من الزكاة، يفعل كل ذلك تقرباً إلى الله، وهذه العبادات الزائدة تسمى "نفلاً" أى زائدة، أو "تطوعاً" أى يفعلها العابد دون أن تكون فرضاً عليه، وقد حدثتكم عن النوافل فى الصلاة والزكاة وأحدثكم الآن عن صوم النفل أو التطوع، فقد رغب الرسول ﷺ فى الأيام التالية:

١-ستة أيام من شوال يصومها من يريد متتابعة أو متفرقة وله ثواب عظيم فى صيامها وهى إذا ضمت إلى صوم رمضان يساوى ثوابها ثواب صيام سنة كاملة لأن الحسنة بعشرة أمثالها.

٢-صوم يوم عرفة: وهو اليوم التاسع من ذى الحجة.

٣-صوم يوم عاشوراء: وهو اليوم العاشر من المحرم ويستحب صيام يوم قبله ويوم بعده.

٤ -صيام يومى الاثنين والخميس.

٥ -صوم ثلاثة أيام من كل شهر هجرى هى أيام الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، وتسمى الأيام البيض لازدهار القمر فيها.

وباختصار يستطيع المسلم أن يصوم تقرباً إلى الله ما استطاع، وله ثوابه على ذلك، وإن لم يصم فلا حرج عليه، ويكفيه صوم رمضان، على أن هناك أياماً نهى الرسول ﷺ عن الصوم فيها فينبغى للمسلم أن يتجنبها وهى:

١ -يوما عيد الفطر وعيد الأضحى، لأنهما يوما احتفال للمسلمين.

٢ -أيام التشريق الثلاثة الواقعة عقب يوم عيد الأضحى.

٣ -صوم يوم الجمعة منفرداً، وكذلك صوم يوم السبت منفرداً.

٤ -صوم يوم الشك وهو يوم الثلاثين من شعبان.

عمر: ولم سُمى بيوم الشك؟ وما سبب النهى عنه.

الأب: سُمِّى بيوم الشك، لأن الناس يشكون هل هو المتمم لشعبان أو بداية رمضان، ونهى عن صومه حتى لا يعتاد الناس صومه، ثم يأتى زمان يظنون أنه فرض مثل رمضان.

ولعلكم تذكرون صدقة الفطر التى لا يتم الصيام إلا بأدائها وقد حدثتكم عنها عند كلامنا عن الزكاة، وبهذا نكون أتممنا الحديث عن الركن الرابع من أركان الإسلام.

الأولاد: شكراً لك يا أبى، شكراً لك يا أمى.. وجزاكما الله عنا خيراً.

❊ ❊ ❊

الحج

وبدأت جلسة جديدة وأخذت الأسرة أماكنها، وبدأ الأب حديثه عن ركن الإسلام الخامس.

الأب: الحج يا أولادى يختلف عن الأركان الأخرى فى أنه لا يتكرر، بل هو مرة واحدة فى العمر، وأن وقته ممتد يستطيع المسلم أن يحج فى أى عام يشاء وإن كان الأفضل المبادرة متى كان المسلم مستطيعاً الحج.

أحمد: ومتى يكون المسلم مستطيعاً الحج.

الأب: يكون المسلم مستطيعاً إذا توافر لديه من المال ما يمكنه من الإنفاق على تكاليف السفر والإقامة فى أماكن الحج، وأن يترك لأسرته ما يكفيهم من النفقة فى أثناء غيابه عنهم، وأن يكون فى صحة تمكنه من أداء الحج، وأن يكون الطريق آمناً.. إذا تحققت هذه الشروط كان المسلم مستطيعاً.

أحمد: فإذا لم يتحقق شرط من هذه الشروط، فهل يكون المسلم مقصِّراً؟

الأب: لا، لأن الله جعل الاستطاعة شرطاً لأداء الحج، فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (آل عمران: ٩٧) لأن الإسلام يراعى دائماً قدرات المسلم كما رأينا فى الصلاة والصوم ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

أحمد: ولكنا نرى بعض المسلمين يستدين لأداء الحج، أو يحرم بعض أفراد أسرته من بعض ضروريات الحياة ليوفر نفقة الحج، فهل يجوز حجه؟

الأب: نعم يجوز حجه ولكنه مخطئ، لأنه فعل أمراً لم يطلب منه وكان فيه ضرر بالآخرين.

عمر: هناك من يذهب إلى الحج وليس معه نقود ينفق منها ويتسول.

الأب: وهذا أيضاً مخطئ، لأن الله لم يطلب منه هذا بل بالعكس طلب من الحجاج أن يتزودوا فى سفرهم، أى يأخذوا معهم طعامهم، ولا يعيشوا على التسول والصدقة فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: ١٩٧).

زينب: حضرتك قلت: إن الحج مرة واحدة فى العمر لكن جدى حج ثلاث مرات.

عمر: وأنا أعرف آباء بعض زملائى حجوا مرات كثيرة.

الأب: الحجة الأولى هى الفرض، والحجات الأخرى تطوع.

زينب: ما معنى تطوع؟

الأب: التطوع هو أن يتقرب الإنسان إلى الله ببعض العبادات غير المفروضة عليه كمن يصلى الظهر وهو فرض، ثم يصلى بعده ركعتين أو أكثر فهذا تطوع، وكمن يصوم أياماً فى غير رمضان، فصومه هذا تطوع، وكذلك من يحج أكثر من مرة.

الأم: لو تأملتم يا أولادى فى العبادات التى فرضها الله علينا تجدون أن أسهلها كرر الله فرضه فى اليوم خمس مرات وهى الصلاة، فأداؤها سهل ميسور لا يكلف شيئاً، وما فيه مشقة زائدة فرضه مرة فى السنة وهو الصوم، وأما الذى مشقته أعظم وتكاليفه أكثر ففرضه مرة فى العمر، وهو الحج.

الأب: وهناك ملاحظة أخرى وهى أن بعض هذه العبادات تكلف الإنسان مشقة بدنية، ونفعها يعود عليه وحده، وهى الصلاة والصيام، فهما لا تكلفان الإنسان مالاً، ولكنْ فيهما جهد بدنى، وأداؤها يعود عليه وحده بالثواب وهناك عبادة ليس

فيها مشقة بدنية، ولكن تكلف الإنسان مالاً، ونفعها عائد على مجموعة كبيرة من الناس إلى جانب الثواب الذى يعود على فاعلها وهى الزكاة، وأما الحج فيشتمل على الأمرين ففيه مشقة السفر والمناسك وهى مشقة بدنية، وفيه إنفاق مالى من تكاليف السفر وتكاليف الإقامة وفيه نفع للمقيمين فى أماكن الحج حيث تروج تجارتهم إلى جانب ما ينال الحاج من ثواب.

أحمد: يذهب بعض الناس إلى أداء العمرة، فهل العمرة تكون بدلاً من الحج؟

الأب: لا، فالحج فرض لا يمكن أن يسد مسده شيء، وأما العمرة فهى سُنة فى رأى كثيرة من الفهقاء وبعضهم قال إنها فرض ولكن لا تغنى عن الحج.

عمر: ما الفرق بين الحج والعمرة؟

الأب: العمرة يجوز أداؤها فى كل وقت من السنة، ولكن الحج له وقت محدد كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾ (البقرة: ١٩٧) وهذه الأشهر المعلومات هى: شوال وذو القعدة وثلاثة عشر يوماً من ذى الحجة[١].

زينب: ياه.. أكثر من سبعين يوماً، ولكن أى حاج يذهب ويعود فى عشرين يوماً أو أقل.

الأب: هذا صحيح.. وذلك لأننا فى عصر السرعة عصر الباخرة والطيارة والقطار والسيارة، أما قبل ذلك من حوالى مائة وخمسين سنة لم يكن إلا المراكب الشراعية والجمال، فتصورى حاجّاً من المغرب أو الهند أو حتى من مصر، كم يحتاج من الوقت للوصول إلى مكة؟! ومع ذلك فليس المقصود أن يبدأ الحاج أعمال الحج

---

(١) يتم ركنا الحج وهما الوقوف بعرفة وطواف الإفاضة يوم التاسع والعاشر واليومان التاليان أو الثلاثة لرمى الجمار.

من أول شوال، ولكن المقصود أن الحج لا يبدأ قبل هذا الوقت، ويجوز أداء أعماله فى أي وقت بعد ذلك، والمهم أن يصل الحاج إلى مكة قبل يوم الثامن من ذى الحجة حيث تبدأ الأعمال الأساسية للحج كما سنرى.. الفرق الثانى بين العمرة والحج أن العمرة أعمالها قليلة مقارنة بالحج فهى تتلخص فى الطواف سبع مرات بالكعبة والسعى سبع مرات بين الصفا والمروة ثم الحلق أو التقصير كما سأحدثكم عن ذلك بالتفصيل.

أعمال الحج

أحمد: ليتك يا أبى تحدثنا عن أعمال الحج خطوة خطوة.

الأب: أفعل إن شاء الله.

الإحرام: أول أعمال الحج الإحرام.

زينب: وما معنى الإحرام؟

الأب: صبراً يا زينب ولا تتعجلى، إذا نوى المسلم الحج فإنه يَحْرُم عليه لبس ملابسه العادية المخيطة.

زينب: عفواً يا أبى.. ما معنى المخيطة؟

الأب: المخيطة هى التى تخاط بالإبرة كالقميص والجلباب وغيرهما من سائر الملابس التى نلبسها، يتجرد الحاج من ملابسه هذه ويلبس بدلاً منها (بشكيرين) أو ما يشبههما أحدهما يضعه على كتفيه ويسمى رداء، والآخر يلفه حول وسطه ويسمى إزاراً، ويشترط ألا يكون فيهما أى خيط، وأظنكم تشاهدون فى التليفزيون ما يرتديه الحجاج.

زينب: وهل تلبس النساء الإزار والرداء؟

الأب: لا، المرأة تظل بثيابها العادية ويستحب أن تكون بيضاء ولكن لا يجوز لها

أن تغطى وجهها.

أحمد: وهل يجوز للرجل أن يضع على رأسه شيئاً أو يلبس حذاء فى رجله؟

الأب: لا، على الحاج أن يترك رأسه عارياً طوال فترة الإحرام، ولا يلبس حذاء بل نعلاً لا خيوط فيه أى (شبشب) مثل شباشب الحمام التى نعرفها، وينبغى للحاج قبل أن يحرم أن يغتسل ويقص شعره وأظافره ويتطيب، لأن هذه الأشياء ستصبح محرمة عليه بعد نية الإحرام، فلا يصح له أن يفعلها حتى يتم حجه، ومن أجل ذلك سُمى "الإحرام" لأنه يحرم على صاحبه أشياء كثيرة كانت مباحة له من قبل.

أحمد: هل للإحرام زمان معين أو مكان معين؟

الأب: نعم.. فزمانه من أول شوال كما قلت لكم، وأما مكانه فيختلف باختلاف البلد الذى يأتى منه الحجاج، وهذه الأماكن تسمى مواقيت الحج لا يجوز لأى مسلم يريد أن يحج أن يتجاوزها ألا وهو محرم، وميقات المصريين مكان يسمى "رابغ" قبل جدة بقليل.

أحمد: كيف نعرف هذا المكان ونحن مسافرون بالطائرة أو الباخرة؟

الأب: إن المسؤولين فيهما يعلنون للركاب قبل الاقتراب منهما للاستعداد للإحرام، فإذا أعلنوا ذلك أخذ كل حاج بخلع ثيابه، ويرتدى الإزار والرداء بعد أن يكون قد اغتسل وفعل ما قلته لكم من حلق للشعر أو تقصير وقص للأظافر.. إلخ، وينوى فى نفسه ما يريد عمله من حج فقط أو عمرة فقط أو حج وعمرة معاً، ثم يأخذ فى التلبية قائلاً: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك" ويظل يردد هذه التلبية فى كل مناسبة: عندما ينتقل من مكان إلى مكان، عندما يقابل رفقاء أو أصدقاء، حتى ينتهى من أعمال الحج.

أحمد: بعض الحجاج يذهبون إلى المدينة أولاً، هل يحرمون أيضاً من "رابغ"؟

الأب: لا، يذهبون إلى المدينة بثيابهم العادية ويزورون قبر الرسول ﷺ وعند توجههم إلى مكة يحرمون من ميقات أهل المدينة وهو مكان يعرف بأبيار على.

عمر: لكن بعض الحجاج يذهبون إلى المطار وهم فى ملابس الإحرام.

الأب: يجوز الإحرام قبل الميقات، لكن عند الميقات أفضل.

أحمد: نريد توضيحاً لأنواع النية التى ذكرتها حضرتك.

الأب: الحاج له اختيارات: إما أن يكون قاصداً للحج فقط فينويه فقط ويسمى "مُفرِداً" لأنه أفرد الحج وحده، وإما أن يكون قاصداً الحج والعمرة معاً فينويهما وهذا يسمى "قارناً" لأنه قرن الحج بالعمرة ولم يتحلل بينهما، وإما أن يكون قاصداً الحج والعمرة ولكنه يريد أن يؤدى العمرة أولاً، ثم يتحلل منها، فيلبس ثيابه العادية ويفعل ما يفعله غير الحاج دون التقيد بشىء، ثم عندما يحين موعد الحج ينوى الحج ويحرم له، وهذا يسمى متمتعاً لأنه تمتع بالحياة العادية فى الفترة بين أداء العمرة وأداء الحج.

وأحب أن أنبهكم إلى أن بعد نية الحج والإحرام لا يجوز للحاج أن يرفث فى قوله - أى يتكلم كلاماً بذيئاً منافياً للأدب - وألا يرتكب أية معصية، وألا يخاصم الآخرين، ويكثر من جدالهم بغير فائدة فقد قال تعالى: ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧).

والآن تعالوا نتابع الحاج منذ دخوله مكة إلى نهاية الحج.

طواف القدوم: عندما يدخل الحاج المسجد الحرام أول ما يفعل الطواف حول الكعبة سبع مرات. يبدأ من الحجر الأسود وينتهى إليه، وفى كل مرة يقبِّل الحجر

الأسود إن أمكنه ذلك دون مزاحمة أحد وإيذائه، فإذا لم يمكنه ذلك يشير إليه، وتشترط الطهارة فى الطواف فيكون الطائف متوضئاً، فالطواف مثل الصلاة يشترط له الوضوء، وبعد انتهاء الطواف يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم عليه السلام، وهو مكان قريب من الكعبة، ويسمى هذا الطواف طواف القدوم.

السعى بين الصفا والمروة: بعد الانتهاء من الصلاة يتوجه الحاج إلى الصفا والمروة - وهما جبلان صغيران متقابلان قريبان من الكعبة، وهما الآن فى داخل المسجد الحرام. يبدأ بالصفا فيقف عليه ويوجه وجهه نحو الكعبة داعياً ملبياً، ثم يسعى إلى المروة، يمشى الرجل مشياً عادياً حتى إذا كان عند الميل الأخضر يهرول حتى يصل إلى الميل الأخضر الثانى، ثم يمشى مشياً عادياً إلى المروة، فيقف عليه ويوجه وجهه نحو الكعبة داعياً ملبياً، ثم يعود إلى الصفا ويفعل مثل ما فعل فى الشوط الأول، وهكذا حتى يتم سبعة أشواط، وأما المرأة فلا تهرول بين الميلين الأخضرين[١].

عمر: نرجو أن تحدثنا عن سبب السعى بين الصفا والمروة.

الأب: سبب السعى بينهما هو إحياء ذكرى السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل، فقد أخذها سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى مكة هى وطفلها الرضيع إسماعيل ليبعدها عن زوجته سارة لضيقها بها وبابنها كما حدثتكم عن ذلك عند الحديث عن الرسل، ترك إبراهيم عليه السلام هاجر وحدها هى وطفلها الرضيع فى هذا المكان المهجور ومعهما بعض الزاد وبعض الماء، فلما نفد الماء أخذ إسماعيل يبكى من العطش، فصعدت الصفا وكان قريباً منها، وأخذت تنظر هل ترى أحداً تجد عنده بعض الماء فلم تر أحداً، فذهبت إلى المروة ففعلت مثل ذلك حتى أتمت سبعة أشواط، فلما يئست عادت إلى

---

(١) الميلان الأخضران علامتان ترشدان الحاج إلى المسافة التى يهرول فيها.

ابنها لتجد أن الله أكرمهما بعين ماء وهى زمزم.

ويشترط لصحة السعى أن يكون عقب الطواف مباشرة، وبعد إتمام السعى تنتهى أعمال العمرة لمن كان متمتعاً أى ناوياً العمرة فقط فيحلق أو يقصر ويتحلل حتى يقترب موعد الحج فيحرم له، وأما المفرد فلا تعتبر هذه عمرة له بل جزءًا من أعمال الحج فلا يتحلل حتى ينتهى من الحج وكذلك القارن.

بدء أعمال الحج

فى يوم الثامن من ذى الحجة يذهب جميع الحجاج إلى منى وهم محرمون، ومنى ضاحية من ضواحى مكة تبعد عنها بحوالى ستة كيلو مترات وبها الجمار الثلاث التى يرميها الحجاج ابتداء من يوم العاشر من ذى الحجة.

يذهب الحجاج إلى منى يوم الثامن ويبقون بها، وفى صبيحة التاسع من ذى الحجة يتوجه الجميع إلى عرفة أو عرفات، وإن كان معظم الحجاج فى عصرنا يتوجهون مباشرة إلى عرفة دون المرور بمنى نظراً لشدة الزحام.

الوقوف بعرفة: يوم التاسع من ذى الحجة هو يوم الركن الأعظم للحج، وهو الوقوف بعرفة – وقد قال عنه الرسول ﷺ **"الحج عرفة"**[١] فمن أداه فى وقته، وهو أى وقت من ساعة الظهر إلى فجر اليوم التالى، فقد تم حجه، ومن فاته الوقوف فى جزء من هذا الوقت فقد فاته الحج، والسُّنة أن يقف جزءاً من النهار ويستمر فترة بعد غروب الشمس.

زينب: هل يظل الحجاج واقفين ولا يجلسون؟

---

(١) رواه أحمد بسنده عن عبدالرحمن بن يعمر رضي الله عنه.

الأب: ليس المقصود بالوقوف بعرفة أن يقف الحاج على قدميه، بل المقصود مجرد الوجود بعرفة فى هذا الوقت حتى لو كانت نائماً أو مغمى عليه.

عمر: ولماذا لم يقولوا الوجود بعرفة أو الحضور بعرفة؟

الأب: قالوا: الوقوف بعرفة، لأن الحجاج يحرصون على التوجه إلى الله بالدعاء فى هذا اليوم، ويكون أغلبهم واقفين، وبعضهم يصعد جبلاً صغيراً بعرفة يسمى "جبل الرحمة" يقفون عليه ويدعون كما كان يفعل الرسول ﷺ وإن كانت ظروف الزحام فى عصرنا تحول بين معظم الحجاج وصعود هذا الجبل والوقوف عليه.. وبعرفة مسجد يسمى مسجد نمرة يصلى فيه من استطاع من الحجاج الظهر مع الإمام الذى يخطب فيهم كخطبة الجمعة، ويصلون العصر مع الظهر جمع تقديم قصراً: أى ركعتين ركعتين.

عمر: كم مرة حج النبى ﷺ؟

الأب: حج مرة واحدة قبل وفاته بأشهر قليلة، وسُميت هذه الحجة بحجة الوداع، لأن الرسول ﷺ كان يودع المسلمين وهو يوصيهم ببعض أمور الدين، فكان يقول لهم فى خطبته التى سميت أيضاً خطبة الوداع: لَعَلِّ لا ألقاكم بعد عامى هذا.

الإفاضة من عرفات: بعد غروب شمس يوم التاسع من ذى الحجة يفيض الحجاج من عرفات - أى ينصرفون منها - إلى المزدلفة وهى مكان بين عرفة ومنى، وتعرف بالمشعر الحرام، ومنها يلتقط الحجاج الحصى الذى يرمون به الجمار فى منى، ويصلى الحجاج بالمزدلفة المغرب والعشاء فى وقت العشاء جمع تأخير.

زينب: ما هى الجمار يا أبي؟ ولم يرمونها بالحصى؟

الأب: الجمار جمع جمرة ولها معنيان: المعنى الأول: الحصاة الصغيرة، والمعنى

الثانى: شكل حجرى قبيح مقام بمنى، وهى ثلاث جمرات: هى جمرة العقبة، والجمرة الوسطى، والجمرة الصغرى، وبين كل جمرة والأخرى حوالى مائة متر أو أكثر قليلاً، أما لماذا يرميها الحجاج بالحصى فلأنها رمز للشيطان، ورميها يعنى أن الحاج لن يستجيب لوسوسة الشيطان ويعلن التبرؤ منه، كما أن فى هذا الرمى إحياء لذكرى قصة ذبح سيدنا إسماعيل التى عرفتموها، فعندما أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عن طريق رؤيا منامية أخبر ابنه إسماعيل بذلك، فقال له: افعل ما تؤمر، فأراد الشيطان أن يستغل هذه الفرصة ويوسوس لإبراهيم وآله حتى يحملهما على عصيان الله، فتعرض لسيدنا إبراهيم وأخذ يستفزه ضد إرادة الله فزجره إبراهيم، ورماه بسبع حصيات، فلم ييأس وتعرض له مرة ثانية فى مكان آخر، فزجره أيضاً ورماه بسبع حصيات، فظل الشيطان على إصراره وتعرض له مرة ثالثة فى مكان آخر فزجره أيضاً ورماه بسبع حصيات، فيئس الشيطان وأقيمت هذه الجمرات فى هذه الأماكن تذكيراً للمسلمين بمكايد الشيطان، وحرصه على إغوائهم، فنحن نقتدى بسيدنا إبراهيم عليه السلام، ونحاول طرد الشيطان من قلوبنا بهذا الرمي.

الأم: معنى ذلك يا أولادى أن الحاج ينبغى أن يعود من حجه، وقد تغيرت حاله إلى الأفضل، وعزم ألا يستجيب لوساوس الشيطان، فيطرد الشيطان من حياته كلها، فليست المسألة تمثيلاً ينتهى بعد أداء الدور.

الأب: نعم، هذا هو الحَج المبرور الذى قال عنه الرسول ﷺ "ليس له جزاء إلا الجنة" نعود إلى موضوعنا يجمع الحاج الحصى من المزدلفة.

عمر: ما عدد هذا الحصي؟

الأب: تسع وأربعون حصاة يرمى فى اليوم الأول جمرة العقبة وحدها بسبع

حصيات يوم العاشر من ذى الحجة، وفى اليوم الثانى يرمى الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات فيكون المجموع إحدى وعشرين، وكذلك فى اليوم الثالث فيكون المجموع الكلى تسعاً وأربعين حصاة.

يبقى الحجاج بالمزدلفة حتى صلاة الفجر، ثم يتوجهون إلى منى ليرموا جمرة العقبة بعد شروق الشمس وبعد رميها يحلقون أو يقصرون، والمرأة لا تحلق بل تقص جزءاً من شعرها، وإذا كان الحاج قارناً أو متمتعاً فعليه أن يذبح الهدى وهو شاة أى - خروف - أو يشترك مع ستة فى جمل أو بقرة، فإن لم يستطيع يصم ثلاثة أيام فى الحج وسبعة أيام عندما يعود إلى بلده، وبعد الذبح يستطع الحاج أن يلبس ثيابه العادية.

وقد وضعت إدارة الحج نظاماً لذبح الأضاحى لتريح الحجاج من الذبح وما يترتب عليه من مشاق تتمثل فى كثرة الضحايا التى تعد بمئات الألوف، ومعظمها ملقى فى الطريق لا يستفيد به أحد، فطلبت من الحاج الذى يريد أن يضحى أن يودع المصرف الخاص بذلك ثمن الهَدْى، ويوكله فى ذبحه وتوزيعه على الفقراء ويقوم المصرف بذبح الهدى، وتجميده فى ثلاجات خاصة ثم يوزَّع على فقراء المسلمين فى أنحاء العالم.

الأم: نعم هذا النظام، أذكر عندما ذهبنا إلى مكان الذبح لنذبح الهدى كان المنظر بشعاً، آلاف الخرفان المذبوحة ملقاة على الأرض فى منظر مقزز وليس هناك من يأخذها لكثرتها بالنسبة للمحتاجين فى هذا المكان.

الأب: وهذا واجب المسلمين أن يفهموا روح الإسلام، ويستفيدوا بمخترعات العصر ليحققوا أهدافه.

طواف الإفاضة

ثم يتوجه الحاج إلى مكة ليطوف حول الكعبة سبع مرات، ويسمى هذا الطواف طواف الإفاضة أو الزيارة، وهو الركن الثانى من أركان الحج، من لم يؤده يبطل حجه، ويفعل فيه مثل ما يفعل فى طواف القدوم.

وبعد إتمامه هذا الطواف يتحلل الحاج تحللاً كاملاً، أى يحل له كل ما كان محرماً عليه من قبل.

رمي الجمار

بعد إتمام الطواف يعود الحاج إلى منى ليبيت فيها ويرمى الجمار فى اليوم التالى والذى يليه أى يوم، الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة.

أحمد: ما الوقت الذى يرمى فيه الحاج الجمار، هل هو بعد شروق الشمس إلى الزوال كاليوم الأول؟

الأب: الوقت المختار لرمى الجمرات الثلاث فى اليوم الثانى والثالث هو من وقت الظهر إلى غروب الشمس، ولكن نظراً لكثرة الحجاج وشدة الزحام فى عصرنا فقد أفتى بعض الفقهاء بجواز الرمى فى أى وقت من النهار أو الليل.

وبانتهاء رمى اليوم الثانى عشر تنتهى أعمال الحج إلا إذا اضطر بعض الحجاج للبقاء بمنى حتى غروب الشمس فيجب عليهم المبيت بها ورمى الجمرات الثلاث يوم الثالث عشر أيضاً، ولكن هذا لا يحدث إلا نادراً.

الأم: لو فهم المسلمون حكمة العبادات فى دينهم لما وصلوا إلى هذا الحد من التفرق والتشتت الذى هم عليه الآن، فالإسلام كما هو دين التوحيد فى العقيدة

هو دين الوحدة للأمة والتعاون والترابط، وكل العبادات تراعي هذا المعنى، فصلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيدين كلها تحث المسلمين على التلاقى والتجمع، ولكن فى نطاق البلد الواحد، ثم يأتى موسم الحج فيتجمع كثير من المسلمين من جميع أرجاء العالم فى مكان واحد وزمان واحد، فلو استغل المسلمون هذا المؤتمر الضخم لتقوية الروابط بينهم، والتباحث فى حل مشكلاتهم، واتفقوا على سياسة معينة تحقق مصالحهم، لو حدث هذا لتحققت وحدة المسلمين، ولما طمع فيهم أعداؤهم.

الأب: هذا حق، وقد شبه الرسول ﷺ المسلمين فى تراحمهم وتوادهم بالجسد إذا اشتكى منه عضو تألمت له جميع الأعضاء، وفى حديث آخر شبههم بالبناء المتماسك الذى يشد بعضه بعضاً، وهكذا ينبغى أن يكون المسلمون.

أحمد: لكنهم ليسوا كذلك، بل هم دائماً متفرقون بل ربما يعادى بعضهم بعضاً، ويتحالف فريق مع أعداء الإسلام ضد فريق آخر.

الأب: هذا صحيح للأسف، وما ذلك إلا لبعدهم عن روح الإسلام وفهمهم له على أنه مظاهر شكلية لا يعرفون حكمتها ولا الهدف منها.

عمر: بقى أن تحدثنا عن العمرة.

الأب: لقد حدثتكم عنها ولكن لا بأس بإعادة الحديث مرة ثانية، ولكن قبل أن أحدثكم عن العمرة أذكركم أن الحاج بعدما ينتهى من رمى الجمار ويريد أن يعود إلى بلده عليه أن يطوف بالبيت طوافاً ثالثاً يسمى طواف الوداع يفعل فيه كما فعل فى سابقيه، وذلك ليكون آخر عهده بمكة الطواف حول البيت.

العُمرة

تختلف العمرة عن الحج فى أنها ليس لها وقت محدد بل يجوز أداؤها فى كل وقت

من أوقات السنة، فالذى يريد العمرة يتوجه إلى مكة، ثم يحرم عند الميقات وهو رابغ بالنسبة للمصريين، فيرتدى ملابس الإحرام: الإزار والرداء وذلك بعد أن يغتسل ويقص أظافره ويتطيب ثم يزخذ فى التلبية، وعندما يدخل مكة يتوجه إلى الحرم فيطوف حول الكعبة سبعة أشواط، ثم يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم ﷺ، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط أيضاً يبدا بالصفا وينتهى بالمروة، وبعد إتمام السعى يحلق أو يقصر، وبذلك تتم عمرته فيتحلل.

عمر: وهل يذبح الهدي؟

الأب: ليس فى العمرة ذبح.

أحمد: حضرتك قلت: إن هناك مواقيتَ لا يجوز للحاج أو المعتمر اجتيازها إلا محرماً، فماذا يفعل المقيم فى مكة أو جدة أو الطائف مثلاً؟

الأب: المقيم فى مكة عليه - إذا أراد العمرة - أن يخرج من مكة إلى مكان يسمى "التنعيم" قريب من مكة فيحرم منه، وأما المقيم فى جدة أو غيرها من البلدان القريبة من مكة، فيحرم من بيته، ويتوجه إلى مكة محرماً.

عمر: زيارة الرسول ﷺ فى المدينة، هل هى جزء من الحج؟

الأب: لا علاقة لهذه الزيارة بالحج أو العمرة، وإنما هى تحية يؤديها المسلم لصاحب الرسالة بزيارة قبره، وتجديد العهد بالالتزام بتعاليمه وسُننه.

الأولاد: شكراً يا أبانا شكراً يا أمنا، وجزاكما الله عنا خيراً.

الأب والأم: بارك الله فيكم، وأعانكم على الالتزام بدينكم.

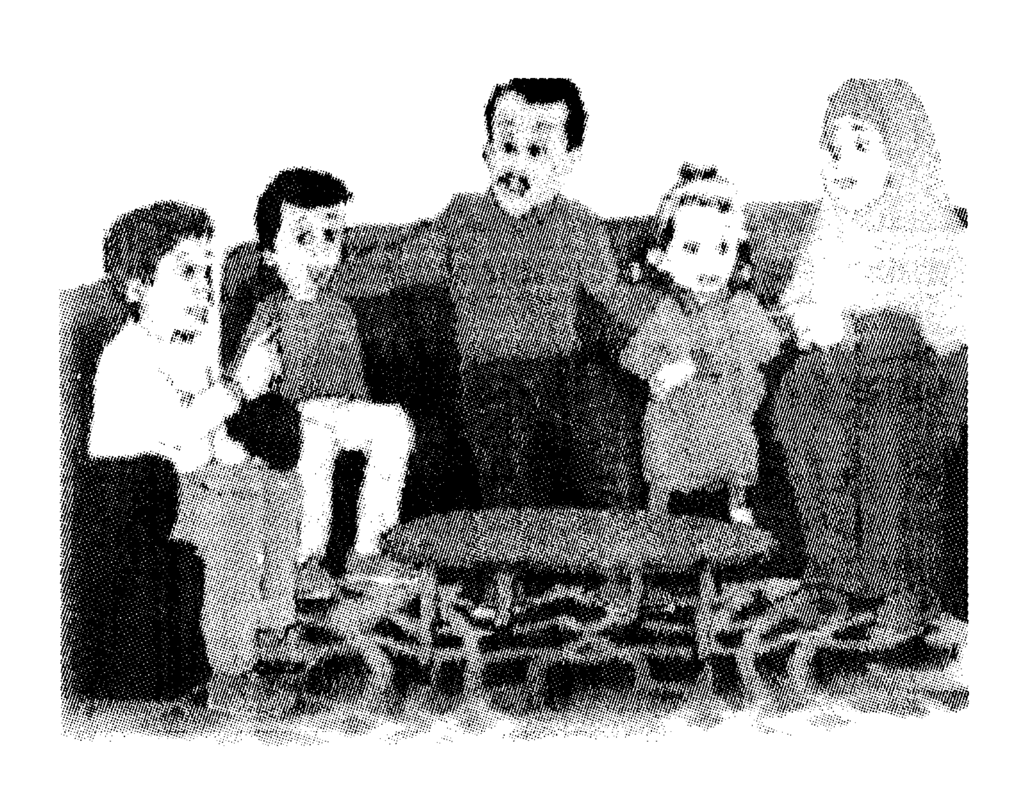
زينب: لقد تمت بحمد الله أركان الإسلام الخمسة.

الأب: نعم، ولكن الأركان وحدها لا تقيم بيتاً كاملاً بل لابد من أشياء أخرى مكمِّلة، سأحدثكم عنها فى الجلسة المقبلة إن شاء الله، أم تراكم مللتم هذه الجلسات.

الأولاد: معاذ الله.. إننا نسعد بهذه الجلسات.

الأب: شكراً لكم.

* * *





قِيَمُنَـــا

- الإسلام بناء متكامل.
- الرباط الأسري.
- رعاية حق الجار.
- حقوق المسلمين بعضهم على بعض.
- المسئولية الاجتماعية.
- التسامح مع ذوى الأديان الأخرى.
- الرفق بالحيوان.



الإسلام بناءٌ متكامل

جلس الأولاد ينتظرون أباهم فى شوق، فهم يتوقون إلى سماع حديثه عن الأشياء الجديدة التى تكمل بناء الإسلام إلى جانب الأركان التى عرفوها وأقبل الأب والأم فسلما على الأولاد بسلام الإسلام وتحيته: السلام عليكم.. وبدأ الأب الحديث.

الأب: قلت لكم فى الجلسة الماضية إن الأركان هى أساس البناء ولكنها ليست كل شيء فيه، فإذا أخذنا البيت مثلاً نجد البناء يقوم على الأركان – أى الجدران – ولكنه لا يصلح للسكنى حتى يستكمل أشياء أخرى مثل السقف والأبواب والنوافذ وغيرها من مكملات البناء. وكذلك الإسلام لا يمكن أن يوصف به الفرد إلا إذا حقق أركانه التى عرفناها ولكن لا يكتمل الإسلام فى قلب المسلم إلا إذا التزم بأشياء أخرى لا يكون مسلماً كاملاً إلا بها من أهمها القيم والأخلاق، وحديثنا فى هذه الجلسة والجلسات التى تليها سيكون عن القيم الإسلامية، ثم بعد ذلك الأخلاق الإسلامية.

زينب: ما معنى القيم يا أبي؟

الأب: القيم هى مجموعة الأشياء التى يحرص كل مجتمع أن يلتزم بها كل فرد من أفراده، وأن يحترمها، وإذا خرج فرد على هذه القيم نظر إليه المجتمع فى احتقار.

القِيَم الإسلامية:

وللإسلام قيم كثيرة يدعو المسلمين إلى التمسك بها، وتميز المجتمع الإسلامى عن غيره من المجتمعات، من هذه القيم مثلاً: الرباط الأسرى، ورعاية حق الجار، والمسئولية الاجتماعية، والتسامح وغير ذلك مما سنعرض له فى جلساتنا.

الرباط الأسري

وسنبدأ بالحديث عن الأسرة وأسألكم عن أهم دعائم الأسرة.

عمر: الأب والأم.

الأب: ولكن قبل أن يكون الأب أباً والأم أمّاً، ماذا كانا؟

أحمد: زوج وزوجة.

الأب: نعم، إذن دعامة الأسرة الزوج والزوجة، ثم يوجد الأولاد، ويكبرون فماذا يصبح الزوج والزوجة؟

أحمد: يصبحان أباً وأماً.

الأب: أحسنت.. فما الرابطة التى تربط بين الأولاد؟

أحمد: رابطة الأخوة فيصبحون إخوةً وأخواتٍ.

الأب: ثم يكبر الإخوة ويتزوجون ويكون لهم أولاد، فيكون الأب والأم جدّاً وجدة، ويصبح الإخوة أعماماً وأخوالاً، وهكذا تتألف الأسرة.

معايير اختيار الزوج والزوجة

ولنبدأ حديثنا عن الزوج والزوجة، لقد شجع الإسلام على الزواج، وحث المسلمين عليه، ودعا كلاًّ من الزوج والزوجة إلى حُسن اختيار كل منهما للآخر، فما المعايير التى وضعها الإسلام للاختيار؟ ما رأيك يا أحمد؟

أحمد: لقد كان مقرراً علينا حديثاً نبويّاً شريفاً يذكر معايير الاختيار، فجعلها أربعة: المال والجمال والحسب والدين، ثم دعا المسلمين إلى اختيار المرأة المتدينة.

الأب: عظيم.. هذه المعايير التى ذكرتها هى التى يختار على أساسها الرجل الذى

يريد الزواج زوجته، ونص الحديث الشريف هو: **"تنكح (تُزوج) المرأة لأربع: لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تَرُبت يداك"**(١).

زينب: ما معنى العبارة الأخيرة يا أبي؟

الأب: تقصدين "فاظفر بذات الدين تربت يداك"؟

زينب: نعم.

الأب: الظفر هو الفوز والحصول على الشيء، وتربت يداك عبارة يقصد بها تأكيد المعنى والحث عليه، فالحديث يحث المسلم على اختيار المرأة ذات الدين أى المتدينة، ويعتبر اختيارها غنيمة يفوز بها الزوج.

عمر: ما معنى الحسب؟

الأب: الحسب هو الجاه والسلطان والأسرة العريقة.

الأم: إن جعل الدين أهم مقياس فى الزواج هو أساس نجاح أى زواج، وأما المقاييس الأخرى وحدها فقد تؤدى إلى فشل الزواج، فالمرأة الجميلة قد تغتر بجمالها فتسوء أخلاقها، وتنفق وقتها فى المحافظة على جمالها، وتهمل بيتها وأولادها، والمرأة الغنية قد تتعالى على زوجها وتنظر إليه باحتقار إذا كان فقيراً، وتظن دائماً أنه تزوجها لمالها، فتسوء العشرة بينهما، وكذلك المرأة بنت صاحب الجاه والنفوذ وسليلة الأسرة العريقة، وأما المرأة المتدينة فهى ترعى الله فى زوجها وأولادها وبيتها وتعرف حق زوجها عليها.

الأب: وليس معنى ذلك أن الإسلام يدعو إلى اختيار المرأة القبيحة أو الفقيرة

---

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه.

أو الخاملة، ولكنه يدعو إلى أن يكون الدين أساس الاختيار، ولا بأس أن يجتمع مع الدين الجمال أو الغنى والجاه، لكن إذا فقد الدين فلا قيمة للمقاييس الأخرى مهما كانت عظيمة.

أحمد: هذا بالنسبة للزوجة، فماذا بالنسبة للزوج؟

الأب: نفس المقياس، وهو الدين، فقد أمرنا الرسول الكريم ﷺ بذلك فقال: **"إذا أتاكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير"**[1]، ولاحظوا الجزء الأخير من الحديث: "إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير" فهو يحذرنا من الجرى وراء قيم أخرى مثل المال أو الجاه أو غيرهما من المظاهر الخادعة، لأن ذلك سيؤدى إلى إقامة بيوت الزوجية على أساس غير متين، فسرعان ما تنهار، وقد أفهمنا القرآن الكريم أن الفقر ليس أمراً ملازماً للإنسان، بل قد يغنى الله الفقير، فقال تعالى: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٢).

أحمد: لكن يا أبى نرى كثيراً من الفتيات لا يراعين مبادئ الدين فى سلوكهن، وكذلك يفعل كثير من الشبان، وهنا يكون العثور على الملتزمين والملتزمات بالدين أمراً صعباً.

الأب: يا بنى إن المجتمع الإسلامى بخير، وسيظل إن شاء الله بخير ما دام بيننا القرآن الكريم والسنة النبوية، والمظاهر الشائنة التى تراها من بعض الفتيات والفتيان، والتى تخرج عن نطاق الفضيلة ليست هى القاعدة، وإنما الذى يضخمها وسائل الإعلام المختلفة جرياً وراء المدنية الغربية التى تحررت - أو بعبارة أدق -

---

(١) رواه الترمذى بسنده عن أبى حاتم المزنى رضي الله عنه.

تحللت من الأخلاق الفاضلة، وبعضهم يسعى إلى أن يفعل بنا ذلك، وقد توعد الله الذين يحاولون دفع المجتمع إلى طريق الرذيلة بالعذاب الأليم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ (النور: ١٩)، أما الأغلبية العظمى من المسلمين والمسلمات فيتحلون بالفضيلة، ولكن الرذيلة هى الأكثر بريقاً، وجذبا للأنظار، فتبدو كأنها هى السائدة.

أحمد: لكننا نرى انصراف كثير من الشباب والشابات أيضاً عن الزواج.

الأب: هذا من تعقيدات المجتمع التى جعلت مشروع الزواج مشروعاً اقتصاديّاً ضخماً لا يقدر عليه إلا الأقلون، إلى جانب تساهل بعض الأسر نحو سلوك أبنائهم وبناتهم، فأُتيحت لهم فرص العلاقات الخاطئة، وهذا جعل بعض الشباب يعزف عن الزواج لعدم اطمئنانه إلى عفاف الفتاة.

أحمد: أريد أن تحدثنا عن موقف الإسلام من تعقيدات الزواج وتحرر أو تحلل بعض الشباب من قواعد السلوك الخلقى.

موقف الإسلام من تعقيدات الزواج والسلوك المتحرر للشباب

الأب: إن الزواج فى رأى الإسلام عمل سهل لا يحتاج إلا إلى حُسن اختيار شريكيْ الحياة بعضهما لبعض، ومهر مناسب ليس فيه مغالاة، ومسكن يأوى الزوجين، هذه هى متطلبات الإسلام فى الزواج، ولكن انظروا إلى أهل عصرنا وماذا يشترطون: أولاً شقة مناسبة، وما أدراكم ما الشقة، وما تحتاج إليه من مال يعجز عنه الشباب ذوو الدخل المتوسط، فما بالكم بالفقراء، ثم تجهيز هذه الشقة بالأثاث الذى يجب أن يتباهى به أهل الزوج أو أهل الزوجة، والأجهزة الكهربائية وما أكثرها.. فكيف يستطيع الشاب الزواج بهذه الطريقة.. إن هذه المغالاة يرفضها الإسلام، فقد

كان يحث على أن يكون المهر قليلاً، وهو كل ما كان يطلب من الزوج، فقال ﷺ: **"إن أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة"**[١].

وأما رأى الإسلام فى الأمر الآخر وهو تحلل بعض الشباب، فإن الإسلام يرفضه رفضاً باتّاً، وقد توعد عليه بالعذاب الأليم، لقد وضع الإسلام دستوراً لسلوك الرجل والمرأة فى العلاقة بينهما، فدعا الرجال الذين لا يستطيعون الزواج إلى التزام العفة فقال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النور: ٣٣) وأوضح الرسول ﷺ وسيلة الاستعفاف فى حديثه الشريف: **"من استطاع منكم الباءة فليتزوج.... ومن لم يستطع فعليه بالصوم"**[٢]، والباءة هى القدرة على تكاليف الزواج، فالذى يستطيع أداء تكاليف الزواج فليتزوج، وأما الذى لا يستطيع فعليه أن يصوم، فاعتبار أن الصوم يضعف فورة الشباب مؤقتاً، فلا ينفق الشاب وقته فى التفكير فى الزواج، ومثل الصوم فى أداء هذا الغرض ممارسة الألعاب الرياضية، أو الانهماك فى نشاط اجتماعى أو ثقافى، وإن كان الصوم هو الأفضل، لأنه يسمو بنفس الإنسان، ويحقق له الثواب فى الآخرة، كما دعا الإسلام الرجل إلى البعد عن مواطن الفتنة، فأمره أن يغض بصره إذا رأى امرأة فى طريقه حتى لا تفتنه رؤيتها فيقع فى الرذيلة.

زينب: ما معنى غض البصر؟

الأب: معناه تحويل النظر عن شيء ما، فإذا رأى رجل امرأة أو رأت امرأة رجلاً على كل منهما تحويل نظره إلى اتجاه آخر.

أحمد: يا أبى لقد أصبح النظر إلى المرأة الآن أبسط الأشياء، وحضرتك تعرف

---

(١) روى عن عائشة رضى الله عنها.

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما بأسانيدهم عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وسائل الإغراء المتنوعة التى يحاول شياطين الإنس بها دفع الرجال والنساء إلى الرذيلة دفعاً.

الأب: نعم - مع الأسف - فهو مخطط شيطانى يريد أن يشيع الانحلال بأبشع صوره فى المجتمع، وهذا يلقى على كاهل الأسرة عبئاً ثقيلاً لتحمى أفرادها من هذا الطوفان والله المستعان.

ولأن المرأة هى موطن الفتنة فقد أمرها الإسلام إلى جانب غض البصر بالحشمة فقد أمرها الله بعدم إظهار زينتها للرجال إلا إذا كانوا أقرباء محارم، أى يحرم على كل واحد منهما أن يتزوج من الآخر كالأب وابنته، والأخ وأخته، وغيرهما ممن تُحَرِّم عليهم القرابةُ القريبة أو المصاهرة زواجَ بعضهم من بعض.

أحمد: ما الحد المباح للمرأة أن تظهره من جسمها للرجال غير المحارم؟

الأب: الوجه والكفان.. وما عدا ذلك لا يجوز إظهاره أمام الرجال.

عمر: لكن هناك نساء يضعن النقاب على وجوههن ويلبسن فى أيديهن قفازات ليسترنها، فهل هذا مطلوب؟

الأب: لا، ليس مطلوباً فهذه مبالغة لا حاجة إليها.

زينب: إذن المطلوب الحجاب فقط.

الأب: نعم، الحجاب فرض على كل مسلمة بلغت الرابعة عشرة أو نحوها وهذا أمر ربانى أتى به القرآن الكريم، وكل دعوة إلى مقاومته تعتبر معارضة للدين، وإلى جانب الحجاب على المرأة أن تبتعد عن الملابس التى تكشف عن جسمها، لأنها شفافة تصف ما تحتها، أو ضيقة تحدد ما تحتها.

الخطبة

أحمد: قبل الزواج تكون الخطبة فما الذى يحل للشاب والشابة فى هذه الفترة؟ وهل ما نراه من انفراد الخطيبين وحدهما، والخروج معاً وحدهما، والتصرف فى كثير من الأشياء كأنهما زوجان.. هل هذا حلال؟

الأب: لا، هذا حرام بكل تأكيد، وهو تقليد لقيم الغرب، فالخطبة من منظور الإسلام مشروع زواج قد يتم وقد لا يتم، وقد أباح الإسلام للرجل أن يدقق النظر إلى المرأة التى يريد أن يتزوجها، فإذا أعجبته تقدم لخطبتها، وفى أثناء الخطبة لا بأس من أن يجلس معها بحضور أحد محارمها، ولكن لا تظهر من زينتها إلا الوجه والكفين، لأن الرجل لا يزال غريباً عنها، وكل هذه الاحتياطات صون لكرامة المرأة، وإبعادها عن كل شبهة، فإذا فشل مشروع الزواج لا تخسر شيئاً، ولقد قرأنا كثيراً من مشروعات للزواج فشلت، وخسرت المرأة كثيراً لأنها ابتعدت عن قيم الإسلام فى فترة الخطوبة.

واجبات كلٍّ من الزوجين وحقوقهما تجاه الآخر

الأب: بعد أن يتم الزواج يرسم الإسلام لكل من الزوجين حقوقه وواجباته.

الأم: لقد حدد القرآن الكريم هدف الزواج فى آية عظيمة تبين سمو نظرة الإسلام إلى الزواج، ولخص هذا الهدف فى ثلاثة أمور: السكن، والمودة، والرحمة، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١) أما السكن فهو الاطمئنان والراحة، فكل من الزوجين يجد لدى الآخر ما يزيل عنه هموم الحياة ومتاعب العمل ويحس براحة نفسية عميقة معه تملأ النفس رضاً، وتجعلها مستعدة لتحمل مشاق الحياة مهما

صعبت، وأما المودة فهى الحب المتبادل بين الطرفين، حب هادئ عميق يجعل للحياة طعماً، وأما الرحمة فهى إحساس كل طرف بآلام الآخر، وإشفاقه عليه ومساعدته على تحملها، أليس كذلك يا زوجى العزيز؟

الأب: بلى يا زوجتى العزيزة، لقد أحسنت الشرح والتحليل، ونحمد الله أن حبانا بهذه المشاعر، ونسأله أن يحقق لأولادنا مثلها.

أحمد: أدام الله عليكما نعمته.. نريد أن نعرف حقوق كل زوج على الآخر، وهل للزوج الرياسة المطلقة، والكلمة النافذة فى كل شؤون الأسرة كما يُقال؟

الأب: يا بنى، الزواج شركة بين اثنين، وهو رابطة يريد الإسلام لها الدوام وسينتج عن هذه الشركة أولاد، ويُحتاج إلى تدبير أمورهم، وتدبير شأن المنزل وغير ذلك من متطلبات الحياة، فهل يترك الأمر مشاعاً فى هذه الشركة يتصرف كل من الطرفين حسبما يريد دون تخطيط أو تدبير، لو حدث هذا لدبت الفوضى فى هذه الشركة.. إذن لابد أن يكون فيها مسؤول يخطط لها ويدبر أمورها، وبطبيعة الحال يكون هذا المسؤول هو الرجل لسببين ذكرهما الله تعالى فى قوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤) ولعلكم فهمتم السببين: الأول هو فضل الرجل فى قوة البدن وقوة العقل، وذلك أن الله حين خلق الجنس شاء للرجل أن يتحمل هو المسؤولية فمنحه قوة فى جسمه وقوة فى عقله، فنرى الرجل من حيث التكوين الجثمانى أقوى من المرأة، فغالباً ما يكون هو الأطول والأشد عضلاً والأقوى تحملاً وصبراً، ومن حيث العقل نجد لديه قدرة أكبر على تقبل المعارف واستيعابها، وعلى حل معضلات الأمور، واختراع الأشياء وغير ذلك.

أحمد: (ضاحكاً) ما رأيك يا ماما فى هذا الكلام؟

الأم: إنى موافقة عليه تماماً. فأنا أكره أشد الكره مخالفة الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ولا يعيبنا هذا - نحن النساء - فإذا كان الله قد حبا الرجال بأمور فقد حبا النساء بأشياء أخرى لا تقل عنها أهمية، فمنها رقة الإحساس، وقوة العاطفة، والقدرة على التضحية والإيثار.

الأب: صدقت أمكم.. عموماً هذه الخصائص بوجه عام.. بمعنى أن الرجال فى مجموعهم يتصفون بقوة الجسم والعقل، وأن النساء فى مجموعهن أقلَّ من الرجال فى هاتين الصفتين، ولا مانع أن توجد نساء أقوى فى الجسم والعقل من بعض الرجال، ولكن الإسلام يضع تشريعاته على الأعم الأغلب.

وأما السبب الثانى لقوامة الرجال على النساء: فهو الإنفاق من أموالهم، فهم المسؤولون عن الإنفاق على الأسرة، ولا تطالب المرأة بالإنفاق عليها حتى لو كانت الزوجة غنية، والزوج فقيراً إلا إذا تفضلت بالإنفاق من مالها تبرعاً وتكرماً دون إجبار.

أحمد: إننا نسمع عن كثير من الرجال يأخذون مرتبات زوجاتهم العاملات وينفقون منه، ولا يبقون لهن شيئاً.

الأب: هذا خطأ يرفضه الإسلام.. فالإسلام يترك مال الزوجة لها مهما كثر، ولا حق للزوج فيه بل يترك لها حرية التصرف فيه، وهذا سبب من أسباب قوامته، وأحب أن أنبهكم إلى أن قوامة الرجال على النساء لا تعنى الاستبداد بأمر الأسرة، والإساءة إلى الزوجة، بل إن المسألة مسألة تنظيمية لتسيير أمر الأسرة، وعلى الزوج مراعاة ذلك، وأن يعرف أنه إذا كان له حق على زوجته، فلزوجته عليه حق مثله، ولكن الزوج يزيد على زوجته درجة هى حق الإدارة والبت فى أمور الأسرة، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فقال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨) وانظروا إلى ختام الآية، فقد وصف الله نفسه فيها بصفتين مناسبتين للموقف هما: العزة والحكمة، فهو عزيز لا يغلبه أحد قادر على أن ينزل عقابه بمن يخالف أمره، وهو حكيم يضع الأمور فى نصابها، وقد اقتضت حكمته أن يجعل للرجال على النساء درجة لا من أجل الاستعلاء عليهن وظلمهن، وإنما من أجل تسيير شئون الحياة الأسرية.

أحمد: ما حقوق كل من الزوجين على الآخر؟

الأب: هناك حق متبادل بينهما، وهو حُسن معاشرة كل منهما للآخر، وبذل كل جهد لجعل الحياة الزوجية مريحة تحقق ما شرع الله الزواج من أجله وهو السكن – أى الاطمئنان والراحة النفسية – والمودة والرحمة وقد أوصى الله الزوج خاصة أن يحسن عشرة زوجته حتى لو كرهها، وألا يجعل مشاعره نحوها – إذا كرهها – تتحكم فى سلوكه معها فيسيء معاملتها، وتأملوا قول الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٩) فالله فى هذه الآية يحث المسلم على حُسن معاملة زوجته وإنه لو كرهها فقد يحقق الله على يديها الخيرَ الكثير له.

الأم: إننا نشاهد أمثلة كثيرة فى مجتمعنا على صدق هذا، فقد يتزوج الرجل امرأة لا يحبها، ولكنها بعقلها وحُسن تدبيرها، وطيب عشرتها، وبحسن تربية أولادها تجعل حياة زوجها هانئة مريحة وتحقق له السلام والطمأنينة فى بيته، فتكون النتيجة تحول مشاعر زوجها نحوها إلى حب واحترام، والعكس يحدث كثيراً فكم رأينا رجالاً تزوجوا عن حب وظنوا أن هذا الحب سيحقق لهم السعادة، ولكن سرعان ما انقلب الحب كرهاً بسبب سوء أخلاق الزوجة، وعدم تقديرها لمسؤوليات البيت والأسرة.

الأب: لذلك يجب ألا ينخدع الرجل وكذلك المرأة بالمظاهر الخادعة، وقد أوجب الإسلام أيضاً على الزوج - إلى جانب حُسن العشرة - الإنفاق الكامل على الزوجة من مطعم ومشرب وملبس ومسكن.

وأما حق الزوج على زوجته - إلى جانب الحق الأساسى المتبادل بينهما وهو حُسن العشرة - فهو طاعتها إياه فى كل ما يطلب منها من الأمور التى لا تخالف الشرع ولا العرف الصحيح الجارى فى المجتمع، وهذا أمر طبيعى بما له من حق القوامة، وعليها أيضاً أن تحافظ على ماله الذى تحت يدها، وتنفقه فى وجهه الصحيح. وأن تلتزم بفضيلة العفة وتلتزم بقواعد الأخلاق الحميدة، وكذلك عليها ألا تسمح لأحد بدخول منزله فى غيابه ممن تعرف أنه لا يريد دخولهم منزله فى غيابه.

أحمد: ولكن قد يحضر لزيارتها فى غيابه بعض أقاربها ابن عمها مثلاً أو ابن خالتها.

الأب: هؤلاء الأقارب غير محارم للزوجة فلا يصح أن يدخلوا عليها فى غياب زوجها، وألا تخلو معهم فى مكان، وأما إذا كان الزوار من المحارم كالعم والخال أو بعض قريباتها، وكانت تعلم أن زوجها لا يمانع فى دخولهم فعليها أن تستقبلهم فى غيابه، وأظن أنه يكفينا الآن الحديث عن الزوجين، ولننتقل إلى عنصرين هامين من عناصر الأسرة هما: الأبوان، ولكن فى الجلسة المقبلة إن شاء الله، فقد طالت جلستنا هذه الليلة، وشكراً لكم.

الأولاد: الشكر لك يا أبى ولأمنا.. وجزاكما الله عنا خيراً.

الوالدان

وفى الجلسة التالية أخذ الأب زمام الحديث بعد أن حيا أسرته.

الأب: لقد اهتم الإسلام بالوالدين اهتماماً كبيراً يتثمل ذلك فى الوصايا الكثيرة

التي وردت فى القرآن الكريم الذى جعل الإحسان إليهما تالياً للأمر بعبادة الله وعدم الإشراك به، تأملوا معى هذه الآيات: ﴿ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦)، و﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأنعام: ١٥١)، و﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الإسراء: ٢٣) فكل هذه الآيات تدعو إلى عبادة الله وحده، ثم يتبع ذلك بالوصية بالإحسان إلى الوالدين، وأستطيع أن أقول: إن معظم آيات القرآن الكريم التى دعت إلى الإحسان بالوالدين جاءت على هذا النسق، بل إن هناك آية دعا فيها الله الإنسان إلى شكر الله وشكر الوالدين، يقول الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤) وذلك لأن الله هو المنعم الأول على الإنسان بنعمة الوجود، والوالدان هما السبب المباشر فى وجوده، وقد طلب الله من الأبناء ألا يسيئوا إلى الوالدين أية إساءة حتى لو كانت تتمثل فى كلمة "أفٍّ" التى تدل على الضجر، يقول تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣) ولم تقف وصية القرآن الكريم عند حد عدم الإساءة إليهما بل أمرت أن يكون قول الابن لهما قولاً كريماً معبراً عن مدى حبه لهما، واعترافه بجميلهما عليه فى تربيته الأولى وهو ضعيف صغير.

وانظروا إلى التعبير القرآنى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٤) فهو يطلب من الابن أن يبديَ للأبوين تواضعاً وتذللاً لهما فى أثناء تعامله معهما، وقد خص القرآن حالة الكبر للوالدين لأنها الحالة التى يحتاج فيها الوالدان إلى حُسن الرعاية لشعورهما بالعجز والضعف، كما أن

هذه الحالة قد تغرى الأبناء بإهمالها والاستهزاء بها.

وقد اختص القرآن الأم بمزيد من عناية، فتحدث عن معاناتها فى أثناء الحمل والرضاعة كما مر فى الآية السابقة ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ (لقمان: ١٤) والوهن هو الضعف أى أنها فى حملها كانت تزداد ضعفاً على ضعف بسبب الحمل كما أنها أرضعته عامين أو أقل قليلاً، وفى آية أخرى يقول تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ (الأحقاف: ١٥) والمراد بالكره هنا المشقة أى كانت أمة تعانى فى حمله وولادته مشقة شديدة.

والرسول ﷺ فى أحاديث كثيرة دعا إلى بر الوالدين، ويكفينا هذا الحديث الذى يدعو فيه على الابن الذى عاش مع أحد أبويه أو كليهما فلم يتخذهما وسيلة لدخول الجنة بأن يحسن إليهما ويكرمهما بل أساء معاملتهما فحرم من دخول الجنة.. يدعو الرسول ﷺ على هذا الابن برغم الأنف أى الذل، قال عليه الصلاة والسلام: **"رغم أنفه.. من أدرك أبويه أو كليهما فلم يدخلاه الجنة"**[1]، وعندما سئل الرسول ﷺ عن أى الأعمال أفضل؟ قال: **"الصلاة لوقتها، قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قيل ثم أي؟ قال: الجهاد فى سبيل الله"**[2]، فانظروا إلى منزلة الوالدين لقد جاء تالياً للصلاة فى وقتها وسابقاً على الجهاد فى سبيل الله، وكما خص القرآن الأم بعناية أكبر كذلك خصها الرسول ﷺ بعناية أكبر واظنكم جميعاً تحفظون الحديث المشهور: "من أحق الناس بحسب صحابتي".

زينب: أنا أحفظه، **"سأل رجل النبى ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال:**

---

(١) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه

أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك"[(١)] .

الأب: نعم.. وفى هذا إشعار للأبناء بأن يكون تعاملهم مع الوالدين من مقام الإحساس بأنهما هما دائماً الأسمى مقاماً والأعلى منزلة فى نظر أبنائهما، على فكرة يا زينب عندما أقول الابن أو الأبناء فأنا أقصد البنت والبنات ولكن أقول هذا من باب الاختصار.

زينب: أعرف يا أبى.

الأم: أذكر قصة فى هذا الإطار وهو أن رجلاً كان يحمل أمه العجوز على كتفيه ويطوف بها حول الكعبة، وكان النبى ﷺ يطوف أو أحد الصحابة لا أذكر فالتفت إليه الرجل وقال له: أترانى أديت حق أمي؟ قال له: ولا أقل القليل فإنها كانت تحملك صغيراً وهى ترجو لك الحياة، ولكنك تحملها الآن وأنت تنتظر موتها.

الأب: وهكذا يحرص الإسلام على أن يقوم الأولاد ببر والديهم، وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم لإرضائهم، والتحبب إليهم وخصوصاً فى حالة الكبر، حتى لو كان الوالدان كافرين على الأولاد العطف عليهما، لقد كانت أم السيدة أسماء بنت أبى بكر المعروفة بذات النطاقين مشركة، وجاءت إلى ابنتها أسماء مرة تزورها، فذهبت أسماء إلى الرسول ﷺ وسألته: هل أصل أمي؟ قال لها: نعم صلى أمك، أى أكرميها وأعطيها بعض المال، ولو حاول الأبوان الكافران أن يمنعا أولادهما المسلمين من أداء فرائض الإسلام، وطلباً منهم الارتداد عن الإسلام، فعلى الأولاد ألا يطيعوهما فى ذلك، ولكن يستمرون فى حُسن التعامل معهما كأبوين كما قال تعالى فى هذا الشأن: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان: ١٥) فبر الوالدين قيمةٌ من أهم قيم الإسلام، وقد نهى الرسول ﷺ عن

---

(١) رواه البخارى ومسلم بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه .

عقوق الوالدين، وجعله قريناً للإشراك بالله، فقال: **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور"**(١).

أحمد: وهل ترانا يا أبى أولاداً بررة؟

الأب: والله يا أولادى، إنى أشهد الله أنكم أولاد بارون، وأبشركم بأن الله سيرزقكم بأولاد يكونون لكم بررة كما أنتم الآن، لأن الله يجزى كل إنسان بعمله فى الدنيا والآخرة.

الأم: وأنا أيضاً يا أولادى راضية عنكم وعن حُسن معاملتكم لنا، وأبشركم أيضاً بالذرية الصالحة التى تقر أعينكم، وقد ذكرنى هذا الحديث طُرفة تروى: وهى أن أحد الأبناء العاقين كان يسىء معاملة والده، ويضربه أحياناً بعصا كان يحتفظ بها لهذا الغرض، وذات مرة بحث عنها فلم يجدها - وكان له ابن - فسأله عنها فقال الابن: لقد أخذتها وسأحتفظ بها عندى، فقال له أبوه: لماذا تحتفظ بها؟ قال له ابنه: لأضربك بها عندما أكبر مثلما تفعل بجدى.

الأب: كثيراً ما يحدث هذا.. فالله قد يمهل ولكنه لا يهمل.

شكراً لكم يا أولادى.. سننهى حديثنا الليلة فاذهبوا واستريحوا.

الأولاد: شكراً لك يا أبى.. شكراً لك يا أمى، وجزاكما الله عنا خيراً.

الأقارب

وبدأ الأب حديثه فى الجلسة التالية - بعد أن حيا أسرته - قائلاً:

---

(١) رواه الشيخان عن أبى بكر.

الأب: حدثتكم فى الجلسة الماضية عن رعاية الوالدين، والأسرة لا تقتصر على الوالدين، بل عندما تكبر وتتفرع يكون فيها الإخوة والأخوات، والأعمام والعمات وغيرهم، ويطلق على هؤلاء جميعاً: أولو الأرحام، أو ذوو الأرحام.. وقد أوصى الله بهم كثيراً فى قرآنه، وتسمى المعاملة الحسنة لهم "صلة الرحم" لأن الرحم معناها هنا القرابة – وجعل الله الإحسان إلى الأقارب تالياً للإحسان إلى الوالدين، فقال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ (النساء: ٣٦) وهناك أحاديث كثيرة تحث على صلة الرحم منها قوله ﷺ: **"من أحب أن يُبْسَط له فى رزقه، ويُنْسَأَ له فى أثره فليصل رحمه"**[١] ومعنى ينسأ له فى أثره: يؤخَّر له فى أجله، أى يطول عمره، فالحديث يَعِدُ الذى يصل رحمه بأمرين محبوبين لكل البشر هما كثرة المال، وطول العمر، وفى حديث آخر أن رجلاً سأل الرسول ﷺ عن عمل يدخله الجنة ويباعده عن النار فقال له: **"تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم"**[٢]، فانظروا منزلة صلة الرحم فى الإسلام إنها فى درجة قريبة من عبادة الله وحده وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

عمر: وكيف يصل الإنسان رحمه؟

الأب. إن صلة الرحم أمر يسير لا تكلف شيئاً، فأنت لك أعمام وعمات وأخوال وخالات وأولاد عم وأولاد خالة فما عليك إلا أن تزورهم بين الحين والحين، تسأل عن أخبارهم، وإن نجح أحدهم فى الامتحان أو تزوج أو رُزق بمولود تذهب وتهنئه، وإن حدثت لأحد منهم حادثة سيئة تذهب إليه لتواسيه، وهكذا تكون دائم السؤال

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

عنهم، فهل يكلفك هذا شيئاً؟

عمر: لكنهم أحياناً لا يؤدون لى الواجب، فأنا أعاملهم بالمثل.

الأب: هذا خطأ.. لقد نبهنا الرسول ﷺ ألا نفعل ذلك فقال: "ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قُطِعَتْ رحمه وصلها" ومعنى الحديث أنه لا يعتبر واصلاً لرحمه ويستحق ثواب الله العظيم لذلك، الذى يكافئ أى الذى يفعل مثل ما فُعِلَ له بأن يزور من زاره، ويقدم هدية لمن قدم له هدية، ولكن الواصل الذى يستحق الثوابَ العظيم هو الذى يزور أقرباءه الذين لا يزورونه، ويقدم هدية فى المناسبات إلى قريبه الذى لا يقدم له هدية فى مناسباته، فمثل هذا العمل يؤدى إلى أن تشيع المحبة بين الأقارب، فيحس المُقاطِع بخطئه فيرجع عنه.

الأم: انظروا يا أولادى إلى قول الله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤) فإذا كان أعداؤنا إذا أحسنا إليهم انقلبوا أصدقاء أعزاء، فما بالكم بالأقرباء.

زينب: المثل يقول: الأقارب كالعقارب.

الأب: أعوذ بالله.. هذا خطأ فاحش يا زينب، هذا المثل يعبر عن روح منافية للإسلام تماماً، ولا يُصَدِّق هذا المثل إلا إنسان يكره الناس جميعاً، ويريد دائماً أن يأخذ ولا يعطى.. إن الإسلام يرفض هذا المثل، ويعتبر صلة الرحم من أعظم القربات إلى الله، وسأذكر لكم حديثاً آخر يؤكد اهتمام الإسلام بصلة الرحم، فالحديث يصور لنا الرحم وكأنها شخص، وهى معلقة بالعرش وعرش الله تعالى - وتقول: **"من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطعه الله"**[1]، وفى حديث آخر يكمل هذا الحديث

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها.

فيذكر أن الرحم تتعلق بالعرش وتخاطب الله سبحانه وتعالى: "هذا مقام العائذ بك من القطيعة" أى أنا أقف هذا الموقف وأنا خائفة أن يقطعنى الأقارب فلا يصل بعضهم بعضاً، فيرد عليها قائلاً: **"أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: لك ذلك"**(١)، فإذا كان الحديث الأول يذكر دعاء الرحم لله أن يحسن إلى من يصلها ويعاقب من قطعها فإن الحديث الآخر يذكر استجابة الله لهذا الدعاء، فقد وعد الرحم أنه سيحقق لها ذلك.

عمر: لكن كيف تستطيع الرحم وهى معنى من المعانى أن تتعلق بالعرش وتتكلم وتدعو؟

الأب: هذه صورة رمزية يبيِّن الرسول ﷺ من خلالها عظم ثواب من يصل رحمه، وعقاب من يقطعها، ولا مانع أن يجسم الله المعانى، ويجعلها فى صورة الإنسان.

ونكتفى الليلة بهذا القدر، وسأحدثكم فى الجلسة المقبلة إن شاء الله عن قيمة أخرى من قيم الإسلام هى رعاية حق الجار، فإلى اللقاء.

الأولاد: إلى اللقاء يا أبى، وشكراً لك ولأمنا.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة.

رعاية حق الجار

بدأ الأب الجلسة محيياً أسرتَه، وأخذ يسأل عن أحوالهم ثم قال:

الأب: لم يكتف الإسلام ببيان حقوق جميع أفراد الأسرة، بل ارتقى إلى مستوى إنسانى آخر بعيد عن القرابة من النسب ولكنه قريب فى المكان، وهو الجار فلابد أن تسود بين الجيران عاطفة محبة ومودة وتراحم، لأن الجار ملازم لنا أكثر من ملازمة الأقارب أحياناً، فهو بجوارنا دائماً نلقاه صباح مساء، بينما قد يكون القريب فى مكان بعيد، ولذلك وجبت رعاية الجار حتى يعم السلام والمحبة المجتمع الإسلامى كله، وقد بلغت عناية الإسلام برعاية حق الجار حدّاً كبيراً يصوره هذا الحديث الشريف: **"مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه"**[(١)]، فالرسول ﷺ يذكر أن جبريل - وهو رسول الله إلى أنبيائه - أكثر من توصيته برعاية الجار حتى ظن الرسول أنه سيجعل له نصيباً من الميراث كأقرب الأقرباء.

وقد دعا القرآن الكريم إلى الإحسان إلى الجار فى قوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (النساء: ٣٦).

وقد قَسمت الآية الكريمة الجيران إلى ثلاث فئات: الجار ذى القربى، أى الجار الذى تربطه بجاره صلة قرابة كالأخ والعم والخال وغيرهم من الأقرباء حينما يكنون

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عائشة رضى الله عنها.

جيراناً فهؤلاء لهم علينا حقان: حق القرابة وحق الجوار، والفئة الثانية الجار الجنب، وهو الجار الغريب الذى لا تربطنا به صلة قرابة، والفئة الثالثة "الصاحب بالجنب" والمراد به الرفيق فى السفر والزميل فى العمل أو المدرسة، فهذان النوعان لهما حق الجوار.

أحمد: ما هو حق الجار يا أبي؟

الأب: لقد سُئل رسول الله ﷺ عن حق الجار فجاء جوابه جامعاً شاملاً يتضمنه هذا الحديث الشريف:

روى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "قلنا يا رسول الله، ما حق الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن احتاج أعطيته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير سرك وهنأته، وإن أصابته مصيبة ساءك وعزيته، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، ولا تَسْتَطِلْ عليه بالبناء لتشرف عليه، وتسد عليه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها، وإلا فأدخلها سرّاً لا يخرج ولدك بشىء منها يغيظون بها ولده، وهل تفقهون ما أقول لكم؟ لن يؤدى حق الجار إلا القليل ممن رحم الله".

فهذا حديث جامع شامل تضمن حقوق الجار، وكلها حقوق لا تكلف الجار شيئاً ولكنها تغرس المودة والمحبة فى قلوب الجيران، وأظن معظم هذه الحقوق مفهوماً وواضحاً، ولكنى سأقف عند بعض المعانى التى تضمنها الحديث وتحتاج إلى توضيح: فمن هذه المعانى أن الرسول ﷺ ينهانا أن نؤذى جيراننا "بقتار قدورنا" والقتار هو رائحة الطعام الشهى المطبوخ وبخاصة اللحم، والقدور هى أوانى الطبخ - أى الحلل - ومعنى هذه العبارة إذن: أنه لا ينبغى لنا أن نجعل روائح الطعام الشهى تصل إلى بيوت الجيران إلا أن يكون فى نيتنا أن نهدى إليهم بعضه، أما إذا كان

الطعام لا يكفى، فلنحاول أن نخفى رائحته حتى لا يتأذوا بها هم وأولادهم، لأنهم محرومون من مثل هذا الطعام.

زينب: لكن جيراننا كلهم يطبخون كل الأطعمة، ونحن نشم رائحتها ولا نبالى.

الأب: لأننا نطبخ مثل طعامهم.. وفى هذه الحالة لا بأس بخروج رائحة الطعام إليهم، أما إذا كانوا فقراء فواجبنا أن نعطيهم بعض طعامنا الشهى أو نخفى رائحته.

ومن المعانى التى تضمنها الحديث أيضاً ألا يترك الرجل أولاده يخرجون بالحلوى يأكلونها أمام أولاد الجار ليغيظوهم إلا إذا كان ينوى أن يهدى إليهم منها، ومن المعانى أيضاً ألا يستطيل عليه بالبنيان ليحجب عنه الهواء إلا بإذنه.. أى لا يعلى منزله فيسد الهواء على الجار إلا بعد استئذانه، فانظروا إلى هذه المعانى التى تعبر عن روح إنسانى نبيل.

وأحب أن أنبهكم إلى أننا أيضاً جيران لجيراننا، وهم مأمورون مثلنا بإحسان معاملتنا، فإذا تحقق منا ومنهم ذلك سادت روح الوئام والمودة بين الناس.

عمر: لكن الجار قد يكون من غير ديننا، فهل نحسن معاملته أيضاً؟

الأب: طبعاً، فالإسلام لا يفرق بين المسلم وغيره فى جميع المعاملات الدنيوية كما سأبين لكم ذلك فى جلسة مقبلة إن شاء الله، وقد فسر بعض المفسرين (الجار الجنب) بأنه الجار الذمى أى غير المسلم.

لقد حذر الإسلام أشد تحذير من إساءة معاملة الجار، واعتبر الذى يسىء معاملة جاره ليس مؤمناً، فقد قال ﷺ: **"والله لا يؤمن (وكررها ثلاثاً) فقيل: من**

يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقَه"[١] ، والبوائق هى الأمور المؤذية من قول أو عمل، وانظروا إلى تكرار رسول الله ﷺ وذلك ليؤكد بُعْدَ هذا الرجل عن الإيمان وهو الذى يؤذى دائماً جاره، ويظل جاره فى خوف وقلق من توقع إيذائه له، كذلك كرر الرسول ﷺ عبارة "والله لا يؤمن" فى حديث آخر، ولما سئل عن المقصود بذلك قال: من بات شبعان وجاره جائع، فليس المطلوب من المسلم ليكمل إيمانه أن يكف أذاه عن جاره فقط، بل ذكر لنا صورة من صور الضائقة المالية التى تمر بالجار وهى أنه لا يجد طعاماً فيبيت جائعاً، لكن صور الضيق المالى كثيرة وعلى الجار أن يحاول المساعدة بقدر ما يستطيع، وهذا ما يعبر عنه بالتكافل الاجتماعى.

زينب: ما معنى التكافل الاجتماعى يا أبي؟

الأب: التكافل الاجتماعى هو أن يشعر المسلمون كأنهم أسرة واحدة كل واحد منهم مسؤول عن مساعدة الآخر ومواساته كما سأبين لكم الآن.

❊ ❊ ❊

حقوق المسلمين بعضهم على بعض

الأب: الإسلام لم يقتصر على الاهتمام برعاية حق أفراد الأسرة كل منهم للآخر، أو رعاية حق الجار لجاره، بل امتد اهتمامه إلى رعاية كل مسلم لحق أخيه المسلم، فالإسلام يعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، بل كياناً واحداً مثل البنيان الذى يقوى بعضه بعضاً، ومثل الجسد الذى يتألم كل عضو فيه لألم أحد أعضائه، فقال ﷺ: **"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"**[١]، وقال: **"مثل المسلمين فى توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"**[٢]، فكما أن الجسد يتألم كله إذا أصيب عضو من أعضائه كذلك ينبغى أن يكون المسلمون إذا أصيب أفراد منهم بمصيبة فيبذلون جهدهم لمساعدتهم.. وهذا أمر طبيعى لأن الإسلام جمع بين المسلمين وألف بين قلوبهم وأصبح رابطة لا تقل عن رابطة القرابة، ولذلك اعتبرهم القرآن الكريم إخوة فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٠) وكذلك اعتبرهم النبى ﷺ إخوة، وإن رابطة الأخوة تقضى بأن يحب المسلم لأخيه مثل ما يحبه لنفسه وإلا لن يكمل إيمانه قال ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**[٣]، وهذا الحديث يلخص العلاقة التى ينبغى أن تسود بين المسلمين فى هذه العبارة البليغة "يحب لأخيه

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.
(٢) رواه الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٣) رواه الشيخان بسنديهما عن أنس رضي الله عنه.

ما يحسب لنفسه" المسلم يحب لنفسه الأمن والطمأنينة، فليحاول أن يوفر هذا لمن يعرف من المسلمين. المسلم يحب أن يأخذ حقه كاملاً فعليه ألا يظلم مسلماً حقه، المسلم يحب أن يتحقق أهدافه فى العمل وغيره، فليتأكد ألا يكون ذلك على حساب غيره، وألا يكون هو عقبة فى تحقيق أهداف الآخرين، وهكذا.

وهناك حديث جامع يبين حقوق كل مسلم على أخيه المسلم، يقول ﷺ: "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلِمُه.. من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كُربِ يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**"[1]، فهذا الحديث يقرر أولًا أن المسلم أخٌ للمسلم ويترتب على هذه الأخوة عدة حقوق: أولاً: لا يظلمه أى حق من حقوقه لديه. ثانياً: أن يحميَه من عدوان الظالمين إذا استطاع ذلك، وهذا معنى "لا يسلمه" ثالثاً: عليه أن يساعده فى قضاء حوائجه، وحل مشكلاته، وقد وعد الرسول ﷺ من يفعل ذلك بأن الله سيساعده فى قضاء حوائجه. رابعاً: إذا كان المسلم فى ضائقة شديدة، فعلى أخيه المسلم أن يساعده فى تفريج هذه الضائقة، وله بذلك أن يزيل الله عنه ضائقة شديدة من ضوائق يوم القيامة التى يتعرض لها الإنسان.

عمر: مثل ماذا يا أبي؟

الأب: الأمثلة كثيرة.. وأكتفى بمثَل واحد: مدين اضطرته الظروف للاقتراض وكتب شيكاً بذلك دون أن يكون له رصيد فى المصرف، وأصبح عرضة للسجن وعرفت حاله وأنه محتاج حقّاً وليس محتالاً، وكان فى إمكانك أن تقرضه وأن تزيل عنه أزمته فعليك أن تفعل.

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أحمد: لكن بعض الناس يحاول أن يأخذ أموال الناس وينوى ألا يردها ويتوسل إلى ذلك بالاقتراض، وكتابة الشيكات.

الأب: هذا مجرد مثل، وعلى المسلم أن يكون فطناً فيعرف من يستحق ومن لا يستحق.

خامساً: إذا وجد المسلم أخاه المسلم فى موقف شائن فعليه أن يستره، ولا يشنع عليه، وفى مقابل ذلك يستره الله يوم القيامة، لأن الله يعلم الضعف البشرى الذى قد يغرى الإنسان بارتكاب أمر فاحش فيطلع عليه إنسان آخر.. واجب هذا الآخر أن يكتم ما رأه فلا يشيعه بين الناس.

أحمد: لكن هذا يشجع المجرم على الاستمرار فى جرائمه.

الأب: بالعكس.. إن الإنسان إذا افتضح بين الناس بارتكاب فاحشة صار لا يبالى إعلان ذلك مرة أخرى، فيستمر فى ارتكابها، على أن واجب المسلم الذى رأى أخاه فى هذا الموقف أن يتأكد أن هذا الفعل لا يضر بالآخرين، فأما إذا كان يضر بأحد – كأن يسرق مال شخص آخر – فعلى الذى رآه أن يخبر صاحب المال بذلك، وفى جميع الأحوال على المسلم أن ينصح الذى رآه يرتكب الخطيئة ألا يكررها ثانية وإلا فإنه يفضحه بين الناس.

الأم: أنا لى فهم فى هذا الحديث بالإضافة إلى ما ذكر وهو أن من ضمن المراد بالستر فى هذا الحديث هو أن على المسلم أن يحمى أخاه المسلم من الافتضاح بأن يساعده فى مشكلته التى إذا ترك وحده أمامها فقد يفتضح أمام الناس، كمن تعرض لموقف لا يستطيع فيه تجهيز ابنته العروس فيقدم له مسلم آخر ما يساعده على تجهيزها.

الأب: جميل.. هذا فعلاً من ضمن ستر المسلم إلى جانب المثل الذى ذكرته.

ولم يكتف الإسلام بالوصية بمثل هذه الأمور الخطيرة، بل أوصى ببعض

المجاملات التى إذا شاعت بين المسلمين غرست بينهم المحبة والمودة، فقال ﷺ: **"حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"**(١)، فانظروا إلى هذه المجاملات التى لا تكلف شيئاً، ولكن تشيع الحب والتعاطف بين الناس، لقد اعتبرها الإسلام حقاً للمسلم على المسلم، أولها: رد السلام، فإذا حياك أحد بتحية يجب عليك ردها، لانك لو لم تردها يشعر من سلم عليك بأنك تحتقره فيكرهك، وقد دعا القرآن الكريم إلى ذلك أيضاً فقال: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ (النساء: ٨٦) فزاد القرآن على الحديث درجة، فقد أمر برد التحية بأحسن منها، فإذا قال لك قائل: السلام عليك، فليكن ردك: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" وأقل شيء أن ترد عليه مثلما قال.

عمر: أحياناً أقول لبعض الناس: السلام عليكم فيرد قائلا: "سلام" فقط.

الأب: هذا أمر لا يحبه الإسلام، إنه لا يعلم أنه كلما زاد فى الرد زاد أجره.

الحق الثانى: عيادة المريض: أى زيارته لكى يشعر بأن قلوب إخوانه معه، فترتفع روحه المعنوية، وتخف آلامه.

الحق الثالث: اتباع الجنائز، أى إذا مات مسلم فحقه على المسلمين أن يسيروا وراء جنازته، حتى يؤدوا له آخر حق عليهم، وذلك - لا شك - سيرضى أقرباءه الأحياء، فيعرفون ذلك لمن شاركهم فى مصابهم.

الحق الرابع: إجابة الدعوة، أى إذا دعاك أخوك المسلم إلى وليمة يقيمها لمناسبة أو حتى - لغير مناسبة - أو دعاك إلى حفل عرس أو خطبة أو غير ذلك فعليك أن

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه .

تجيب دعوته، وذلك يسره، لأنه يشعر باحترامك له.

أحمد: بعض الناس يتخذون فى هذه الحفلات ألواناً من الغناء والرقص تخرج عن حدود الدين والفضيلة، فهل على أن أحضر هذه الحفلة إذا دعوني؟

الأب: لا ولكن اعتذر اعتذاراً رقيقاً عن عدم استطاعتك الحضور، وإذا أمكنك أن تذكر لهم سر اعتذارك بطريقة مهذبة فافعل، لعل هذا يبصرهم بخطئهم وفى جميع الأحوال هنئهم بهذه المناسبة.

الحق الخامس: تشميت العاطس، ماذا تقولين يا زينب إذا عطست؟

زينب: أقول الحمد لله.

الأب: وإذا سمعت أحداً يعطس ويقول: الحمد لله، فماذا تقولين له؟

زينب: أقول له: يرحمك الله.

الأب: حسن يا زينب.. إذن تشميث العاطس أن تقولى لى: يرحمك الله.

الأب: وماذا يقول لك؟

زينب: يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

الأب: انظروا يا أولادى كيف يدعو الإسلام المسلمين إلى مجاملة بعضهم بعضاً فلو حرصنا على هذه المجاملات لشاع الحب فى مجتمعنا.

أحمد: لقد قرأت حديثاً يقول: "**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**"[١]، فهذه دعوة إلى أن يحترم المسلمون بعضهم بعضاً.

الأب: نعم، وانظروا إلى التعبير النبوى "بحسب امرئ من الشر" أى يكفيه من

---

(١) رواه مسلم بسنده عن أنس رضي الله عنه.

الشر أن يفعل ذلك، أي أنه لو لم يفعل شرّاً غير هذا لكفاه.

الأم: وهناك حديث آخر جميل يقول: **"لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث يتقابلان، فيعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"**[1]، فلا يجوز يا أولادي لأي مسلم أن يخاصم مسلماً، ويمتنع عن كلامه وتحيته أكثر من ثلاثة أيام، وخير الاثنين هو الذى يبدأ صاحبه بالتحية.

الأب: الحقيقة هناك أحاديث كثيرة تدعو المسلمين إلى التراحم والتعاطف ولكننا نكتفى بهذا القدر، وشكراً لكم، وإلى جلسة مقبلة إن شاء الله.

الأولاد: شكراً لك يا أبى، شكراً لك يا أمى.

* * *

---

(١) رواه البخارى عن أبى أيوب الأنصارى.

المسئولية الاجتماعية

وعندما بدأت الجلسة التالية قال الأب:

الأب: من قيم الإسلام العظيمة التى تتصل بحديثنا السابق عن حقوق المسلم على أخيه المسلم المسؤولية الاجتماعية لكل فرد من أفراد المجتمع، فالإسلام يعتبر المسلمين جميعاً كياناً واحداً، وقد عبر الرسول الكريم عن ذلك فى الحديثين اللذين ذكرتهما لكم، عندما وصف المسلم فى مساندة أخيه المسلم بالبنيان مرة وبالجسد الواحد مرة أخرى.

الأم: مع الأسف لم يعد المسلمون كذلك اليوم، فبلادهم تعيث بها الأعداء من كل جانب، يقتلون ويدمرون، والمسلمون فى البلاد الأخرى لا يحركون ساكناً.

الأب: المسلمون أصبحوا ضعافاً اليوم، وأعداؤهم أقوياء ماكرون.

أحمد: كيف؟ وعددهم قد تجاوز المليار أى أكثر من سُدس سكان العالم.

الأب: كثرة لا قيمة لها، بل غثاء كغثاء السيل.

زينب: ما معنى غثاء السيل؟

الأب: غثاء السيل: الأشياء التافهة التى يجرفها السيل من مخلفات الطرقات فهى كثيرة ولكن لا قيمة لها، وقد تنبأ الرسول ﷺ بما سيصيب المسلمين اليوم، تأملوا هذا الحديث الشريف: "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها". فقال أصحابه: أمن قلة يا رسول الله؟ (أى يحدث ذلك بسبب قلة عددنا)

فيجيب الرسول ﷺ "بل كثير ولكن غثاء كغثاء السيل" انظروا إلى الصورة المعبرة فى أول الحديث، التى تصف حالنا اليوم، فالأمم تنقض علينا لتنهب ثرواتنا كما يدعو الآكلون بعضهم بعضاً إلى قصعة الطعام، والقصعة هى الوعاء الكبير يوضع فيه طعام الجماعة، فما أشبهنا بهذه القصعة اليوم.. لقد تحققت فينا هذه النبوءة الصادقة، وأحاطت بنا الذئاب والكلاب من أعدائنا تنهش لحمنا، ولا نجد من يدفع عنا، لأننا تفرقنا واختلفنا، وأصبح بعضنا أعداءً لبعض، ولذلك لم تنفعنا كثرتنا، فوقفنا عاجزين أمام خمسة ملايين يهودى استباحوا دماءنا وأعراضنا وأموالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والآن نعود إلى موضوعنا الذى أبعدتنا أمكم عنه، وكان لها كل الحق فى ذلك.

الأم: لقد غاظنى كثيراً واقعنا المزرى الذى نعيشه بينما كل وسائل القوة فى أيدينا.

الأب: نعم.. ومن أهم وسائل القوة الاتحاد والتعاون اللذان تحدث عنهما الحديثان السابقان: المسلم للمسلم كالبنيان، والمسلم كالجسد الواحد.. وقد امتن الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن هداهم إلى الإسلام الذى ألف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداء، وكما صورهم القرآن الكريم كانوا على شفا حفرة من نار فأنقذهم الله منها، وتأملوا قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (آل عمران: ١٠٣) وما أروع التعبير القرآنى عندما صور الإسلام بحبل الله، فهو كالحبل الذى يربط الأشياء المتفرقة ويجمع بينها.!!

أحمد: لكن كيف نستطيع أن نحقق هذا الهدف العظيم؟

الأب: لو استطعنا أولاً تحقيق الروابط والعلاقات التى تحدثنا عنها فى الجلسات

السابقة، والتزمنا بالحرص عليها كما أمر الإسلام، وثانياً لو شعر كل مسلم بمسؤوليته عن الإسلام والمسلمين فى نفسه وفيمن حوله.

أحمد: كيف يتحقق ذلك؟

الأب: يتحقق بشعور الفرد بالمسؤولية الملقاة على عاتقه فى الموقع الذي وضعه الله فيه، كما فصل الحديث الشريف فى قوله ﷺ **"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام (أى الحاكم) راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته"**(١)، والحديث الشريف - كما ترون - وضع فى عنق كل إنسان مسلم مسئولية أَهَّلَهُ لها موقِعُه فى المجتمع، فالحاكم العام، والحكام الذين يوليهم من وزراء ومسئولين عليهم أن يراعوا الله فى أعمالهم، ويحسنوا أداء العمل الذى اختيروا من أجله بكل أمانة وإخلاص، والرجل مسئول عن أسرته من زوجة وأولاد من حيث الإنفاق والتربية السليمة، وإشاعة الحب والمودة فى نطاق الأسرة، والمرأة راعية فى بيت زوجها فتحرص على ماله فلا تنفقه إلا فى وجهه الصحيح، وتشرف على سلوك أولادها، وتكون قدوة طيبة لهم، وتعينهم على استذكار دروسهم، والخادم أو الأجيرة الذى استأجره آخر لأداء عمل معين، أو شراء شيء معين يكون أميناً فى عمله وفى ماله فلا يغش ولا يخون، ثم يختم الرسول ﷺ الحديث بما بدأه به "وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" لتشمل المسئولية جميع أفراد المجتمع الإسلامى كله.

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويواصل الأب حديثه قائلاً:

من دعائم المسئولية الاجتماعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهما اللذان يحافظان على تماسك المجتمع ويؤكدان قيمه الأصلية، ويحاربان القيم السافلة الوافدة من مجتمعات منحلة وهما اللذان يكوِّنان الرأى العام فى المجتمع الإسلامى، فالمسلم ليس مسئولاً عن نفسه فقط، بل هو مسئول عن المجتمع كله، فعليه أن يراقب ما يجرى فى المجتمع، فإذا رأى تهاوناً فى عمل الخير حث الناس على فعله، وبيَّن لهم الواجب عليهم نحوه وهذا هو الأمر بالمعروف، وإذا رأى أمراً قبيحاً نهى فاعله عن فعله برفق، وهذا هو النهى عن المنكر.

أحمد: لكن يا أبى قد لا يستطيع الإنسان تغيير المنكر، وقد يعجز عن حمل الناس على فعل الخير.

الأب: إذا أمر المسلم بفعل الخير ونهى عن المنكر فقد أدى واجبه وأبرأ ذمته.

عمر: لكنه قد يتعرض للأذى إذا حاول منع منكر، وحضرتك تقرأ وتسمع عن البلطجة والبلطجية، وحملة المطاوى والسكاكين.

الأب: لم يحدث هذا إلا بسبب تهاون المجتمع وتساهله فى أول الأمر، على أن الرسول ﷺ جعل النهى عن المنكر درجات، فقال: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**"[(١)]، فليس المسلم مطالباً فى كل حالة بإزالة المنكر، بل على حسب قدرته، وهناك شرط هام لابد

(١) رواه مسلم بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه .

من التأكد منه قبل محاولة إزالة المنكر، وهو ألا يحدث ضرر نتيجة هذه المحاولة أكبر من الضرر الحاديث بوجود المنكر، فإذا عرفت أن تعرضك لإزالة المنكر سيؤدى إلى أذى يلحق بك، أو بغيرك أو سيسبب فتنة، فعليك ألا تتعرض لإزالة المنكر باليد، وعموماً إزالة المنكر باليد يجب أن يترك الحاكم بالنسبة لأفراد المجتمع، وللأب وللأم فى نطاق الأسرة، وبذلك يصبح على المسلم النهى عن المنكر باللسان، وهذا له شروط أيضاً.

الشرط الأول: مثل الشرط السابق هو أن يتأكد المتكلم أنه لن يلحقه ضرر نتيجة كلامه، وشرط آخر: وهو شرط مهم جدّاً وهو أن يكون النهى عن المنكر بكلام رقيق مهذب، وموعظة حسنة، ودون استفزاز للذين يفعلون المنكر.

الأم: لقد أمر الله تعالى سيدنا موسى وأخاه هارون عندما أرسلهما إلى فرعون أن يقولا له قولا ليناً لعله يتأثر به، فيرجع عن فساده، فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤).

الأب: فما بالكم بمسلم يوجه أخاه المسلم؟ الدرجة الثالثة لإزالة المنكر هى الإنكار بالقلب، وهذه يلجأ إليها المسلم حينما يتيقن أن كلامه لن يفيد بل سيعرضه لأذى، وهذه الدرجة هى أضعف الإيمان، يعنى أن المسلم عندما يرى المنكر يحس بضيق فى نفسه، وتقزز من الذين يفعلونه، وهذا يؤدى إلى أنه لا يجالس هؤلاء الناس فى هذه الحالة، وأما إذا جالسهم ولم يظهر استياءه منهم فقد أصبح شريكاً لهم.

أحمد: يعنى يا أبى لو نفذنا هذه الأمور التى تحدثت حضرتك عنها تصبح لنا القوة وننتصر على أعدائنا.

الأب: تقصد كل التوجيهات التى تناولناها فى جميع جلساتنا السابقة؟ .. نعم لو

نفذناها بإخلاص وإيمان نكون قد حققنا أهم وسائل النصر على أعدائنا، ولكى يبقى أمر هام، وهو تحقيق القوة المادية التى دعا إليها القرآن فى قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

فعلينا أن نتسلح بكل أسباب القوة التى يتيحها عصرنا، وقد عبرت الآية عن ذلك بهذه العبارة ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ وأما ذكر رباط الخيل فى الآية فلأنه كان فى عصر نزول القرآن، وبعده بمئات السنين أهم مظهر من مظاهر القوة، ولكن الآن تطورت الأسلحة إلى ما تعرفون من أسلحة ثقيلة وأسلحة نووية وأسلحة الدمار الشامل.. إلخ لكن حديث القوة المادية ليس موضوعنا الآن.

ونكتفى الليلة بهذا القدر، وإلى اللقاء فى جلستنا المقبلة إن شاء الله.

* * *

التسامح مع ذوي الأديان الأخرى

وفى بداية الجلسة قال الأب:

الأب: لم يقتصر الإسلام على بيان حق المسلم على المسلم، بل دعا إلى حُسن معاملة ذوى الأديان الأخرى الذين يعيشون معنا فى وطن واحد ما داموا لم يحاولوا الإساءة إلينا، ومناصرة أعدائنا علينا، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨) ونتوقف قليلاً لنتفهم معنى هذه الآية، فالله يقول للمسلمين: إنه لا يحرم عليهم حُسن معاملة غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، بل يدعو المسلمين إلى فعل الخير معهم، والإقساط – أى العدل – فى معاملتهم، ويؤكد ذلك بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ أى العادلين – ولكن بشرط أن يكونوا مسالمين للمسلمين لا يتجسسون عليهم أو يناصرون أعداءهم، أو يحاربونهم ويحاولون طردهم من أماكنهم، أما إذا كانوا أعداء لنا، وحاولوا حربنا فقد نهانا الله عن التعامل معهم، وحذر المسلمين من موالاتهم، وبين أن الذين يواليهم من المسلمين ظالم لنفسه، ويستحق عقاب الظالم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة: ٩).

وبناء على الآية الأولى اتخذ فقهاء المسلمين قاعدة شرعية تقول: "لهم ما لنا

وعليهم ما علينا" أى لهم مثل ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات.. أظن أن أوضح مثالين يوضحان الآيتين: النصارى المقيمون بيننا، واليهود المغتصبون لفلسطين، فالنصارى هم الذين حثت الآية الأولى على حُسن معاملتهم وبرهم، وذلك لأنهم مواطنون مثلنا تماماً فى الحقوق والواجبات، فهم لم يسيئوا إلى ديننا، ولم يحاولوا إيذاءنا، وأما الآية الثانية فتنطبق على اليهود المغتصبين فهم يقاتلوننا، وأخرجوا الفلسطينيين من ديارهم، واغتصبوا حقهم، فهؤلاء هم أعداؤنا الذين يجب قتالهم، وعدم التعامل معهم أو برهم، إلا إذا كان بيننا وبينهم عهد فحينئذ يجب علينا احترام هذا العهد مادام اليهود يحترمونه، فإذا أخلوا به فليس لهم عندنا إلا الحرب بكل وسيلة ممكنه، لأن الإسلام يحترم العهود والمواثيق.

أمر آخر - ينبغى أن أنبه إليه - وهو أن هناك فرقاً بين اليهودى كصاحب دين، والصهيونى الذى يدعى أن له حقوقاً فى بلادنا، ويريد اغتصابها، فلو وجد يهودى بيننا لم يحاول إيذاءنا أو الإساءة إلينا، فعلينا أن نُحسن معاملته كما نعامل غيره من النصارى، وقد سمى الإسلام اليهود والنصارى المقيمين بيننا (الذميين) وليست هذه التسمية ذمّاً لهم كما يظن بعض الجهلاء من المسلمين أو النصارى، بل بالعكس هى تسمية تدعو إلى احترامهم، وحُسن معاملتهم، لأن الذمة معناها العهد، وأهل الذمة أو الذميون هم الذين يربطنا بهم عهود الصداقة والمودة.

أحمد: لكننا نقرأ فى القرآن الكريم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

الأب: يجب أن نفهم الآيات القرآنية فى سياقها الذى جاءت فيه، فهذه الآية

جاءت فى سياق الحديث عن معاندة اليهود والنصارى للرسول ﷺ وتدبير المؤامرات ضد دينه، ففى هذه الحالة هم أعداء لا ينبغى أن نتخذهم أصدقاء وأولياء، وقد فسرت آية أخرى جاءت بعد بضع آيات من هذه الآية السبب فى عدم اتخاذهم أولياء وهو أنهم يتخذون دين المسلمين هزواً ولعباً، وكذلك كانوا يسخرون من دينهم، ومن صلاتهم عندما يؤذن المؤذن لها، فهم أعداء يجاهرون بالعداوة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ (المائدة: ٥٧، ٥٨).

ولكن إذا كانوا مسالمين لنا لا يتدخلون فى شؤون ديننا فهؤلاء لا بأس من اتخاذهم أولياء، ولذلك نجد الله فى سياق آخر فى نفس السورة يتحدث عن النصارى فيقول: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (المائدة: ٨٢).

الأم: وقد كان حُكام المسلمين فى كثير من العصور فى أثناء حكمهم الزاهر يستخدمون اليهود والنصارى فى أعمالهم وخصوصاً فى أعمالهم المالية، وهي أعمال حساسة، لا يتولاها إلا الموثوق به، وكان منهم أطباء ومترجمون للخلفاء. واليهود الذين كانوا منبوذين فى جميع أنحاء العالم لم يجدوا لهم ملاذاً آمناً إلا فى بلاد المسلمين، وخير دليل على ذلك الجالية اليهودية فى الأندلس التى عاشت فى أمن وسلام إبان حكم المسلمين، فلمّا استولى الأسبان على الأندلس نكلوا بهم أشد تنكيل.

الأب: لقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بحسن معاملة الذميين، فقال عليه السلام: "استوصوا بالقبط خيراً" وتوعد من يسيء إلى الذميين من المسلمين أشد وعيدا فقال ﷺ: **"من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة"**[١]، وقد أمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ٦).

---

(١) رواه الخطيب البغدادي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الرفق بالحيوان

الأب: يبقى علينا فى حديثنا عن بعض القيم الإسلامية أن نتاول قيمة هامة يظن بعض الجاهلين أنها من مكتسبات العصر الحديث، بينما الإسلام منذ أربعة عشر قرناً حث المسلمين عليها، وهى الرفق بالحيوان.

الرفق بالحيوان قيمة ينبغى أن يلتزم بها المسلمون، فهذا الحيوان الضعيف الذى لا يملك من أمر نفسه شيئاً نحن مسؤولون منه مسؤولية كاملة، ومحاسبون على تعاملنا معه، فنكافأ على إحساننا إليه، ونعاقب على إساءتنا إليه، وسأذكر لكم مثلين يوضحان ما أقول:

قال رسول الله ﷺ: **"عُذِّبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض"**[1]، فهذا الحديث يبين أن الله عذب امرأة فأدخلها النار بسبب قطة حبستها، ومنعت عنها الطعام والشراب حتى ماتت، ويعيب الرسول ﷺ على هذه المرأة أنها عندما حبست القطة لم تقدم لها الطعام والشراب فى محبسها بل تركتها تموت فى محبسها جوعاً وعطشاً.

زينب: ما معنى (خشاش الأرض)؟

الأب: الحشرات مثل الصراصير وغيرها.

المثل الثانى يتضح فى حديث شريف يقول ﷺ: **"مر رجل ببئر وكان شديد**

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن عمر رضي الله عنهما .

العطش فنزل فشرب وبعد قليل رأى كلباً يلهث (أى يتنفس تنفساً سريعاً عالياً) ويخرج لسانه، فقال الرجل: لعل بالكلب مثل ما بى من العطش، فنزع خفه من رجله، ودلاه إلى البئر فملأه ماء فسقى منه الكلب فشكر الله فأدخله الجنة"، تأملوا هذا التعبير الجميل الموحى فشكر الله له: الله يشكر الإنسان - وعلى أى شيء يشكره؟ على أنه سقى الكلب العطشان.

ومر عبدالله بن عمر بن الخطاب - وهو صحابى جليل - بمجموعة من الشباب، وقد أخذوا طائراً، ووضعوه فى مكان، وجعلوه هدفاً يتدربون عليه فى الرمى - وهو ما نسميه بالنشان - فغضب عبدالله وأمر الشباب أن يكفوا عن هذا. وقال: من فعل هذا؟ إن رسول الله ﷺ "لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً"[١] - أى هدفاً - يصوب إليه.. وكذلك مر على رسول الله ﷺ حمار موسوم فى وجهه - أى كوى فى وجهه ووضعت عليه علامة ليتعرف بها - فقال ﷺ: "لعن الله من وسمه"[٢]، فالرسول يستقبح أن يكوى الحمار فى وجهه فيشوه منظره.

الأم: وتأتى فى آخر الزمان ممثلة فرنسية تحاول لفت الأنظار إليها بعدما غابت الأضواء عنها وشاخت، وأخذت تتظاهر بالاهتمام بالحيوان وتكثر من الكلاب والقطط عندها، هذه المرأة لم تجد شيئاً تعيب به الإسلام إلا ذبح الأضاحي في عيد الأضحى، فهي تريد منهم أن يصعقوها بالكهرباء حتى لا يتألم الحيوان، وقد حرم الله هذا.

الأب: يا سلام! والمذابح البشرية التى يقوم بها قومها الغربيون، أو على الأقل

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم بسنده عن هشام بن حكيم رضي الله عنه.

يسكتون عندما تحدث من عدو همجى لقوم مسالمين، أفلا تستحق هذه المذابح لفتة كريمة من سعادتها لتعيبها، ولكنه العداء للإسلام بسبب الجهل والتعصب على أن هذا الأمر لم يغب عن الرسول ﷺ أى الرفق بالحيوان عند الذبح، فقد قال: **"إن الله كتب الإحسان فى كل شىء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرحْ ذبيحته"**[(١)].

وإلى هنا يا أولادى أكون قد أوضحت لكم بعض القيم التى اهتم بها الإسلام، وبذلك يمكننا أن نقول: إننا وضعنا السقف فوق الأركان الخمسة، كما ركبنا الأبواب والنوافذ، وبقى أن نكمل البناء بتركيب بلاط الأرضية، ودهان المبنى كله وتلميعه، وذلك يكون ببيان أهم الأخلاق التى أمر بها الإسلام أو نهى عنها، فإلى الجلسة المقبلة.

الأولاد: شكراً يا أبانا، شكراً يا أُمنا، وجزاكما الله عنا خيراً.

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه



أخلاقنــا

- أهمية الأخلاق.
- الأخلاق الفاضلة التى أمرنا بها الإسلام.
- رذائل نهَى عنها الإسلام.
- بعض الآداب الاجتماعية.



أهمية الأخلاق

وعندما أقبل الأب سارعت زينب قبل أن يجلس لتقول:

زينب: هيا يا أبى ندهن البيت ونلمِّعه.

الأب (ضاحكاً) السلام عليكم يا أولاد.. أظن أنى لم أكن دقيقاً حينها قلت: إن الأخلاق فى بناء الإسلام بمنزلة الدهان والتلميع. الحقيقة أن الأخلاق جزءٌ أساسى فى بناء الإسلام، لأنها تعتبر التطبيق العملى لمبادئ الإسلام، فلا خير فى دين لم يلتزم أهله بالأخلاق الفاضلة، فهل يقوم صرح الدين على الكذب أوالغش أو النفاق إلى غير ذلك من الأخلاق الذميمة.

إن هذه الرذائل وأمثالها تهدم صرح أي دين، لذلك اعتبر رسولنا ﷺ أن رسالته جاءت لإتمام مكارم الأخلاق، فقال: **"إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"**[(١)]، وعندما أراد الله مدحه بالخلق العظيم، فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

زينب: لكن ما هى الأخلاق؟

الأب: الأخلاق هى الصفات الملازمة للإنسان، والتى يكتسبها من بيئته وتعلمه واحتكاكه بالآخرين، وقد تكون الأخلاق فاضلة، وقد تكون سيئة، ولكننا نقصد هنا الأخلاق الفاضلة التى أمرنا بها الإسلام، ولا بأس أن نتحدث عن ضدها لنبين شرها ونتجنبها، والآن أسألكم ما هى الأخلاق الفاضلة فى رأيكم؟

---

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه.

أحمد: الأمانة والعدل والصدق.

عمر: والصبر والشجاعة والحلم.

الأب: أحسنتما، ونضيف أيضاً العفو والإيثار والوفاء بالعهد والعفة.

الأمانة

الأب: ماذا تعرفين عن الأمانة يا زينب؟

زينب: الأمانة أن أكون أمينة، فإذا أعطانى أحد مبلغاً من المال لأحفظه له ثم طلبه منى أعطيه له ولا أنكره.

الأب: جميل.. هذا معنى من معانى الأمانة، فهل هناك معنى آخر؟

أحمد: من أهم معانى الأمانة فى رأيي أن يؤدى الإنسان واجبه الذى كُلف به بإخلاص ودقة، فالموظف الأمين هو الذى لا يتكاسل فى أداء الواجب ولا يقصر فيه.

الأب: هذا صحيح، فالأمانة تشمل أداء كل التكاليف التى يكلَّف بها الإنسان وعلى رأسها التكاليف الدينية التى يكلفه بها الإسلام، فالصلاة أمانة، والصوم أمانة، والعبادات جميعها أمانة، فإذا أحسن الإنسان أداء عباداته فقد أدى الأمانة لله، والحُكم أمانة، فالملك أو الرئيس إذا تولى سلطانه فقد تحمل أمانة عليه أن يقوم بها هى الحرص على مصالح الشعب، وبذل كل جهد فى سبيل راحته، وكذلك الموظف سواء أكان وزيراً أم موظفاً صغيراً يحمل أمانة هى إتقان العمل المكلف به، وعدم التهاون فى أى جزئية من جزئياته، فإذا لم يؤد الإنسان الأمانة التى كلف بها، فبم نسميه؟

عمر: نسميه خائناً.

الأب: إذن الخيانة ضد الأمانة، وكل صفة فاضلة تسمى: فضيلة، وكل صفة

سيئة تسمى رذيلة، وقد حرص الإسلام على أن تشيع الأمانة بين المسلمين، فأمرهم بأدائها، نجد ذلك فى القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨)، ونهاهم عن الخيانة وذم الخائنين فى كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٧)، كما بين أنه لن يحقق للخائنين أغراضهم فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ (يوسف: ٥٢) وحذر الرسول ﷺ من الدفاع عن الخائنين أو تبرير أفعالهم فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥) ولهذا قصة سأقصها عليكم فى إيجاز، فقد سرق أحد الأنصار - والأنصار هم المسلمون من أهل المدينة الذين هاجر إليهم الرسول ﷺ وأصحابه كما تعرفون - سرق درعاً فلما خاف أن يكتشف أمره ألقاه فى بيت جاره اليهودى، فأُخِذَ اليهودى ليحاكم على جريمته وكادت التهمة تثبت عليه لولا أن أظهر الله براءته، وأرشد رسوله إلى وجه الحق فى هذه القضية وحذره كما قلت لكم من الدفاع عن الخائنين، وهنا ملاحظة سريعة ينبغى أن نستوعبها وهى أن الإسلام لا يحابى أتباعه وإنما هدفه دائماً هو إحقاق الحق.

وقد اعتبر رسول الله ﷺ خيانة الأمانة ربع نفاق، فقال ﷺ: **"أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"**[1]، فانظروا لقد جعل أول ركيزة من ركائز النفاق خيانة الأمانة.

زينب: ما معنى النفاق يا أبي؟

الأب: النفاق هو إظهار الإنسان الإسلام أمام الناس، فيصلى أمامهم ويتظاهر

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

بالصيام ولكنه فى داخله كافر لا يؤمن بالله، والمنافق شر من الكافر، لأن الكافر يعلن كفره، فيعمل المسلمون حسابه، وأما المنافق فهو يخفى كفره أمام المسلمين، وبذلك يطلع على أسرارهم، ويسعى فى شرهم، ولذلك توعده الله بأشد أنواع العذاب، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥).

ونكتفى الآن بما قلناه عن الأمانة ونتقل إلى خُلُق يساويها فى الأهمية وهو:

العدل

والعدل هو الفضيلة التى يزدهر المجتمع إذا انتشرت فيه، وينهار إذا تخلى عنها المجتمع، وقد أمر القرآن الكريم المسلمين أن يحكموا بالعدل فقال: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء: ٥٨).

زينب: نعم، هذه الآية أشاهدها فى التليفزيون، وهى معلقة فوق رءوس القضاة فى المحاكم.

الأب: نعم، لكى يتذكر القضاة دائماً أن من واجبهم هو الحكم بالعدل، كذلك قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل: ٩٠).

عمر: وهذه الآية أيضاً يقولها الخطيب بعد الانتهاء من خطبة الجمعة.

الأب: نعم، وهو تقليد حميد، يا ليت المسلمين يطبقونه فى جميع شؤونهم، وفى آية ثالثة يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء: ١٣٥) والقسط معناه العدل، وهذه الآيات تحث المسلمين على العدل فى أدائهم الشهادة حتى لو كانت الشهادة ستضرهم أو تضر آباءهم وأقرباءهم، بل يأمر الله المسلمين فى آية رابعة أن يعدلوا حتى بين أعدائهم، وألا يجعلوا كراهيتهم لقوم سبباً فى عدم العدل معهم، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨) [١] [٢].

ومعنى الآية أن الله ينهى المسلمين عن أن يجعلوا كراهيتهم لقوم من الأقوام سبباً لظلمهم وعدم العدل معهم، ويأمرهم أن يعدلوا فى جميع الأحوال، لأن العدل يقرب الإنسان من تقوى الله، والرسول ﷺ يجعل الحاكم العادل على رأس سبعة يشملهم الله برحمته يوم القيامة، فيقول: "**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل**..."[٣]، والإمام: المراد به الحاكم.

الأم: تقول الحكمة: "العدل أساس الملك" أى أنه الأساس الذى يقوم عليه الملك، وتستقر دعائمه، ويعجبنى قول ابن تيمية العالم العظيم: "إن الله ينصر الأمة بالحاكم العادل الكافر، ولا ينصرها بالحاكم المسلم الظالم".

الأب: هذا صحيح.. وقد علل ابن تيمية رأيه بأن كفر الحاكم يعود ضرره عليه وحده، وأما عدله فيشمل رعيته جميعاً، وعكس ذلك الحاكم المسلم الظالم فسيعم ظلمه رعيته، ولن ينفعهم إسلامه، بل لن ينفع صاحبه، لأن الإسلام والظلم لا يجتمعان فى قلب رجل واحد، فهذا الحاكم الظالم يستحيل أن يكون مسلماً حقاً، وأظنكم تعرفون عكس العدل.

زينب: نعم، الظلم.

الأب: صح.. وقد ذم الله الظالمين فى كثير من آيات القرآن الكريم، وذكر أنه

---

(١) يجرمنكم: يحملكم ويدفعكم.

(٢) شنآن: بغض وكراهية.

(٣) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه.

لا يحبهم، وأنه أعدَّ لهم عذاباً أليماً، وقد قال ﷺ عبارة بليغة تبين عاقبة الظالم فقال: "**الظلم ظلمات يوم القيامة**"[(١)]، أي أن الظلم سيحيط بصاحبه من كل جانب، ويجعله فى غشاوة من الظلام فلا يعرف له طريقاً، وقال عليه السلام أيضاً فى الحديث القدسى الذى يرويه عن ربه: "**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**"[(٢)]، ومعنى "فلا تظالموا" أى لا يظلم بعضكم بعضاً، وبالمناسبة أنا أذكر أنى بينت لكم معنى الحديث القدسى.

أحمد: نعم.. وهو الحديث الذى ينسبه الرسول إلى الله فيقول مثلاً: إن الله تعالى قال: ...

الأب: حسن.. وأحب أن أنبه إلى أمر هام وهو أن العدل كما هو مطلوب من الحاكم والمسؤولين عن أمور الناس مطلوب أيضاً من رب الأسرة، فإن بعض الآباء يظهرون تفضيل بعض أبنائهم على بعض، ويميزونهم بمزايا لا يعطونها لإخوتهم وهذا ظلم، ويثير الحقد والكراهية بين الإخوة الذين يجب أن تسود بينهم المودة والمحبة، وإليكم قصة تبين رفض الإسلام لذلك، فقد أعطى أحد أصحاب الرسول ﷺ واسمه بشير ابن سعد أحد أبنائه غلاماً هدية، أى عبداً يكون خاصّاً به يقضى له ما يشاء من أمور، فأرادت الأم أن تطمئن على سلامة هذا التصرف، وتؤكده، فقالت لزوجها: اذهب إلى رسول الله ﷺ وأشهده على هذا التصرف، فلما ذهب إلى رسول الله ﷺ قال له الرسول: "**أَكُلَّ ولَدَك أعطيته هكذا؟ يعنى: هل أعطيت عبداً لكل ولد من أولادك؟**

---

(١) رواه مسلم عن جابر.

(٢) رواه مسلم عن أبى ذر.

قال: لا، قال عليه السلام: اذهب وأشهد على هذا غيرى، فإنى لا أشهد على جَوْر "[١]، والجور هو الظلم، فقد اعتبر الرسول ﷺ أن هذه التفرقة فى العطية بين الإخوة ظلم، ورجع بشير عن هديته، ولم يقل كما يقول بعض الناس الآن.. مالى وأنا حُر فيه.

الأم: انظروا يا أولادى إلى الزوجة المؤمنة العاقلة التى لم ترض بأن يخص زوجها ابنها بالعطية، بل أصرت أن تعرف رأى رسول الله ﷺ فيها، وهذا واجب المرأة المؤمنة أمّاً أو زوجة ألا تقبل فى بيتها أو لأحد أفراد أسرتها مالاً حراماً.

الأب: ونختم جلستنا سائلين الله أن يلهمنا حُسن الخلق ويجنبنا سوءه.

الأولاد: آمين.

الوفاء بالعهد

وفى الجلسة التالية أقبل الأب فحيا أسرته ثم قال:

الأب: وإليكم خُلقاً آخر من أخلاق الإسلام لا يقل فى أهميته عن العدل وهو الوفاء العهد، والعهد هو الوعد، فإذا وعد رجل رجلاً آخر بأمر من الأمور واتفقا عليه من بيع أو شراء أو عمل من الأعمال، أو أمر من أمور الدنيا كائناً ما كان فعلى المسلم أن يفى بهذا العهد، وسيُسأل عن وفائه به يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء: ٣٤) وكما قال أيضاً: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ (المائدة: ١) وعدم الوفاء بالعهد يسمى غدراً، وقد ذكرت لكم فى الجلسة الماضية ركائز النفاق كما حددها الرسول ﷺ ومنها الغدر بالعهد.

الأم: أظن أنه يدخل فى نقض العهد خلف الوعد، فإذا وعد إنسان آخر بأنه

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما

سيعطيه كذا، أو سيصنع له كذا، أو حتى سيقابله فى وقت معين، ثم لم يفعل ما وعد به يعتبر غدراً.

الأب: نعم، وبشرط ألا يكون هناك عذر قاهر منعه من تنفيذ وعده، ومن أهم العهود التى ينبغى للمسلم أن يحافظ عليها عهده مع الله.

عمر: وهل بين الله وبين المسلم عهد؟

الأب: نعم، وهو أعظم العهود، لأن المسلم عندما ارتضى الإسلام ديناً فقد عاهد الله على أن يؤدى كل ما أوجبه الله من فرائض وطاعات وينتهى عما نهاه الله عنه من المعاصى، فإذا فعل ذلك فقد أوفى بما عاهد الله عليه، وقد مدح الله الذين يوفون بعهده ووعدهم بالجنة فى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ (الرعد: ٢٠) والميثاق هو العهد الذى قطعوه على أنفسهم بالعمل بكل ما أمرهم الله به، واجتناب ما ينهاهم عنه، وقد بيّن الله جزاءهم هم وأمثالهم الملتزمين بأوامر الله فى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٢ - ٢٤) انظروا إلى التكريم الذى يلقونه يوم القيامة: أولاً: يدخلون الجنة، وثانياً: يكون معهم الصالحون من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم حتى تتم فرحتهم، وثالثاً: الملائكة يدخلون عليهم من جميع أبواب الجنة يحيونهم ويسلمون عليهم ويكرمونهم.

زينب: اللهم اجعلنا منهم.

الأب: سيجعلك الله منهم إن شاء الله إذا التزمت بعهد الله.

وأما عكس هؤلاء وهم الذين ينقضون عهد الله، ويعصون أوامره ويفسدون فقد توعدهم الله باللعنة والمنزلة السيئة يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ

ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ﴾ (الرعد: ٢٥).

وننتقل إلى خُلقٌ آخر يتصل بالوفاء بالعهد وهو:

الصدق

لأن الإنسان الصادق هو الذى يفى بوعده، ولا ينقض عهده، وقد أمرنا الله بالصدق فى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩) وبيَّن الله أنه سيكافئ الصادقين بسبب صدقهم فقال تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ ﴾ (الأحزاب: ٢٤) وبيَّن أن الصدق ينفع صاحبه يوم القيامة ويدخله الجنة، فقال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩).

وضد الصدق - كما تعلمون - الكذب، وقد بيَّن لنا الرسول ﷺ عاقبة كلٍّ من الصدق والكذب، فقال عليه الصلاة والسلام: **"إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقاً، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"**[1]، هل فهمتم معنى هذا الحديث؟

أحمد: نعم.. هل تأذن لى بشرحه؟

الأب: تفضل.

أحمد: الرسول ﷺ يبين فى هذا الحديث أن الصدق ينفع صاحبه ويؤدى إلى خيره

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

فى الدنيا والآخرة، ففى الدنيا يعرف الناس صدقه فيحترمونه، ويقبلون على التعامل معه لثقتهم بكلامه، وفى الآخرة يجزيه الله عن صدقه خير الجزاء كما ذكرت حضرتك، والإنسان إذا تعود الصدق، وعرف به بين الناس فى أقواله وأفعاله كتبه الله عنده صديقاً أى مدحه بين ملائكته، وأصبحت صفته عندهم "الصِّدِّيق"، وعكس كل هذا الكذب فهو يؤدى إلى الشرور، ويدفع بصاحبه إلى المهالك، وتنعدم الثقة بكلامه بين من يعرفونه، وينصرفون عنه ويحتقرونه، هذا فى الدنيا وفى الآخرة يدخله الله النار، وإذا تعود الإنسان الكذب كتب عند الله كذاباً وأصبح يطلق عليه فى مجامع الملائكة "الكذاب".

الأب: فتح الله عليك يا بنى، ولا تنسوا الحديث الذى ذكرت لكم جزءاً منه فى الحديث عن بر الوالدين عندما قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...".

زينب: أنا أحفظ هذا الحديث يا أبى.. هل أذكره؟

الأب: تفضلى يا زينب.

زينب: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الشرك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور"، ومازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت".

الأب: عظيم يا زينب.. فتح الله عليك، انظروا إلى الأهمية التى أولاها الرسول ﷺ لقول الزور، وهو الكذب. أولاً: كان متكئاً يعنى فى حالة استرخاء - فجلس ليبين أهمية ما سيقوله ثم ظل يكرر الكبيرة الأخيرة وهى الكذب، حتى أشفق عليه أصحابه لشدة غضبه، وتمنوا لو أنه سكت.

وشكراً لكم وإلى اللقاء فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

الشجاعة

وبدأ الأب حديثه فى بداية الجلسة التالية بعد أن حيا أسرته قائلاً:

الأب: سأحدثكم الآن عن فضيلة يعتز بها الإسلام والمسلمون هى فضيلة الشجاعة، وذلك لأنها وسيلة الجهاد فى سبيل الله، وإعلاء كلمة الدين لذلك اهتم الإسلام بها، وحذر من الجبن والخوف فى المعارك وتوعد الفارين الذين يفرون من المعركة بأشد العذاب، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال: ١٦) أى الذى يفر من القتال يغضَب الله عليه ويدخله نار جهنم، إلا إذا كان الفرار تنفيذاً لخطة موضوعة فيها مصلحة المسلمين وهذا مفهوم فى عرف القتال، أو من أجل الانضمام إلى جماعة أخرى مقاتلة يكون جهاده معها أفضل، وهذا معنى "متحيزا إلى فئة".

وقد بيَّن الله للمؤمنين أنهم إذا كانوا يعانون من الشدائد والآلام فى المعارك فإن الكفار يعانون مثل ذلك، ولكنهم لا ينتظرون الجزاء العظيم من الله كما ينتظر المسلمون، قال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ (النساء: ١٠٤) وأمر الله رسوله أن يقول لأعدائه من الكفار عندما يدخلون معركة إن الذى ينتظر المسلمين فى أى معركة أحد أمرين وكل منهما أحسن من الآخر: إما النصر، أو الاستشهاد فى سبيل الله وما يعقبه من جزاء أخروى عظيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ (التوبة: ٥٢) أى هل تنتظرون أن يحدث لنا عند لقائكم فى المعارك إلا إحدى النتيجتين الحُسنيين: إما النصر أو الشهادة.

من أجل ذلك كان الرسول ﷺ وأصحابه مثلاً عالياً فى الشجاعة، وإذا قرأتم

التاريخ الإسلامى فستجدون نماذج مضيئة للشجاعة.

أحمد: ولكن الشجاعة فى الحرب فقدت قيمتها الآن بسبب المعدات الحربية التى تجعل الجندى يقاتل بعيداً عن أرض المعركة.

الأب: ليس ذلك دائماً فكثيراً ما يضطر الجنود إلى الالتحام ببعضهم، كما أن المقاتل مهما ابتعد عن أرض المعركة يحتاج إلى شجاعة عظيمة تمكنه من حُسن التفكير والتنفيذ، خذ مثلاً الطيار الذى يذهب إلى إلقاء قنابل على الأعداء إن لم يكن شجاعاً فسيهرب بطائرته خوفاً من أن يُقتل، ثم إن اتخاذ القرار فى بدء المعارك وفى أثنائها يحتاج إلى شجاعة كبيرة، وإذا كان قائد الجيش جباناً فهل يستطيع أن يصدر أمراً ببدء القتال أو الهجوم، ولكنى أحب أن أنبهكم إلى أن الشجاعة تحتاج إلى عقل وبصيرة، وإلا انقلبت إلى تهور يضر أكثر مما ينفع، فالرجل الذى يجد مجموعة كبيرة من الأعداء أمامه فيلقى بنفسه إليهم هذا متهور، وليس شجاعاً، لأن النتيجة معروفة، وهى أنهم سيقتلونه دون أن يحقق شيئاً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

أحمد: وماذا تقول سيادتكم فيما نقرؤه من تفجير بعض أفراد المقاومة الفلسطينية، فهل يعتبر هؤلاء متهورين؟

الأب: لا، بل هم فى قمة الشجاعة، لأنهم بذلوا أرواحهم دفاعاً عن أمتهم وكرامتها وإذا كانوا أقبلوا على هذا العمل وهم متأكدون من موتهم، فهم متأكدون أيضاً أنهم سيكبدون العدو خسارة فادحة مادية ومعنوية تفوق تضحيتهم بأرواحهم، على عكس المثل الذى ذكرته، فقد قتل الرجل دون أن يحقق شيئاً.

الأم: وهناك نوع آخر من الشجاعة يعرف بالشجاعة الأدبية، وهذا خُلق عظيم ينبغى أن يتحلى به المسلم.

زينب: ما معنى الشجاعة الأدبية يا أمي؟

الأم: هى مواجهة الإنسان للظلم والظالمين وعدم الخوف منهم، فمثلاً إذا شاهد إنسان اعتداءً وقع على شخص من إنسان صاحب قوة أو نفوذ، وحاول المعتدى أن يقلب الحقيقة، أو ينكر ما فعله من ظلم، فواجب الشاهد أن يقف بجانب المظلوم، ويعلن الحقيقة، فهذه شجاعة أدبية، ومثل آخر: رجل كبير صاحب جاه ونفوذ أراد أن يفرض على شخص آخر أو مجموعة من الناس أمراً ينقص من كرامتهم، أو يظلمهم حقّاً من حقوقهم، فوقف أمامه واحد منهم يعارضه، ويرفض ما يريده من إذلال لهم، فهذه شجاعة أدبية.

الأب: ولذلك قال ﷺ: **"أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر"**[(١)]، يعنى أن أعظم جهاد يجاهده الإنسان هو أن يقول الحق أمام حاكم مستبد ظالم، فيعرض نفسه للعقاب، وربما للقتل ولا يبالى، ووصف ﷺ الساكت عن الحق، أى الذى يرى ظلماً يلحق بإنسان، ولا يعلن الحقيقة خوفاً وجبناً - وصفه بأنه "شيطان أخرس" لأنه ساعد الظالم على ظلمه.

الصبر

خُلق آخر يا أولادى دعا إليه الإسلام هو الصبر، وقد مدح الله الصابرين فى آيات كثيرة من القرآن فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٣) وقال تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥) وقال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

---

(١) رواه ابن ماجه بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

ودعا المسلمين إلى التغلب على الشدائد والمصائب بأمرين هما: الصبر والصلاة، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٣) وذلك لأن الصبر هو الذى يحقق النصر فى معارك الجهاد، وهو الذى يعين الإنسان على مواجهة الحياة، فالإنسان حينما يصبر فى قتال الأعداء يتحقق له النصر، وحين يصبر على المصيبة التي تصيبه، وعلى أزمات الحياة التى تواجهه، فإنه يتغلب عليها، ويمضى فى حياته لا يستسلم للحزن فيعوضه الله خيراً.

الحلم

ويتصل بخُلق الصبر خُلق الحلم، لأن الحلم نوع من الصبر، فهو صبر على أمر يضايقه من أحد الأشخاص، وهو قادر على الانتقام منه، ولكنه يكظم غيظه، وقد مدح الله الكاظمين الغيظ، ووعدهم بجنة عرضها السموات والأرض فى قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)، ويشترط لكى يكون الإنسان حليماً أن يكون قادراً على رد العدوان بمثله، وأما الذى لا يستطيع رد العدوان فيسكت ولا يقاوم فهو عاجز لا حليم.

الأم: لقد كان الرسول ﷺ مثلاً أعلى فى الحلم، فكان يصبر على مضايقات بعض الناس له من المسلمين، ويقابل أذاهم بالابتسام، وقد قرأت فى سيرته العطرة أنه كان يرتدى ثوباً خشناً غليظاً، فأدركه أعرابى – أى رجل من البدو الذين يعيشون فى الصحراء – فجذبه من ثوبه جذبة عنيفة أثرت فى رقبته وظهر أثرها واضحاً، ثم قال: يا محمد، أعطنى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه وضحك ثم أمر له ببعض المال.

انظروا، هذا رسول الله ﷺ وهو فى المدينة فى أيام عز الإسلام، ويستطيع أن يفعل بالأعرابى ما يشاء ولكنه يقدِّر جهله وحاجته، ولما جاء رجل وقال له: أوصنى، قال له: لا تغضب، والغضب ضد الحلم، ولما طلب الرجل زيادة الوصية كان الرسول يكرر له: لا تغضب.

الأب: لقد كان الرسول ﷺ هو القدوة للمسلمين والمثل الأعلى، ويكفى أن الله مدحه تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

العفو

ويتصل بخلق الحلم العفو أى مسامحة الجانى عن جنايته، ويشترط فيه أيضاً أن يأتى مع مقدرة من العافى على الانتقام ممن ظلمه، وقد دعا الإسلام إلى هذا الخُلق وحبب فيه فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الشورى: ٤٠)، وبين هذا الأجر فى الآية التى ذكرتها لكم عند حديثى عن الحلم وهى الجنة التى عرضها السموات والأرض، وكان للعفو هذه المنزلة، لأنه ينشر المحبة، وينشر السلام والوئام فى المجتمع، وقد بيَّن الله هذا فى هذه الآية الكريمة: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤) أى إنك إذا رددت على الإساءة بالإحسان خجل الذى أساء إليك، وندم على إساءته، واعتذر إليك فتحولت العداوة بينك وبينه إلى مودة وصداقة.

الأم: وأذكر لكم أيضاً قصةً من السيرة العطرة، تعرفون كيف كانت تعامل قريش رسول الله ﷺ، وكيف كانت تضطهده وتؤذيه حتى اضطرته إلى الخروج من بلده الذى يحبه، وحاربوه حرباً شديدة، فلما انتصر عليهم، وأصبح قادراً على أن يفعل بهم ما يشاء، سألهم ما تظنون أنى فاعل بكم؟

عمر: هل تسمحين لى يا أمى أن أكمل القصة؟

الأم: أكمل يا عمر.

عمر: حينما سألهم هذا السؤال قالوا له خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم، قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء".

الأم: أرأيتم.. لقد عفا عنهم وكان قادراً على الانتقام منهم أشد انتقام، وتأملوا قوله: "فأنتم الطلقاء" أى أن حقهم كان الأسر والسجن ولكنه أطلقهم.

الأب: ونختم جلستنا الليلة بهذه الحكاية من السيرة العطرة، ونلتقى فى جلسة مقبلة إن شاء الله.

التواضع

وانعقدت الجلسة التالية وبدأها الأب، بعد أن لاطف أسرته سائلاً:

الأب: يا ترى يأيها الأولاد الأعزاء هل تحاولون الالتزام بالأخلاق الفاضلة التى نتحدث عنها أو تعتبرونها كلاماً نظريّاً لا يقبل التطبيق.

أحمد: والله يا أبى إنى أحاول الالتزام بذلك بكل ما أستطيع من جهد، لقد استفزنى أحد الزملاء بكلام سخيف، وكان فى استطاعتى أن أضربه، وألقنه درساً، أو على الأقل كنت أرد عليه بما يؤذيه، ولكنى تذكرت كلام حضرتك، وتذكرت الحديث الشريف: "ليس الشديد بالصُّرعة، ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب" فملكت نفسى ورددت عليه ردّاً مهذباً فخجل، وفى نهاية اليوم جاء يعتذر إلىَّ.

الأب: أحسنت يا أحمد، فلا قيمة للمبادئ إذا حولناها إلى شعارات ونظريات ولكن قيمة المبادئ فى تطبيقها والعمل بها.

والآن سأحدثكم عن فضيلة أخرى هى: التواضع، والتواضع هو أن يكون للإنسان مزايا تؤهله لأن يفتخر بها ويتعالى على الناس، ولكنه لا يفعل ذلك، بل يكون بين الناس الذين يقلون عنه شأناً كواحد منهم، وعكس التواضع الكبر، وقد دعا الإسلام إلى التواضع، فهذا رسولنا الكريم ﷺ يقول: "**إن الله أوحى إلَيَّ أن تواضعوا فلا يفخر أحد على أحد**"[1]، وقال أيضاً: "**ما تواضع أحد لله إلا رفعه**"[2]، وكان ﷺ مثلاً أعلى فى التواضع، فهو مع عظمة قدره بين أصحابه "**كانت الأَمَة - أى الخادمة - من إماء المدينة تأخذ بيد النبى ﷺ فتنطلق به حيث شاءت**"[3]، أى أن (الشغالة) كانت تأتى إليه فتطلب منه أن يذهب معها إلى مكان ما ليقضى لها حاجة، فكان يذهب معها، وذلك بسبب تواضعه، وتقول عنه زوجته السيدة عائشة رضى الله عنها: "**إنه فى بيته كان يكون فى مهنة أهله**"[4]، أى يساعد فى أعمال المنزل.

وأما التكبر فهو خُلق ذميم ذمه الله وذم المتكبرين وبين أنه لا يحبهم، فيقول تعالى فى آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨) والمختال هو المعجب بنفسه، والفخور هو دائم التفاخر بما يتصف به أو يملكه، وفى آية أخرى يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ (النحل: ٢٣) وبيَّن أن النار مثواهم أى مكان إقامتهم فى الآخرة فقال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ فِى جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر: ٦٠).

أحمد: لقد درسنا فى حصة الدين آية قرآنية تقول: ﴿وَلَا تَمۡشِ فِى ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧).

---

(١) رواه مسلم بسنده عن عياض رضي الله عنه.
(٢) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه.
(٣) رواه البخارى بسنده عن أنس رضي الله عنه.
(٤) رواه البخارى بسنده عن الأسود رضي الله عنه.

الأب: صدق الله العظيم.. انظرواً إلى هذا التوبيخ الذى تضمنته الآية للإنسان المعجب بنفسه، الذى يسير باختيال وافتخار، فالله يقول له ما معناه: ماذا تظن نفسك فى الكون؟ إنك من أضعف مخلوقات الله فمهما اشتدت قوتك فهل تستطيع أن تخرق الأرض بمشيك عليها، ومهما طالت قامتك فهل ستكون أطول من الجبال؟

الحياء

وهذا ينقلنا إلى صفة أخرى هى الحياء، والحياء كما قال عنه النبى ﷺ: "شعبة من الإيمان" أى أن الحياء جزء من الإيمان، فإذا لم يتصف المؤمن به كان إيمانه ناقصاً، والحياء صفة تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصى أو الرذائل، ولذلك قال ﷺ: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" أى إذا لم تكن متصفاً بالحياء فإنك ستقدم على أى عمل قبيح دون أن تبالي.

زينب: لكن يا أبي.. الحياء من صفات النساء، وإذا كان الرجل حيياً فإن الناس يعيبونه.

الأب: هذا سوء فهم لمعنى الحياء، لأن الحياء الذى يعتبر فضيلة هو خُلق يدفع الإنسان إلى عدم فعل الأشياء القبيحة، كما يمنعه من التقصير فى أداء الحق لصاحبه هذا هو الحياء المحمود الذى ينبغى أن يتصف به الناس جميعاً رجالاً ونساء، وأما الحياء بمعنى أن يخجل الإنسان من إبداء رأيه فى أمر من الأمور، أو يخجل من المطالبة بحقه فهو ليس حياء، وإنما نوع من أنواع الجبن سواء فى الرجال أو النساء، وقد كان الرسول ﷺ كما جاء فى الحديث الشريف: **"أشد حياء من العذراء فى خدرها"**[1]، أى الفتاة التى لم تخالط المجتمع – بمعنى أنه كان لا يواجه الناس بما يؤذى مشاعرهم،

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه.

أو يحط من كرامتهم، وكان عليه السلام يقول: **"الحياء لا يأتى إلا بخير"**[١] وعكس الحياء هو الوقاحة أو التبجح ولا أظن أن أحداً يحب أن يتصف بهذه الصفة.

العفة

ومن أخلاق الإسلام أيضاً التى حث عليها العفة، والعفة خُلُقٌ عظيم إذا شاع فى المجتمع شاعت فيه الطهارة والنقاء، ومعنى العفلة التصوُّن أى حفظ النفس عما يدنسها من علاقات سيئة غير مشروعة بين المرأة والرجل فلا تفكر المرأة فى رجل غير زوجها، ولا يفكر الرجل فى امرأة غير زوجته، وقد حدثتكم فى جلسة سابقة عن أمر الإسلام للرجل والمرأة أن يغضوا أبصارهم أى لا ينظر أى واحد منهما إلى الأجنبى عنه، وهو الرجل الذى يحل للمرأة الزواج منه، والمرأة التى يحل للرجل الزواج منها قريباً كان أحدهما أو غريباً - فابن العم وابن الخال بالنسبة للمرأة وابنة العم وابنة الخال بالنسبة للرجل ومن فى مستوى هؤلاء أجانب لا يحل الخلوة معهم، أى الجلوس معهم دون أن يكون معهم أشخاص آخرون وبعض الناس يعيب الإسلام على هذا التشريع، ولكن لو تأملنا فى أحداث المجتمع عرفنا صحة رأى الإسلام، وفساد رأى من يدعو إلى التحرر أو التحلل.

وقد نهى الرسول ﷺ أن يخلو رجل بامرأة أجنبية عنه فقال: "لا يَخْلونَّ أحدكم بامرأة إلا مع ذى رحم"، أى لا يجوز لأى رجل أن يجلس مع امرأة يحل له الزواج منها إلا فى حضور أحد أقاربها من المحارم وهم الذين لا يحل لهم الزواج منها كالأب أو الأخ أو ابن الأخ وأمثالهم.

أحمد: لكن يا أبى فى مجتمعنا الذى تعرفه كيف يسير الإنسان فى طريق دون أن

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن عمران بن حصين.

ينظر إلى النساء وهن فى كل مكان.

الأب: أوافقك أنه أمر صعب فى عصرنا هذا، ولكن عليك ألا تطيل النظر دون حاجة وقد أباح الرسول ﷺ للرجال النظرة الأولى التى تقع مصادفة على إحدى النساء، فعليه أن يحول وجهه بعدها ولا يعود للنظر إليها.

الأم: لا تنسوا يا أولادى أننا فى عصر القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر ولكن المكافأة ستكون كبيرة إن شاء الله فى الدنيا والآخرة، فعليكم بفضيلة الصبر التى حدثكم أبوكم عنها.

الأب: وهناك معنى آخر للعفة نستطيع أن نسميه "عفة اليد" فنقول هذا الإنسان عفيف اليد أى لا يمد يده إلى مال غيره للأخذ منه بغير حق وخصوصاً إذا كان مسؤولاً عن الأموال العامة، وقد دعا الله وصى اليتيم وهو الذى يقوم على رعاية ماله أن يعف عن أخذ شيء منه إن كان غنيّاً، وأما إذا كان فقيراً فليأخذ منه بالمعروف فقال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء: ٦).

الإيثار

الأب: وهذا خُلق جميل من أخلاق الإسلام وهو الإيثار، ومعنى الإيثار أن يفضل الإنسان الآخرين على نفسه فى المواقف التى تقتضى ذلك مثلاً: زينب معها تفاحة تريد أن تأكلها، فرأت بنتاً يبدو عليها الفقر والجوع تنظر إليها فأعطتها زينب التفاحة، فهذا إيثار لأنها فضلتها على نفسها، ولكن هناك إيثار أعظم درجة مدحه الله تعالى فى قرآنه وهو أن يكون الإنسان محتاجاً لشيء ويرى غيره محتاجاً إليه فيفضل غيره على نفسه على الرغم من حاجته كما فعل الأنصار مع المهاجرين الذين ذهبوا إليهم فى المدينة.

عمر: هل تسمح لى يا أبى أن أذكر موقف الأنصار مع المهاجرين؟

الأب: قل يا عمر.

عمر: عندما هاجر المسلمون إلى المدينة كانوا فقراء، لأن المشركين فى مكة آخرجوهم بعد أن أخذوا أموالهم، فآخى الرسول ﷺ بينهم أى جعل كل واحد من المهاجرين أخاً لواحد من الأنصار، فكان كل واحد من الأنصار يساعد أخاه بكل ما يستطيع عن رضا ومحبة.

الأب: هذا صحيح، وفي مرة جاء مال للرسول ﷺ فأراد أن يوزعه على المهاجرين والأنصار، فرفض الأنصار أن يأخذوا حقَّهم وقالوا للرسول ﷺ: وزعه بين المهاجرين على الرغم من عدم غنى كثير منهم، فأشاد بهم القرآن الكريم ومدحهم فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩)، والذين تبوءوا الدار هم الأنصار لأنهم كانوا يسكنون المدينة قبل مجيء المهاجرين إليهم، وتخبرنا الآية الكريمة أنهم كانوا لا يشعرون بحسد أو غيرة إذا أعطى الرسول ﷺ بعض المال للمهاجرين، بل يؤثرونهم على أنفسهم، أى يفضلونهم عليهم ولو كان بهم خصاصة أى فقر.

الأم: وأنا أذكر لكم قصة أخرى مدح الله فيها بعض الصحابة، لأنهم آثروا على أنفسهم المسكين واليتيم والأسير، تقول القصة: إن سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه كان صائماً هو وزوجته وأعدوا لهم طعاماً بسيطاً ليفطروا عليه فجاءهم مسكين يسأل ويقول: أطعمونى يا آل محمد فأعطوه طعامهم، وأفطروا على الماء أو على قليل من التمر، ثم جاءهم فى يوم آخر يتيم فقد أبويه وليس هناك من ينفق عليه وهو صبى

صغير فقال: أطعمونى يا آل محمد فأعطوه طعامهم أيضاً وفى يوم ثالث جاءهم أسير أُسر فى إحدى الغزوات وليس هناك من يتكفل به يسألهم فأعطوه طعامهم أيضاً، وكان غرضهم من إعطاء الطعام وحرمان أنفسهم هو خوفهم من اليوم المرعب لما فيه من أهوال وهو يوم القيامة فكافأهم الله على ذلك ووعدهم بأنه سينجيهم من شر هذا اليوم وسيدخلهم الجنة ينعمون فيها بكل ألوان النعيم.

الأب: والقصة التى ذكرتها أمكم تضمنتها الآية الكريمة: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ٨ - ١٢) إلخ الآيات.

فهذا العمل هو من أعظم ألوان الإيثار، وكل من يفعل ذلك جزاؤه عند الله عظيم، وعكس الإيثار هو الأثرة أو الأنانية، أى حب الإنسان لنفسه، وتفضيلها على كل إنسان آخر دون وجه حق وهى صفة مدمرة للمجتمع، لأنها تجعله غابة يحاول القوى فيها أن يأكل الضعيف.

الرحمة

والخُلق الأخير الذى أحب أن أحدثكم عنه هو خُلق الرحمة، والرحمة فضيلة إذا شاعت فى مجتمع سادت فيه روح المحبة والإخاء، والإسلام هو دين الرحمة، وأكبر دليل على ذلك أننا نستفتح كل عمل من أعمالنا بقولنا: بسم الله الرحمن الرحيم، فقد اختار الله فى هذه الآية صفتين من صفاته تدلان على الرحمة ليعلمنا أن نتراحم فيما بيننا، كما تضمنت تحية الإسلام الدعاء بالرحمة مع السلام والبركة فنحن كثيراً ما نقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وقد وصف الله رسوله ﷺ بالرأفة

والرحمة، والرأفة هى شدة الشفقة والرحمة فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

زينب: ما معنى ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾؟

الأب: العنت شدة المشقة والتعب الشديد، يعنى أن الرسول ﷺ حريص على مصلحة المسلمين يصعب عليه أن يكلفهم عملاً يرهقهم وقد كان ﷺ شديد الرحمة بكل من حوله، وقد ذكر الله تعالى أن سبب محبة المسلمين له، ودخولهم فى دينه ما لمسوه منه من رقة ورحمة ولين ولو أنه كان خشن المعاملة، قاسى القلب لتركوه وتركوا دينه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقد تعجب أحد الأعراب المتصفين بالجلافة وغلظ القلب عندما رأى الرسول ﷺ يقبل أحد أحفاده، وقال: إن لى عشرة من الأولاد ما قبلت واحدا منهم، فنظر إليه الرسول ﷺ وقال: **"من لا يَرحم لا يُرحم"**[(١)].

الأم: لقد قرأت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى صلاة الجماعة وخلفه المسلمون والمسلمات فإذا سمع بكاء طفل فى أثناء صلاته يخفف من صلاته حتى يتيح الفرصة لأمه لكى تُسكته.

الأب: نعم، وقد قال ﷺ: **"إنى لأقوم إلى الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوّز فى صلاتى - أى أقصرها - كراهية أن أشق على أمه"**[(٢)]، وقد رأى أحد الصحابة وهو بالشام بعض الشرطة يضربون الناس، فسأل ما سبب هذا

---

(١) رواه الشيخان بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم بسنده عن هشام بن حكيم رضي الله عنه.

التعذيب؟ قيل له: إنهم تأخروا فى دفع الخراج، أى الضريبة للأراضى الزراعية - فأسرع إلى الوالى وقال له: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا"**[1]، فأصدر الوالى فوراً الأمر بعدم تعذيبهم.

الأم: هذا هو الإسلام الذى يتهمونه بالعنف والإرهاب.

الأب: إن هذه التهمة ناشئة عن جهل بعض أعداء الإسلام بمساحة هذا الدين، أو تعصبهم ضده ومحاولة تشويهه، وأمر آخر هام هو أن بعض المسلمين ينحرفون عن مبادئ هذا الدين جهلاً أو عمداً أيضاً لمصالح شخصية تهمهم.

والآن قد حدثتكم عن أهم الأخلاق الفاضلة التى دعا إليها الإسلام، سأحدثكم فى الجلسة المقبلة - إن شاء الله - عن بعض الرذائل التى نهى عنها الإسلام.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى قتادة رضي الله عنه.

رذائل نهى عنها الإسلام

اجتمع شمل الأسرة فى الجلسة التالية وبدأ الأب حديثه قائلاً:

الأب: سأحدثكم الليلة عن بعض الرذائل التى نهى عنها الإسلام، وقد جمعها الله فى آيتين كريمتين أقرؤهما لكم، ثم أشرح فى ضوئها هذه الرذائل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾.

زينب: أنا أحفظ هذه الآيات، هل أقولها نيابة عنك يا أبي؟

الأب: قولى يا زينب.

زينب: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١١، ١٢) صدق الله العظيم.

الأب: صدق الله العظيم، شكراً لك يا زينب، أريد الآن من عمر أن يذكر لى الرذائل التى وردت فى هاتين الآيتين.

عمر: السخرية من الآخرين، اللمز، التنابز بالألقاب، الظن السيىء، التجسس، الغيبة.

الأب: حسنًا يا عمر.. هذه الرذائل من أسوأ الرذائل التى تشيع الكراهية والبغضاء فى المجتمع، وأولها السخرية من الآخرين، فيحاول بعض المغرورين بما أعطاهم الله

من صحة أو وسامة أو غنى أن يُعَيِّر من حرمه الله من هذه الأشياء بمرضه أو قبحه أو فقره وينسى هذا المغرور أن هذه الأمور لا فضل لأحد فيها لأنه منحة من الله يعطيها بعض الناس ويحرم بعضهم منها ليختبر عباده فيرى من يشكر النعمة، ومن يصبر على الحرمان، ثم إن هذه الأشياء كلها أمور دنيوية لا قيمة لها عند الله يوم الحساب، وإنما الذى له قيمة عند الله هو العمل الصالح، فقد يكون الذى يسخر منه الساخرون يتميز بالصلاح والتقوى فتكون منزلته عند الله أعظم من الذى يسخر منه.

ويتصل بالسخرية من الناس لَـمْزُهم، أى العيب عليهم، والطعن فى سلوكهم بالباطل، وقد توعد الله بالعقاب الشديد كل من يفعل ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (الهمزة: ١) والويل المراد به العذاب الشديد، والهمزة واللمزة كل إنسان تكون عادته عيب الناس وذمهم.

ومثل السخرية التنابز بالألقاب، فقد يلتصق ببعض الناس لقب يكرهه ويشيع هذا اللقب بين الناس، ويحاول بعضهم إيذاءه بذكره مرتبطاً بهذا اللقب، فنهى الله عن ذلك، والتنابز بالألقاب معناه أن كل واحد يحاول أن يلقب أخاه المسلم بما يكرهه من ألقاب، وقد بلغ من تنفير القرآن للناس من ممارسة هذه الرذائل أن اعتبرها فسوقاً، وحذرهم من أن يتصفوا بالفسوق بعد اتصافهم بالإيمان، ثم فتح باب التوبة لمن أراد أن يتوب، وأما من لم يتب فقد ظلم نفسه، هذا ما تضمنته الآية الأولى.

وأما الآية الثانية فتنهى عن ثلاث رذائل، أولها: إساءة الظن بالناس فعلى المسلم أن يحسن الظن بالآخرين، وإذا رأى منهم خطأ يحاول أن يحمله على محمل حسن.

أحمد: ولكن النصابين فى عصرنا كثيرون، ولذلك قالوا سوء الظن عصمة وحسن الظن ورطة.

الأب: ليس المراد بحسن الظن بالناس أن نثق بكل من يتقدم إلينا بمشروع من المشروعات أو عمل من الأعمال، فنسلمه ما يريد، ولكن علينا أن نتحرى عنه وعن أخلاقه وكفاءته والتزامه دون أن نتهمه بشيء حتى نتأكد بالدليل أنه إنسان موثوق به، فإذا لم نتأكد من ذلك نتركه دون إساءة إليه، أو إشاعة عدم الثقة به بين الناس.

الأم: يعنى كما يقول المثل البلدى: "حرص من صاحبك ولا تخونه".

الأب: الرذيلة الثانية التجسس وهى مترتبة على الأولى، لأننا حينما نسيء الظن بأحد من الناس نحاول أن نتجسس عليه لنتأكد من صدق ظننا، فنحاول استراق السمع لنسمع ما يقول، أو التصنت على مكالماته الهاتفية، وهذه بعض وسائل التجسس، وهذه الرذيلة مدمِّرة هى الأخرى للمجتمع، لأنها تجعل كل فرد من أفراده يحاول أن يتجسس على الآخر، وينتهك خصوصياته، وقد يطلع على أمور تزيد من حقده عليه، ويترتب عليها فتنة كبيرة، لذلك نهانا الإسلام عنه.

أحمد: لكن يا أبى التجسس عنصر أساسى الآن لحماية الدولة من أعدائها، وفى كل دولة جهاز مخابرات هدفه التجسس على الدول الأخرى.

الأب: التجسس ضد الأعداء مشروع، ولا يدخل فى التجسس المنهى عنه، وفى سيرة الرسول ﷺ أنه كان يبث العيون - أى ينشر الجواسيس لاستطلاع أخبار الأعداء حتى لا يفاجأ المسلمون بعدو يهجم عليهم وهم غافلون.

أحمد: وهناك جهاز داخلى أيضاً يتجسس على المواطنين العاديين هو جهاز المباحث الجنائية أو أمن الدولة أو غير ذلك من الأسماء.

الأب: وهذه الأجهزة أيضاً ضرورية لحماية الدولة من المجرمين الذين يريدون ترويع الآمنين وسلب أنفسهم وأموالهم، فتحاول هذه الأجهزة كشف الجريمة قبل

وقوعها والقبض على المجرمين، ولكن لابد لهذه الأجهزة من ضوابط تنظم عملها حتى لا تتحول إلى أجهزة تنتهك حرمة المواطنين الأبرياء، ومن أهم هذه الضوابط ألا تتجسس على أحد إلا بعد استئذان النيابة المختصة بذلك، بعد تقديم مبررات الشك فى شخص ما، فإذا اقتنعت بها النيابة أعطت الإذن وإلا رفضت الإذن، وأما إذا تجسست هذه الأجهزة دون إذن من النيابة، وحولت القضية إلى المحكمة بناء على هذا التجسس فإن المحكمة تبرئ المتهم على الرغم من ارتكابه الجريمة، لأن التجسس حدث دون إذن النيابة، وهذا نوع من الاحتياط واجب.

وأما الرذيلة الأخيرة فى هذه الآية فهى أخطرها وهى الغيبة ولذلك نفر الإسلام منها أشد تنفير.

الأب: الغيبة هى أن تذكر رجلاً أو امرأة بما يكرهان فى غيابهما.

عمر: لنفرض أن العيب الذى ذكرته موجود فيه.

الأب: يعتبر غيبة أيضاً، وقد أوضح الرسول ﷺ ذلك فى حديثه حين قال لأصحابه: **"أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: "الله ورسوله أعلم" قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول، قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّه"**[1].

وكما قلت لكم قد نفر الله من الغيبة أشد تنفير، فقد شبه الرجل الذى يغتاب آخر بإنسان يأكل لحم أخيه الميت، انظروا إلى البشاعة التى توحى بها هذه الصورة، فأكل لحم الآدمى أمر بشع، وأبشع منه أن يكون الآدمى ميتاً، ثم تصل البشاعة إلى أقصى

---

(١) رواه مسلم بسنده عن أبى هريرة ﷺ، ومعنى بهتَّه: أى افتريت عليه أشد الكذب.

حد له حينما يكون هذا الآدمى الميت الذى يأكل لحمه أخاً له، فهل رأيتم بشاعة تفوق هذه البشاعة؟

الأم: هل لاحظتم يا أولادى أن الآية الكريمة والحديث الشريف حينما تحدثا عن الغيبة وصفا الشخص الذى يُغتاب بأنه أخ للذى يغتابه، وذلك حينما يقول الرسول ﷺ "ذكرك أخاك بما يكره" وتقول الآية: ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا** ﴾ (الحجرات: ١٢) وذلك للإيحاء بعمق العلاقة التى تربط بين المسلمين والتى يجب أن تحول دون إساءة أحدهم إلى الآخر.

الأب: وإلى جانب هذه الرذائل التى نهت عنها الآيتان السابقتان هناك رذيلة أخرى نهى عنها الإسلام، وهى لا تقل خطورة عن الرذائل السابقة وهى النميمة.

عمر: أليست الغيبة هى النميمة؟

الأب: هذا ما يشيع الآن فى عرفنا، ولكن معناها يختلف، فالنميمة هى نقل الكلام من إنسان لآخر بقصد الإيقاع بينهما، مثلاً حدثك صديق عن صديق آخر يشكو إليك منه، ويذكر بعض أقواله وأفعاله التى تضايقه منه، فبدلاً من أن تحاول الإصلاح بينهما تذهب إلى الصديق الآخر: وتقول له: إن صاحبك فلان يقول عنك كذا وكذا بطريقة مستفزة، وربما تزيد أشياء من عندك لكى تفسد العلاقات بينهما، ويغضب الرجل ويذم صاحبه الذى نقلت إليه كلامه بطريقة ملتوية. هذه هى النميمة، والذى يقوم بها يسمى: نَمَّاماً، أو "مَشَّاءً بِنَمِيمَ" كما ذم الله أحد كبار المشركين الذين كانوا يعادون الرسول ﷺ؛ فقال عنه: ﴿ **هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ** ﴾ (القلم: ١١). أى يمشى بالنميمة بين الناس، فيُشعل العداوة والبغضاء بينهم، وقال ﷺ: **"لا يدخل**

الجنة نمام"[١] ، أى حرم الله الجنة على كل رجل يتصف بهذه الصفة الذميمة.

ولعلكم لاحظتم أن الإسلام يدعو إلى كل صفة تشيع المحبة والتعاطف بين الناس، ويحارب بكل قوة كل رذيلة تفسد العلاقات بين الناس، وتنشر العداوة والحقد بينهم.

هذه هى بعض الرذائل التى نهى الإسلام عنها فإذا أضفناها إلى عكس الفضائل التى دعا إليها وتناولناها فى جلسات سابقة عرفنا مجموع الرذائل التى يحاربها الإسلام ولا يبقى أمامنا فى الحديث عن بنيان الإسلام الشامخ إلا بعض آداب السلوك نتناوله فى الجلسة المقبلة إن شاء الله.

---

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم بسنديهما عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

بعض الآداب الاجتماعية

أدب الاستئذان

الأب يدخل على أسرته فيحييهم، وتنعقد الجلسة الأخيرة من هذه الجلسات الشائقة المستنيرة، ويبدؤها الأب قائلاً:

الأب: سأحدثكم أولاً عن أدب من آداب السلوك عنى به الإسلام أيما عناية هو أدب الاستئذان، إن الإسلام يدعو كل فرد إلى مراعاة خصوصية غيره، فالإنسان حينما يكون وحده قد يتخفف من ثيابه، أو يضطجع أو يرقد بطريقة لا يحب أن يطَّلع عليها أحد من أفراد أسرته، أو من أصحابه، أو يفعل أشياء خاصة به لا يحب أن يراها الناس، لذلك أمر الله المسلمين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم إلا بعد الاستئذان من أهلها، وتحيتهم بالتسليم عليهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (النور: ٢٧) فالله ينهى المسلمين عن دخول مكان خاص إلا بعد الاستئذان من أهله، وتقديم التحية لهم، وينطبق هذا على الغريب والقريب، وكما ينطبق الاستئذان على طلب دخول منزل من المنازل ينطبق أيضاً على غرفة من غرف الشقة الواحدة طالما يخلو فيها فرد من أفراد الأسرة، فأنتم حينما تريدون أن تدخلوا حجرتي وأنا فيها أو حجرة أمكم لابد من الاستئذان أولاً، حتى ولو كان باب الغرفة غير تام الإغلاق بأن كان موارباً مثلاً، وأنا أو أمكم لابد أن

نستأذن منكم قبل دخول حجرتكم.

أحمد: حتى زينب الصغيرة؟

زينب: أنا لست صغيرة أنا سنى اثنتا عشرة سنة.

الأب: الأطفال - ومعذرة يا زينب، فأمامك سنة أو سنتان لتعتبرك من الكبار - الأطفال يستطيعون الدخول والخروج بغير إذن إلا فى ثلاثة أوقات حددها القرآن الكريم: قبل صلاة الفجر، وفى وقت القيلولة بعد الظهر.

زينب: ما معنى القيلولة؟

الأب: القيلولة وقت النوم أو الراحة بعد الغداء، والوقت الثالث بعد العشاء، فإذا أراد الأطفال الدخول على الكبار فى هذه الأوقات لابد أن يستأذنوا، والمراد بالأطفال - الذين بلغوا سن التمييز أى من سن أربع سنوات مثلاً، أما ما قبل فلهم مطلق الحرية، لأنهم لا يميزون، ولا يمكن السيطرة عليهم - ومعنى استئذانهم أن يدقوا الباب دقات خفيفة، ولا يدخلوا حتى يؤذن لهم.

أحمد: وكيف يدرك طفل فى الرابعة أو الخامسة ذلك؟

الأب: يعلمه أبواه أو إخوته حتى يتعود ذلك، فكل الأطفال لا يفعلون شيئاً إلا بعد أن يؤمروا به، ويدربوا عليه.

عمر: لماذا هذه الأوقات الثلاثة بالنسبة للصغار؟

الأب: لأنه فى هذه الأوقات يكون الإنسان متخففاً من ثيابه، أو فى وضع لا يجب أن يطلع عليه أحد، لأنه فى حالة استيقاظ من النوم أو استعداد للنوم، ومثل وقت

الفجر، وقت الاستيقاظ من النوم فى الصباح فى أى وقت.

زينب: يعنى أنا أستطيع الدخول على حضرتك فى غير هذه الأوقات بدون إذن.

الأب: نعم.. ولكن الأفضل تعويد الأولاد الاستئذان فى جميع الأوقات كما نعودهم الصلاة والصوم حتى إذا كبروا كان ذلك أمراً عادياً لهم.

آداب المجالس

الأب: وننتقل بكم إلى أدب آخر من آداب السلوك الإسلامى وهو أدب المجالس، وأول ما اهتم به الإسلام من هذا الأدب هو اختيار أماكن الجلوس بحيث لا تؤذى الجالسين، فنهى الرسول ﷺ عن الجلوس فى الطرقات، فلما قال بعض الصحابة: إنها مجالسنا التى لا يمكننا الاستغناء عنها، اشترط عليهم شروطاً إذا جلسوا فى الطرقات، أولها: غض البصر أى عدم النظر إلى السائرات من النساء. وثانيها: كف الأذى، أى يمنعون أذاهم عن الناس، فلا يتسببون فى مضايقتهم بالقول أو الفعل، وثالثها: رد السلام على من يسلم عليهم. ورابعها: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإذا حدث أمر سيئ نهوا صاحبه عن فعله، وأمروه بما هو خير، وذلك بطريقة مهذبة، قال ﷺ: **"إياكم والجلوس فى الطرقات قالوا: إنها مجالسنا ما لنا عنها بد قال: فإن أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقَّها قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"**[1].

الأم: قارنوا هذا بما يحدث الآن من الشباب، وجلوسهم على النواصى،

---

(١) رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

ومعاكستهم النساء، وتلفظهم بالألفاظ البذيئة.

الأب: هذا سلوك لا يرضاه الإسلام، ويعاقب عليه أشد العقاب، لأنهم خالفوا الحديث الشريف فى كل معانيه، فلم يغضوا البصر بل فعلوا ما هو أسوأ، ولم يكفوا الأذى، وفعلوا المنكر، وجانبوا المعروف.

الأمر الثانى من آداب المجلس هو أن يسلم القادم على الجالسين، وعلى الجالسين أن يردوا تحيته بأحسن منها، والأمر الثالث: أن يجلس حيث يجد المكان الخالى دون أن يحاول مزاحمة الجالسين ليجلس فى صدر المجلس أو قريباً من الشخصية الكبيرة فيه، وقد يدفعه ذلك إلى أن يقيم أحداً من مكانه، أو يحرجه حتى يقوم له من مكانه، فقد قال ﷺ: **"لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا"** [(١)]، وكان الصحابى الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه.

وإذا كان المجلس مزدحماً، ودخل أحد الناس فعلى الجالسين أن يتفسحوا له طاعة لأمر الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المجادلة: ١١) أى إذا أفسحتم لغيركم مكانا فى المجلس فإن الله سيجزيكم بأن يفسح لكم مكاناً فى الجنة، فإذا اضطر أحد الجالسين إلى مغادرة المكان لأمر ما يظل مكانه خالياً حتى يعود، وإذا جلس فيه أحد غيره فعليه أن يتركه له متى عاد، قال ﷺ: **"إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به"** [(٢)].

ومما يتصل بأدب المجالس ألا يتناجى اثنان من الجالسين أو أكثر ويتركون واحداً

---

(١) رواه البخارى بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد والبخاري بسنديهما عن أبى هريرة رضي الله عنه.

فى المجلس دون أن يشركوه فى حديثهم.

زينب: ما معنى: يتناجي؟ ولماذا نهى الرسول ﷺ عن ذلك؟

الأب: يتناجون: أى يتحدثون همساً دون أن يسمعهم من حولهم، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك حتى لا يتأثر الجالس وحده، ويشعر أن من معه يخفون عنه شيئاً، أو يتحدثون عنه حديثاً سيئاً، فقال ﷺ: **"إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه"**[1].

أحمد: وإذا كانوا أكثر من ثلاثة؟

الأب: إذا تناجى اثنان وبقى اثنان لا يشتركان فى التناجى فلا بأس لأن بإمكانهما أن يتحدثا معاً.

ويتصل أيضاً بآداب المجالس ألا يقاطِع أحدُ المتكلمين قبل أن يتم كلامه، وأن يكون صوت المتكلم خفيضاً يسمعه الجالسون فى سهولة ولكنه لا يؤذى آذانهم، وقد مدح الله الذين يخفضون من أصواتهم فى مجلس رسول الله ﷺ ووعدهم غفران ذنوبهم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات: ٣).

أحمد: ربما يكون هذا خاصّاً بمجلس رسول الله ﷺ.

الأب: هو واجب وجوباً محتّماً فى مجلس رسول الله ﷺ ولكن علينا أن نقتدى بالرسول ﷺ فنحاول أن تكون مجالسنا قريبة من وقار مجلسه، كما أن الله طلب من

---

(١) رواه الشيخان البخاري ومسلم بسنديهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

الناس أن يغضوا أصواتهم فى جميع الحديث، فقد جاء فى القرآن الكريم على لسان لقمان وهو يوصى ابنه هذه الوصية: ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (لقمان: ١٩).

وانظروا التعقيب الذى عقب به لقمان على وصيته فقد ذكر أن علو الصوت ليس شيئاً مشرفاً للإنسان، فأَعْلى الأصوات هو نهيق الحمير ولكنها أصوات قبيحة منكرة.

والآن يا أولادى أرجو أن أكون قد قدمت لكم صورة واضحة لإسلامنا العظيم الذى جاء به خاتم الرسل محمد ﷺ، فكان دستوراً للبشرية كلها إذا طبقته سعدت فى الدنيا والآخرة.

وأرجو أن تكون الصورة التى قدمتها قد استطاعت أن تريكم فعلاً ما يمتاز به ديننا من سمو ونبل، وما تتميز به مبادئه من شمول وصلاحية لكل زمان ومكان، كما أرجو أن تكونوا قد استوعبتم ما تناولناه فى جلساتنا من هذه المبادئ، وأن تلتزموا بها.

أحمد: لقد استفدت كثيراً من هذه الجلسات التى أوضحت لى أن ديننا هو دين البشرية حقّاً وفعلاً، لأنه عالج مشكلاتها فى رحمة وسماحة ورفق، فشكراً لك يا أبى، وشكراً لك يا أمى على الإضافات الجميلة التى كنت تضيفينها.

عمر: وأنا سعيد جدّاً بهذه الجلسات التى علمتْنى الكثير، وأعدك يا أبى أنى سألتزم بها إن شاء الله، فشكراً لك يا أبى، وشكراً لك يا أمى.

زينب: وأنا – والله – مع أنى صغيرة استفدت كثيراً، فشكراً لك يا أبى وشكراً لك يا أمى.

الأب: جزاكم الله خيراً يا أولادى، ووفقكم إلى طاعته والالتزام بدينه.

الأم: وأنا أشكركم يا أولادى كثيراً، وأدعو لكم بالتوفيق والتمسك بمبادئ ديننا الحنيف، وأشكر زوجى العزيز فقد استفدت أنا الأخرى كثيراً من دروسه.

الأب: شكراً لك يا زوجتى العزيزة، وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى الخير والفلاح.

* * *

